رقم الترتيب: ..../ 2009 ....

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جـامعـــة زيان عاشور – الجلـفــــة

كليـــة الآداب و اللغــــات

والعلوم الإجتماعية والإنسانية

قســم اللغة العربية وآدابـها

صحـــة الشعــر الجــاهلي

بين دراسات العرب والمستشرقين

دراســة وصفيــة مقــارنة

مـذكــرة لنيـل شــهـــادة الماجستيـر في الدراسات الاستشراقية الأدبية واللغوية

إعداد الطّــالب:
علــي قـــرش

إشراف الدكتور :
حميـــد ناصر خوجـــة

لجنـــة المناقشـــة:

الدكتــور محمد خليفــة	**رئيــســـــا**
الدكتور حميد ناصر خوجة	**مشرفا ومقررا**
الدكتور أحمد بوزيـــان	**منـــاقشـــا**
الدكتور علي كبريـــت	**منـــاقشـــا**
الدكتور أحمد قنشوبــة	**منـــاقشـــا**

الموسم الجامعي : 2008 – 2009 م

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

بسم الله الرحمن الرحيم

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

إهداء

إلى والدَيَّ و مدَرِّسِيَّ

علي قرش

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

مقـــــدّمـــة

درج الدارسون على اعتبار الشعر الجاهلي أساس الشعر العربي كله, فتنـــاولوه بدراســـة قضاياه الفنية والموضوعية, و لم يتركوا من أمره شيئا مهما كان يسيرا إلا فحـــصوه, فالـــشعر الجاهلي هو أقدم ما وصلنا من إرث أمتنا القولي, و لم يكن مشتملا على فنون القول فحـــسب، بل جمع إلى ذلك معارف العرب وحكمتهم وتجاربهم وكل ما يتعلق بحياتهم، فقد كان ديـــوانهم ومنتهى علمهم الذي لم يكن لهم علم سواه، وبقدر ما لقي الشعر الجاهلي من العناية والاهتمام، عانى بعض الازدراء من أهل العربية، فلم يعد يحفل كثيرا بالقراءة والحفظ، و لم تعـــد فـــصول الدراسة تلقي له بالا كما كان في عهد الأولين، وربما غدا للكثير مستغلقا، فلا يفهمون معانيه، تنفره أسماعهم، وتمجه أذواقهم، و يرون الزمن تقادم عليه، فأصبح ما بينهم وبينه هوة ســـحيقة تزيدهم بعدا عنه وهجرا له ، فلا ينظر إليه إلا كما ينظر إلى التحف المرصـــوفة في المتـــاحف، تحظى بإعجاب مؤقت يزول بخروج المتفرج من المتحف.

و لم يكن له من المعاناة ذلك فحسب، فقد هب نفر من الدارسين المستشرقين ومن العـــرب المحدثين يثيرون قضية صحته، فتباينت الدراسات باختلاف مـــشارب الدارســـين وأهـــوائهم وثقافاتهم ومللهم ونحلهم، فأما المستشرقون فلنية يظمرونها كانت دراساتهم تقوم في عمومهـــا على ركيزة التعميم وانتقاء الأخبار والروايات المفردة التي تطعن في صحته، وربما عنّ لهم اتخاذ الشك في الشعر الجاهلي ذريعة يتكؤون عليها للشك في القرآن وفي الإسلام، وأمر المستشرقين لا يخفى، ذلك أنهم وجهوا عنايتهم لدراسة تراثنا على أساس هدف معـــين رسمـــوه مـــسبقا وشحذوا هممهم للوصول إليه، فالعداء الديني بين المسيحية والإسلام همهم الشاغل، ولا نعيـــب على المستشرق نواياه وما يضمره من خير أو شر، ولكن العيب يقع على ابن العربية والإســـلام إذا واجه تراث أمته متبنيا مناهج المستشرقين وأفكارهم، مقلدا إياهم إعجابا بهم وبثقافتهم، وهو يعلم أنه إنما يقوض ما بناه أجداده، ويطمس مقومات أمته.

والحق أن مسألة الشعر الجاهلي نالت حظها من الدراسة والتمحيص على أيدي العـــرب القدامى، والذين لم يبقوا منها على شيء، إلا ما تجاوزوه سهوا وغفلة، وهو قليل مقارنة بمعظمه الممحص، ولولا فضل الأولين على المتأخرين ما وجدوا شيئا يبنون عليه تعميماتهم.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وكان منا في بحثنا هذا أن عرضنا مسألة صحة الشعر الجاهلي كما تطرق لها الدارسون قديما وحديثا من العرب والمستشرقين، وتتبعنا آراءهم ومناهج دراستهم مقارنين ومبينين جوانب التأثير والتأثر فيها، ومن الأسباب التي دعتنا إلى اختيار هذا الموضوع:

- الذاتية، وتتمثل في طابع الإغراء المتمثل في اتساع المادة وتنوعها وقيامها على جملة من العلوم، ذلك أن دراسة الشعر الجاهلي ومعالجة قضاياه تتطلب دراية بالنحو والصرف والبلاغة والعروض وغيرها من العلوم، وفي انطواء عناصر الموضوع على جانب من صعوبة المسالك التي تدفع الباحث إلى سبر أغوار المجهول.
- أما الموضوعية فتتمثل في خطورة الموضوع لما للشعر الجاهلي من صلة متينة بشعرنا العربي كله على امتداد العصور المتعاقبة، ولمعرفة أثر الاستشراق في الدرس الأدبي العربي سلبا وإيجابا والدوافع الكامنة وراء إثارة مسألة صحة الشعر الجاهلي من طرف المستشرقين.

والإشكالية العامة التي يطرحها الموضوع هي : ما أسباب الشك في صحة الشعر الجاهلي؟ وهل تقوم على أسس موضوعية أم هي مجرد تحامل؟ وقد تفرعت عنها الإشكاليات الآتية:

- ما قيمة الشعر الجاهلي؟
- هل قضية الصحة في الشعر مقصورة على شعرنا أم تتعداه إلى شعر الأمم الأخرى؟
- ما الذي دفع الدارسين قديما وحديثا إلى دراسة الشعر الجاهلي, وإثارة مسألة صحته؟وما هي آراؤهم المختلفة في المسألة؟
- ما مدى تأثير المستشرقين في الدارسين العرب المحدثين؟

وهذه الإشكالية المطروحة تتطلب عرض آراء الدارسين وفق التدرج التاريخي انطلاقا من آراء العرب القدامى ووصولا إلى آراء العرب المحدثين مرورا بآراء المستشرقين, كما تتطلب رصد آراء كل علم من أعلام الدارسين ووصفها بدقة وبيان منهج كل واحد, مع تقصي أمثلة من دراسته للقضية, فإذا تجمعت لدينا مجموعة من آراء الدارسين قارنا بينها ليتضح لنا نصيب مسألة الصحة في دراسة كل واحد منهم, ومدى عمق الدراسة أو سطحيتها.

وقد كان من إفرازات المنهج المتبع للإجابة على إشكالية الموضوع, بناء الموضوع وفق الخطة التالية:

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

مدخل البحث, وقد تحدثنا فيه عن قيمة الشعر الجاهلي, ودواعي اهتمام الدارسين العرب والمستشرقين قديما وحديثا, وفي الفصل الأول تناولنا صحة الشعر الجاهلي عند العرب القدامى, عرجنا فيه بإيجاز على روايته وتدوينه, مع توضيح مفاهيم الوضع والنحل والانتحال, ثم ذكرنا ما تناثر من بواكير تنم عن شعور بقضية الصحة, كآراء أبي عبيدة معمر بن المثنى, وأبي عمرو بن العلاء والأصمعي وغيرهم, ثم الانتقال إلى ابن هشام مهذب السيرة الذي وسع القضية أكثر, لترسو عند ابن سلام, فيتعرض لها بالدراسة على أساس منهجي علمي قائم على التحليل والتعليل, فكانت له إلى جانب آراء من سبقوه آراؤه الخاصة التي تخالفهم في المنهج, بعد ذلك يأتي الجاحظ وله منهجه العقلي الرصين, فكانت له آراؤه في القضية, حتى أنه فرض شروطا للرواية, أما أبو الفرج فقد اعتمد السند أساسا للرواية لتوثيق النص الإخباري المصاحب للأشعار, فقارئ صفحات الأغاني يشعر كأنه أمام متن من متون الحديث الشريف, وقد فرغنا من آراء العرب القدامى لننتقل إلى آراء المستشرقين فبدأنا بأول مستشرق عرض للقضية وهو الألماني نيلدكه, الذي كان يوسع ويعمم شكه, لكن في شيء من الحذر, وتلاه مرجليوث, الذي بالغ في الأمر ووصل إلى نفي الشعر الجاهلي كله, ثم جاءت ردود بروينلش عليه, لتبين مبالغته وفساد منهجه, لتنتهي صحة الشعر الجاهلي عند إيفالد فاجنر صاحب الدراسة المتأخرة, والتي اعتبرناها بمثابة خاتمة للدراسات الاستشراقية في مسألة الصحة, فكان منه أن عرض آراء سابقيه من عرب ومستشرقين وقام بالرد على بعضها, وكانت آخر المراحل في هذا البحث لدراسة آراء العرب المحدثين وبيان تأثير المستشرقين فيهم, فبدأناه بالرافعي الذي سلك نهج القدامى فلم يخالفهم في شيء ولم تكن دراسته للقضية تحمل في طياتها طابع الجدة, وجاء بعده طه حسين الذي فجر القضية وأثار زوبعة نقدية كبيرة كان من نتائجها العديد من الدراسات والكتب حول مؤلَّفه, وبعد طه حسين يأتي ناصر الدين الأسد الذي حاول الرد عن شكوك المستشرقين وأستاذه طه حسين, وذلك بتوثيق الشعر الجاهلي كله, والتماس سبل صحته, عن طريق توثيق رواته وفرض كتابته, ثم أعقبه محمود محمد شاكر الذي اختط لنفسه منهجا خاصا خالف فيه المستشرقين والعرب المحدثين والذي بمقتضاه تتم دراسة الشعر العربي دراسة تحاول تلمس عمق النص الجاهلي.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وكان آخر جزء في البحث بيان أثر المستشرقين في الدارسين العرب المحدثين, وقد تناول دارسا واحدا, هو طه حسين, الذي أجمعت الدراسات في أغلبها على تأثره بمناهج الغرب, والتمست تشابها كبيرا بين كتابه وما طرحه مرجليوث من آراء في مقالته.

لقد فرضت خطة البحث تعالق فصوله, ذلك أن فضل السابق على اللاحق لا ينكر, فآراء العرب القدامى في المسألة كانت أساس الدراسات اللاحقة, كما كان لآراء المستشرقين أثرها البيّن على دراسات العرب المحدثين, فكل فصل يفضي إلى الذي يليه, كما أن رأي كل علم من أعلام الفصل الواحد يؤثر في الذي يأتي بعده.

كأي عمل بشري, فإن هذه المذكرة لم تخل من قصور, يرجع السبب الرئيس في ذلك إلى قلة الخبرة في البحث الأدبي, وإلى اتساع المادة العلمية محل الدرس والتحليل, هذا بالإضافة إلى ما جابهناه من بعض العراقيل التي تجاوزناها بمزيد من الصبر والأناة, وذلك بفضل توجيهات أستاذينا الفاضلين الدكتور حميد ناصر خوجة والدكتور محمد خليفة, اللذين لم يبخلا علينا بمد يد العون ماديا ومعنويا, لذلك فإننا نوجه لهما بالخصوص جزيل شكرنا وامتناننا داعين الله لهما بموفور الصحة والعافية. والله نسأل أن يلهمنا السداد في القول والفكر والعمل, وهو حسبنا ونعم الوكيل.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

مدخل

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

مدخل:

قيمة الشعر الجاهلي ودواعي اهتمام الدارسين به قديما وحديثا

يعد الشعر الجاهلي بحق ذروة الشعر العربي فهو مرآة للحياة العربية الجاهليـــة, وصـــورة صادقة لعادات العرب وقيمهم ومثلهم, ففيه من القيم الفنية والصور الرائعة والمعاني الموحية ما يجعله نموذجا أمثل يحتذى به في العصور التي تلته, فالأمويون والعباسيون ومن تلاهم نهلوا من معينه, وسعوا إلى تقليده ومحاكاته, وقد بقي أثره واضحا في شعر العصور المتأخرة وما زالت له السطوة على نفوس قارئيه وسامعيه إلى اليوم, وسبب ذلك يرجع إلى أصالته وجمال تعبيره ودقة معانيه ونضج فنه وموسيقاه ولغته[1].

والشعر الجاهلي باعتبار السبق الزمني هو الأصل, وما تلاه من أشعار العصور التالية فرع عنه, ذلك أن السابق له الفضل على اللاحق وهذا أمر من المنطق لا ينكره منكر, وســـلطان الشعر الجاهلي باد إلى أيامنا على نصوصنا الشعرية العمودية منها والمتحررة ممن حاول أهلها التملص من نظام القصيدة القديمة, ويعلق ناصر الدين الأسد على فضل السابق على اللاحـــق بقوله: ((فالعصر الجاهلي –في حساب الزمن– أول عصور التاريخ العربي ونحن لا نستطيع أن نعرف قومنا في مراحل تطورهم, ومواطن انتشارهم, إذا لم نعرفهم في موطنهم الأصـــيل وفي عصرهم الأول, ثم إن الشعر الجاهلي هو الأصل الذي انبثق منه الـــشعر العـــربي في ســـائر عصوره, وهو الذي أرسى عمود الشعر وثبت نظام القصيدة وصاغ المعجم الشعري العـــربي عامة))[2]. وفي السياق نفسه يتساءل ناصر الدين الأسد عمن يحاولون دراسة العصور التاليـــة للعصر الجاهلي دون سبر أغوار الأصل, لأن الدراسة تأتي حتما عقيمة, ومرد ذلـــك جهـــل الأصل الذي ينجر عنه جهل للفرع, فيقول: ((ولست أفهم كيف نستطيع أن نحكم على ما في شعر العصور الإسلامية من تطور وتجديد إذا لم نصل من أمر الشعر الجاهلي إلى مفـــصل نطمئن عنده))[3].

---

[1] يحيى الجبوري, الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه, منشورات جامعة قار يونس, بنغازي, ليبيا, ط6, 1993, ص79
[2] ناصر الدين الأسد, مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية, دار الجيل, بيروت, ط8, 1996, ص5
[3] نفسه, ص5

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ثم إن في هذا الشعر الجاهلي قيما فنية أصيلة, فيه خصب الشعور ودقة الحس, وصدق الفـــن, وصفاء التعبير, وأصالة الطبع, وقوة الحياة ((ما يجعله أصفى تعبير عن نفس العربي وأصـــدق مصدر لدراسة حياته وحياة قومه من حوله))[1].

لم يترك الشعر الجاهلي من حياة أهله أمرإلا طرقه, لقد مثل كل مظاهر الحياة العربيـــة, رسم لنا البيئة رسما دقيقا, ومثلها خير تمثيل, تناول كل جوانب البادية فتحدث عنها بتفصيل, صور ما فيها من جبال ووهاد وطرق ممتدة ومرابع خضر, ونبات زاه, ووصف الآثار والدمن, كما وصف الأمطار والسيول والسحب, رسم مشاهد كثيرة لحيواناتها, وقص لكل حيـــوان قصة, وصور حال هذه الحيوانات في طردها وقتالها, في أمنها وفي خوفها, صـــورها قطعانـــا مجتمعة, وأفرادا عازبة, واستعار منها تشبيهاته وصوره, تحدث عن المنازل والديار, كما تحدث عن ارتحال أهلها, ووصف قوافلهم وهوادج نسائهم, وتابعها في سيرها فرسم مخططا لرحلتها مبينا المواضع التي تنزل فيها, والأماكن التي تمر بها, و لم ينس أن يصف ما خلف الظاعنون من الحجارة والنؤي والأثافي[2].

إن هذه الدقة المتناهية في وصف البيئة عامة والمواضع الجغرافية خاصة, بـــذكر طبيعـــة الأقاليم ومعايش الحيوان بها, وكذا أثر ذلك على ساكنيها هو بمثابة وثيقة جغرافيـــة دقيقـــة, ترسم الحدود الإقليمية, وتحدد طبيعة كل إقليم مناخا ونباتا وحيوانا وسكانا يرجـــع إليهـــا الدارس ليستشف جغرافية البلاد, وتلك قيمة كبرى من قيم الشعر الجاهلي لا يمكن إغفالها.

و لم يهتم الشعر الجاهلي بجغرافية بلاد العرب في جاهليتهم فقط, ذلك أنه لم يغادر جانبا من جوانب الحياة البدوية إلا سجله وصوره أحسن تصوير, لقد صور حياة العرب في حـــال الحرب والسلم, ورسم طبائع أهله وذكر مثلهم وعاداتهم, وصف خيرات العـــصر ونعمـــه الكثيرة, و لم يغادر أوقات الشدة والبؤس التي كانت تلم بالعربي حينها, صور نزول الغيث وما يتبع ذلك من نعمة, وبالمقابل صور ما يترل بالعربي من قحط وجدب, ((... واقـــرأ في أي

[1] ناصر الدين الأسد, مصادر الشعر الجاهلي, ص6
[2] يحيى الجبوري, الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه, ص120

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

قطعة أو قصيدة من ذلك الشعر فإنك واجد فيه ريح البادية وطعم الصحراء, فكل صوره ومعانيه منتزعة من بيئته...))[1].

لقد نزل هذا الشعر من نفوس أصحابه منزلة رفيعة, فهو عندهم سجل مفاخرهم ومآثرهم وعواطفهم, يصور حقيقة حياتهم ونفسيات قائليه ((بكل ما لهم من بطولات وأمجاد, وبأس وشدة, وعصبية وغضب, وكرم ووفاء, يصور خصال الخير كما يبين دواعي الشر, ويسجل أيامهم ووقائعهم وأصولهم وأنسابهم, فهو على ذلك ديوانهم))[2], يقول أبو هلال العسكري: ((كذلك لا نعرف أنساب العرب, وتواريخها وأيامها ووقائعها إلا من جملة أشعارها, فالشعر ديوان العرب وخزانة حكمتها, ومستنبط آدابها ومستودع علومها))[3].

والعرب يرون أن قصائد الشعر أبقى على الدهر وأحفظ في الصدور من غيرها من ضروب القول, لذلك تراهم إذا أرادوا الاعتزاز بمكرمة أو نصر أو حادث سجلوا ذلك في قصيدة, وتلك سنتهم في تخليد مآثرهم. يقول الجاحظ: ((فكل أمة تعتمد على استيفاء مآثرها وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب وشكل من الأشكال, وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفى, وكان ذلك هو ديوانها))[4]وإلى هذا ذهب ابن سلام الجمحي بقوله: ((وكان الشعر في الجاهلية ديوان علمهم ومنتهى حكمهم, به يأخذون وإليه يصيرون)) وقال: ((قال ابن عون, عن ابن سيرين, قال: قال عمر بن الخطاب: كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه))[5], وعلى ما سبق يتبين لنا بجلاء أن الشعر الجاهلي أوضح المظاهر الأدبية, لأنه مثل الروح العربية أحسن تمثيل, وعبر عنها بصدق, وأفصح عن مظاهر الحياة الجاهلية, تلك المظاهر الكبرى التي كانت موضع عنايتهم, ثم هو إلى ذلك عماد تاريخ الجاهليين ومسجل أحداثهم ومصور مواطنهم.

ولشغف العرب بديوانهم, فقد صار له الأثر الكبير في توجيه مشاعرهم وأهوائهم, لقد حبب إليهم خصال الخير ورغبهم في الفضائل والمكارم, وكره إليهم الخصال الذميمة مثل

---

[1] يحيى الجبوري, الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه , ص120
[2] نفسه, ص83
[3] أبو هلال العسكري, كتاب الصناعتين, الكتابة والشعر, تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم, المطبعة العصرية, بيروت, 1986, ص 138
[4] الجاحظ, أبو عثمان عمرو بن بحر, الحيوان, تح: إبراهيم شمس الدين, منشورات الأعلمي للمطبوعات, بيروت, ط1, 2003, ج1, ص64
[5] محمد بن سلام الجمحي, طبقات فحول الشعراء, تح: محمود محمد شاكر, دار المدني بجدة, 1974, ج1, ص24

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

البخل والغدر والجبن, ((ولتحبيبه لخصال وتنفيره من أخرى, جعل الأذهان ترتبط برغبات, والنفوس تتعلق بأمنيات موحدة مشتركة, فللشعر النصيب الأوفر في توحيد مشاعر العرب وتشابه طباعهم وعاداتهم ومثلهم, وصقل لغتهم وتوحيد لهجاتهم كذلك))[1], إننا نجد ذهنية العرب متجاوبة على الرغم مما يحدث بين القبائل من خصومات وغزوات كثيرة, فهم يلتقون عند مثل مشتركة, مثل عليا قائمة على الشرف والمروءة, ولولا انتشار قصائد الشعر الجاهلي وذيوعها وسيرورتها بسرعة عجيبة ما كان ذلك, فما تكاد القصيدة تلقى من فم قائلها حتى ترد مختلف المواضع, تسير بها الرواة وتنشدها المجالس, فما ورد من أمثالهم من مثل قولهم (أَسْيَر من شعر) يصدق بحق عليه, قال الميداني في تفسير هذا المثل: ((لأنه يرد الأندية ويلج الأخبية سائرا في البلاد مسافرا من غير زاد))[2].

قال المسيب بن علس: فلأهدين مع الرياح قصيدة مني مغلغلة إلى القعقاع

ترد المياه فما تزال غريبة في القوم بين تمثل وسماع[3]

وسوق الأمثلة على أثر الشعر في نفوس العرب وسلطانه عليهم لا يسعه المجال هنا, فنكتفي بإيراد بعضها, فرب بيت يقوله شاعر يرفع به قدر وضيع أو يضع قدر رفيع, فهؤلاء أولاد جعفر بن قريع بن كعب الذين عرفوا ببني أنف الناقة, كانوا يأنفون من هذا اللقب فهو سبة عليهم, حتى إذا مدحهم الحطيئة بقوله:

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا

فصاروا يتطاولون بهذا النسب ويمدون به أصواتهم في جهارة[4].

وهذا الأعشى يمدح المحلق مدحة كانت تنويها به وتمجيدا له, بعد أن كان فقير الحال, فقد قيل: إن الأعشى قدم سوق عكاظ, فأشارت امرأة المحلق على زوجها أن يسبق الناس إلى ضيافته وإكرامه, ففعل المحلق وبالغ في إكرامه وعرف الأعشى بؤسه وسوء حاله وكثرة بناته,

---

[1] يحيى الجبوري, الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه, ص84

[2] مجمع الأمثال للميداني 354/1, نقلا عن يحيى الجبوري, الشعر الجاهلي, خصائصه وفنونه, ص84

[3] المفضل الضبي, المفضليات, تح: قصي الحسين, دار مكتبة الهلال, بيروت, ط1, 1998ص38, والقعقاع هنا هو ابن معبد بن زرارة سيد بني تميم

[4] ابن رشيق القيرواني, العمدة في نقد الشعر وتمحيصه, تح: عفيف نايف حاطوم, دار صادر, بيروت, ط1, 2003, ص38

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ثم خرج من عنده و لم يقل فيه شيئا, وأصبح الأعشى بعكاظ وقد اجتمع الناس حوله فأنشدهم قصيدته التي مطلعها:

أرقت وما هذا السهاد المؤرق وما بي من سقم وما بي معشق

مدح فيها المحلق وذكر كرمه وشرفه, فما أتم القصيدة حتى أقبل الناس على المحلق يهنئونه, والأشراف من كل قبيلة يتسابقون إليه جريا يخطبون بناته[1].

فالناس نظرت إلى المحلق من خلال أبيات الحطيئة, وقد حمل الفضائل والمكرمات كلها, فالشعر الجاهلي كان يهز النفوس ويثير العواطف ويرغب في الخير, وها هو معاوية يكتب إلى زياد بن أبيه يعاتبه على أنه لم يرو ابنه الشعر: ((ما منعك أن ترويه الشعر؟ فوالله إن كان العاق ليرويه فيبرّ, وإن كان البخيل ليرويه فيسخو, وإن كان الجبان ليرويه فيقاتل))[2]. لقد أدرك معاوية خطر الشعر في الحث على فعل الخير وزرع المكرمات والفضائل, وتلك حال الرعيل الأول ممن فقهوا الشعر وعرفوا جدواه في حياتهم.

وإذا كان الشعر يفعل فعله في زرع الخير, فلعل أثره في فعل الشر والدعوة إليه أشد وأبلغ, فكم قافية أثارت الحروب التي توارث شرها الأبناء عن الآباء, فهؤلاء بنو عبد المدان, أبيات من شعر حسان تجعلهم يتزلون من عليائهم, ويتوارون من سوء ما وُصموا به, وأبيات أخرى تعيدهم إلى زهوهم وإدلالهم على الناس, لقد بارك الله لبني عبد المدان بسعة الصدور وطول الأجسام وغلظها, فكانوا يفخرون بذلك على غيرهم, حتى إذا كسفهم حسان بقوله:

لا بأس بالقوم من طولٍ ومن عِظَم جسم البغال وأحلام العصافير

جاءوا إليه يسترضونه وقالوا: ياابن الفريعة كنا نفخر على الناس بالطول والعظم فأفسدته علينا, ثم قال لهم: سأصلح منكم ما أفسدت, فقال يمدحهم:

وقد كنا نقول إذا رأينا لذي جسم يعد وذي بيان

[1] ابن رشيق القيرواني, العمدة في نقد الشعر وتمحيصه, ص37, 38
[2] جلال الدين السيوطي, المزهر في علوم اللغة وأنواعها, تح: محمد عبد الرحيم, دار الفكر, بيروت, ط1, 2005, ص689

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

كأنك أيها المُعطى بيانا وجسما من بني عبد المدان[1]

فعادوا إلى سيرتهم الأولى, والأمثلة كثيرة في تأثير الشعر في فعل الخير والشر على السواء. وما دام للشعر هذه المنزلة في نفوس العرب, فإن للشاعر كذلك منزلة رفيعة في مجتمعه وفي قبيلته, لأن لسانه يذب عنها ويحمي أعراضها, ويفصح عن رغباتها, ويخلد أمجادها وانتصاراتها, ولهذا السبب كانت القبيلة إذا نبغ فيها شاعر صنعت الولائم وأقامت الأفراح.

يقول صاحب العمدة: ((وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد أو شاعر ينبغ فيهم أو فرس تنتج))[2], وتحفل أخبار الشعراء بما كان لهم من فضل في إعزاز قبائلهم ورفع مكانتها وحماية أعراضها, فقد كانت العرب تدرك خطر هذا الفن الكلامي الذي لم يكن له فن يضارعه.

أما قيمة الشعر ودوره في فهم القرآن الكريم وتفسير غريبه أمر لا ينكر, فهذا عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– فتح أمام عبد الله بن عباس المجال العقلي الواسع, مما جعله أكثر دقة وأبعد نظرا في تفسير القرآن الكريم, لقد خط عمر المنهج الذي سار عليه ابن عباس فيما بعد, فقد كان يستعين بالشعر في التفسير, لأن عمر بن الخطاب هو الذي كان يسلك هذه الطريق في فهم غريب القرآن, ويحض على الرجوع إلى الشعر العربي القديم, يستعان به على فهم الألفاظ القرآنية الغريبة, فها هوذا يسأل أصحابه عن معنى قوله تعالى في الآية 47 من سورة النحل: ((أَو يَأْخُذَهُم عَلَى تَخَوُّفٍ)) فيقوم إليه شيخ من هُذيل فيقول له: هذه لغتنا, التخوف: التنقص فيقول عمر : هل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ فيقول له: نعم, ويروي قول الشاعر:

تخوّف الرَّحل منا تَامِكًا قَرِدَا كما تخوّف عُودَ النَّبعةِ السَّفِنُ

فيقول عمر: ((عليكم بديوانكم لا تضلوا, قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية, فإن فيه تفسير كتابكم, ومعاني كلامكم))[3].

[1] يحيى الجبوري, الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه, ص86
[2] ابن رشيق, العمدة في نقد الشعر وتمحيصه, ص51
[3] عبد الله محمد سلقيني, حبر الأمة عبد الله بن عباس ومدرسته في التفسير, دار السلام, القاهرة, ط1, 1986, ص57

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وقد كان منهج ابن عباس الإكثار من الاعتماد على الشعر الجاهلي لفهم غريب القرآن, وكان يقول: ((الشعر ديوان العرب, فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب, رجعنا إلى ديواننا, فالتمسنا معرفة ذلك منه)), ويقول أيضا: ((إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر, فإن الشعر ديوان العرب))[1].

وليس هذا مجرد توجيه كلامي إلى طريقة معرفة غريب القرآن, فقد كان ابن عباس يمارس ذلك عمليا عندما يسأل عن القرآن الكريم, فينشد الشعر ليستشهد به على التفسير.

أما دور الشعر الجاهلي وأثره في شعرنا العربي الحديث والمعاصر, فلا يختلف فيه اثنان, فهناك شبه إجماع على أن الأصول الفنية التي قام عليها الشعر الجاهلي, ظلت قائمة لشعرنا العربي على امتداد عصوره وتوالي أزمانه, فهو يمثل بحق وجدان أمتنا العميق, فعادة ما تثور ثائرة الناقد الأدبي إذا صادف خروجا أو انحرافا عن المقومات الأصلية لشعرنا, وبالمقابل تراه يبارك ذلك السير على المنهج الشعري القويم الذي رسمه الأولون, وقد ظلت تلك حال نقدنا العربي يرفض أي إخلال بالنظام الشعري القديم, إنها هيمنة النص الجاهلي والتي تبلغ حد القداسة, لقد بسط نفوذه على نصوص الشعر التالية, ((إنها العراقة المقدسة ارتضاها الفن الشعري لنفسه, وبنى عليها في مختلف العصور لا تزال تمثل المقومات الأصيلة التي تعطي الشعر مكانه وجلاله, وتهبه رونقه وبهاءه, وكل خروج أو انحراف عليها يهز هذه المقومات هزا يثير الناقد الأدبي, فيقبله أو يرفضه))[2].

والحق أن تشعب الآراء, واختلاف المذاهب, وقيام المعارك النقدية, وتأليف الكتب في الانتصار للجديد أو العدوان عليه, وفي الحنين للقديم أو الحفاظ عليه, كل هذه الآراء إذا فحصناها ألفيناها ترعى القديم وتجله, وهي إن دلت على شيء فإنها تدل على هذه المكانة التي حظي بها الشعر الجاهلي.

إن الثورة على شعر التفعيلة , والمنابر النقدية التي أقيمت لدك حصونه لأدل على منزلة القديم في نفوسنا إلى اليوم, ثم أين تجد شاعرا عربيا في أيامنا هذه يشيد صرح شعره على

[1] عبد الله محمد سلقيني, حبر الأمة عبد الله بن عباس ومدرسته في التفسير, ص93
[2] سعد إسماعيل شلبي, الأصول الفنية للشعر الجاهلي, دار غريب للطباعة والنشر,القاهرة, 1982, ص5

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فراغ؟ وإن وجد فإن بناءه لا يصمد طويلا, أو بالأحرى لا يضع لبناته الأولى حتى ينـــهار, إنك لا تجد شعرا حديثا أو معاصرا يتنكر للقديم, وانظر في أمر الشعر على امتداد عـــصوره, فستجده يسير على هدي الأولين لا يحيد عنه.

أما المستشرقون فقد اهتموا بأدبنا العربي منذ فجر تاريخه, درسوا كل مـــا يتعلـــق بـــه, ((درسوا تاريخه وتطوره وقيمته وأصالته وعصوره ونهضته وتأخره وازدهـــاره, وانحطاطـــه وانتحاله وسرقاته, وتأثره وتأثيره, وأعلامه)) [1] . وقد شغفوا به ومرد ذلك هـــو إرادة فهـــم الشخصية العربية والرغبة في الإحاطة بها من كل الجوانب, وفهم اللغة العربية والتي هي لغـــة القرآن الكريم, فأعظم مآثر أصحابه قد أفرغت في هذه اللغة التي ظلت باســـتمرار ملتـــصقة بالشعب وتاريخه, ((ويبدو جليا للمتعقب أن العقلية العربية قد وجدت في فن القـــول أهـــم وسائل النجاح والتأثير مما جعل اهتمام الاستشراق بدراسة آدابها أمرا حتميا لفهـــم حياتهـــا ونشاطها)) [2] فالأدب العربي على امتداد عصوره من وجهتي النظر التاريخية والأدبية, يعد حقلا خصبا لدراسة الحياة العربية ونظمها.

ويمكن إيجاز دواعي اهتمام المستشرقين بالأدب العربي عامة وبالشعر الجاهلي خاصة فيما يلي:

- صلته بالدين الإسلامي وكتابه "القرآن الكريم"
- مدى أهميته لدراسة الشخصية العربية وفهمها
- استمرار تاريخه ومنزلته بين الآداب العالمية

وشهادات المستشرقين على مدى إعجابهم بالشعر الجاهلي كثيرة, فهي تتناثر في دراساتهم المتعلقة به, نجدها عند المعتدلين منهم كما نجدها عند المتعصبين, فنصوص شـــعرنا الجـــاهلي أبهرتهم, فلم يملكوا نفوسهم فأدلوا بشهادات الإعجاب التي تنم عن قيمته ومكانته بين آداب الأمم المختلفة, فهذا شيخ المستشرقين الألمان تيودور نيلدكه ينهي مقاله حول تاريخ ونقـــد الشعر القديم بقوله: ((... فإننا نتلقى من القصائد العربية القديمة صورة حية للعرب القـــدماء

[1] أحمد سمايلوفتش, فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر, دار الفكر العربي, القاهرة, 1998, ص185, 186

[2] نفسه , ص 491

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

بفضائلهم وعيوبهم, بعظمتهم ومحدوديتهم, ... وإنما هي شعر جعل مهمته الرئيسية هي وصف الحياة والطبيعة كما هما في الواقع, ... بيد أنه في نطاق حدوده عظيم وجميل, وتسري فيه روح القوة والرجولة...))[1], وهاهو المستشرق السير وليم موير يثير إعجابَه سحرُ الشعر الجاهلي, وتشده عبقرية الشعراء الأوائل صناع الأصل الشعري, فيقول: ((ثمة سحر لا يوصف يحيط بشعر العرب المبكر, فإذا أنعمت النظر في الإبداعات الرائعة لعبقريتهم مع هذه القصائد القديمة, فإنك تحيا كما كانت حياة جديدة ...))[2].

والشعر الجاهلي في نظر فاجنر يعد ((بالنسبة للعرب منذ القدم قمة ثقافتهم, ويبدو هذا التقدير الكبير مفهوما, فإن الشعر منذ زمن بعيد يمثل التعبير الوحيد تقريبا للإبداع الفني لدى العرب))[3]. ونراه في موضع آخر يقول: ((أما الشعر على العكس من ذلك فقد عُد دائما الإبداع العربي المحض))[4]. ويعتبره في موضع ثالث المصدر الأساسي لكل ما نعرفه عن حياة العرب في الجاهلية. ((لأن كل ما نعرفه عن البدو العرب القدامى تقريبا يرجع للشعر , فهو أهم مصدر لنا عن حياة البدو العربية القديمة))[5].

وها هو ذا المستشرق الألماني هاينريش توربيكه تبهره متعة النص الشعري الجاهلي, لكنه يستوحشه في الوقت نفسه, إنه يتلمس الطريق إليه بصعوبة, فلا يستطيع الوصول إلى تحديد قيمته الفنية بدقة, ومرد ذلك إلى صعوبة اللغة على بعض المستشرقين, إن لم نقل كلهم, لقد عبر عن ذلك بقوله: ((بقدر ما يعد ذلك الشعر البدوي ممتعا مثل كل شعر طبيعي آخر, ومهما من جهة أخرى بوصفه المصدر الأساسيّ للمادة اللغوية العربية القديمة الحقيقية, فإن مضمونه بعيد عن رؤانا, بل نستوحشه في الغالب, إذ لا نستطيع أن نتوصل على حكم موفق إلى حد ما حولها [أي قيمته الفنية] إلا بعد دراسة طويلة لعقود, ومن ثم فإننا نقتفي أثر العرب حتى ذلك الحين))[6].

---

[1] عبد الرحمن بدوي, دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي, دار العلم للملايين, بيروت, ط1, 1979, ص40

[2] إيفالد فاجنر,أسس الشعر العربي الكلاسيكي, الشعر العربي القديم, تر: سعيد حسن بحيري, مءسسة المختار للنشر والتوزيع, القاهرة,ط1, 2008, ص19

[3] نفسه, ص20

[4] نفسه, ص20

[5] نفسه, ص63

[6] نفسه, ص24

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

هذه بعض شهادات المستشرقين أوردناها هنا لأنها صادرة من غير العرب, فهي خير شهادة على قيمة شعرنا الجاهلي وخطره على شعر العصور التالية, ويمكن إجمال قيمته ودواعي اهتمام الدارسين به قديما وحديثا, من العرب ومن غير العرب فيما يلي:

1- الشعر الجاهلي هو الأصل وما تلاه فرع عنه, فدراسة الفرع توجب دراسة الأصل.

2- لا يمكن لأي دارس عربي أو أعجمي, أن يتعرف على حياة العرب وظروف معيشتهم قبل الإسلام بمنأى عن الشعر الجاهلي.

3- نزل القرآن الكريم موافقا للغة العرب في الجاهلية ومشيرا إلى كثير من عاداتهم وتقاليدهم الموروثة والتي غير منها كثيرا, فإذا أردنا فهم القرآن الكريم فهما دقيقا, وجب علينا أن نعرف لغة القوم في الجاهلية, وما أحاط بحياتهم من ظروف مختلفة, ولن يمنحنا هذا شيء أفضل من سجل الشعر.

4- الشعر الجاهلي أهم فنون العربية التي أبرزت الوجدان العربي, والنزعات الفردية المتعددة للإنسان الجاهلي, والذي عبر بفرديته تلك عن حياة الجماعة, فالشاعر إذ هو يتغنى بفرديته لم ينسلخ عن قبيلته, فجاء شعره صحيفة تعرض أخباره, وأخبار قومه, فهو لسان حالهم[1].

لهذه الأسباب ولغيرها عني الدارسون العرب والمستشرقون بدراسة الشعر الجاهلي دراسة فنية وموضوعية, وتطرقوا إلى كل قضاياه, ومن قبل ذلك عنوا بجمع هذا الشعر وتنقيحه وشرحه وبيان غريبه واستجلاء معانيه وغربلته وتمحيصه.

[1] أحمد عوين , من قضايا الشعر الجاهلي, دار الوفاء للطباعة, الإسكندرية, ط1, 2002, ص10

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الفصل الأول

صحة الشعر الجاهلي عند العرب القدامى

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الفصل الأول

صحة الشعرالجاهلي عند العرب القدامى

- آراء العرب القدامى في مسألة صحة الشعر الجاهلي
  - بواكير تدل على الإحساس بالقضية
  - ابن هشام مهذب السيرة يوسع دائرة المسألة
  - محمد بن سلام الجمحي: توسع في الطرح وتنظير منهجي
    - قول في منهج التأليف وتعليل للاستطراد
    - بسط القضية وتحديد مفهوم المصنوع المفتعل الموضوع
    - ذكر من تداولوا المصنوع المفتعل الموضوع
    - ذكر أهل العلم والرواية الصحيحة
    - صفة الناقد
    - أسباب نحل الشعر
    - نصه على شعراء بعينهم وذكره لأشعارهم المنحولة
- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : شروط الرواية وأسباب نحل الشعر
  - الطبيعة المواتية للأدب
  - المعرفة والاطلاع الواسع
  - الإنصاف
  - أسباب نحل الشعر وتمثيل للمنحول منه
- ابن قتيبة، أبو عبد الله محمد بن مسلم
- أبو الفرج الأصفهاني : الإسناد أساس توثيق النصوص
  - أخذه عن مصادر مكتوبة
  - جمعه بين مدرستين البصرية والكوفية
  - اعتماد السند لتوثيق النصوص
  - اتباعه منهج المحدثين في الجرح والتعديل
  - نماذج من الكتاب متعلقة بصحة الشعر

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

صحة الشعر الجاهلي عند العرب القدامى

قبل عرض آراء العرب القدامى في مسألة صحة الشعر الجاهلي علينا أن نعرج – بإيجاز – على رواية الشعر الجاهلي وتدوينه مع توضيح مفاهيم الوضع والنحل والانتحال، فمن المهم ألا نتجاوز هذه الأمور لأنها عمود بحثنا وعليها مداره.

لقد كانت الرواية الشفوية وسيلة أولى لنشر الشعر وذيوعه وحفظه، وقد ظلت على تلك الحال حتى عصر التدوين في نهاية القرن الثاني للهجرة وأوائل القرن الثالث[1]، فأغلب النصوص الشعرية– إن لم نقل كلها– انتقلت من جيل إلى جيل عبر الرواية الشفوية التي كانت بمثابة نهر كبير فاض بالشعر الجاهلي[2].

وكان يلازم الشاعر وينقل عنه شعره راوية أو أكثر، كما كان الشعراء يروون بعضهم عن بعض، فقد كان الأعشى راوية لخاله المسيب بن علس، وأبو ذؤيب كان راوية لساعدة بن جؤية الهذلي، وتتعدى الرواية الشاعر والقبيلة الواحدة إلى القبائل المختلفة، فعن أوس بن حجر التميمي أخذ زهير بن أبي سلمى المزني، وعن زهير أخذ ابنه كعب والحطيئة العبسي، وعن الحطيئة روى هدبة بن خشرم العذري، وعن هدبة روى جميل بن معمر، وعن جميل أخذ كثيّر عزة، ومن هذا يتضح لنا أن الرواة الشعراء من مختلف القبائل كانوا يشكلون سلسلة، يروي بعضهم عن بعض، ويتتلمذ الصغير عن الكبير.

وبقي هذا شأن الشعر إلى أن جاء الإسلام، ورغم انشغال العرب بالدين وانصرافهم إلى القرآن والفتوح، فإن روايته بقيت متصلة، فقد كان الرسول– صلى الله عليه وسلم– يستمع إلى الشعر ويطلب من الشعراء إنشاده، وكان حال الصحابة والخلفاء الراشدين كذلك، فقد تناشدوا الأشعار ورووها واستمعوا إلى قائليها وحكموا عليها[3].

وفي العهد الأموي نشطت الحركة الأدبية وعلت مكانة الشعر والشعراء، وزادت قيمة الرواة، فقُرِّبوا من الخلفاء والأمراء وأُجزِلَ لهم العطاء، فزادت الرواية نشاطا عن ذي قبل، وظهر رواة شعراء إلى جانبهم رواة تخصصوا في الرواية فقط اتخذوها حرفة وعلما أتقنوه

[1] عبد العزيز نبوي، دراسات في الأدب الجاهلي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثالثة، سنة2004.، ص53.
[2] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف بمصر، الطبعة السادسة والعشرون، سنة2007، ص142.
[3] نفسه، ص144 وما بعدها.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وبرعوا فيه، ومن هؤلاء انبثق مصلحو أخطاء الشعراء ومنقِّحو أشعارهم ومهذبوها، وقد كان إلى جانب هؤلاء القُصَّاصُ والنَّسَّابون والإخباريون والمؤرخون ورواة السيرة النبوية الذين اهتموا بجمع الشعر لحاجتهم إليه.

وفي منتصف القرن الثاني للهجرة ظهر الرواة والعلماء المحترفون الذين تفرغوا للرواية، واهتموا بحفظ اللغة والأشعار والأخبار والأيام، واتسع علمهم في ذلك، ومع اتساعه اتسعت دائرة الرواية، فظهرت رحلتان: من البوادي إلى الحواضر ليعرض الأعراب بضاعتهم الرائجة آنذاك، ومن الحواضر إلى البوادي يشد فيها العلماء الرِّحالَ إلى مواطن الصفاء اللغوي، ومن هؤلاء: محمد بن السائب الكلبي، وأبو عمرو بن العلاء، وحماد الراوية، والمفضل الضبي، وخلف الأحمر، وقد صار الرواة في هذا العصر فئتين: كوفية منعوتة بالتسامح في الرواية، عمادها السماع، فكان شعرها أغزر وأكثر، وبصرية متشددة تعتمد القياس ولا تتساهل مع الشذوذ، تتسم بالدقة وأكثر رواتها موثوق بهم، وإن لم تخلُ من الوضاعين، وكان بالكوفة كبير الرواة حماد الراوية الذي عرِفَ بالتزيد والكذب، وكان إلى جانبه أخرون كذابون عاصروه، مثل برزخ العروضي، وجناد، وهؤلاء أغلبهم من أصول غير عربية، وإلى جانبهم كان بالكوفة رواة ثقاتٌ كالمفضل الضبي، وأبو عمرو الشيباني، وابن الأعرابي، ومحمد بن حبيب، وابن السكّيت، وثعلب، وهؤلاء كانوا على درجة كبيرة من التثبت والدراية والصدق.

أما فئة البصرة فكان على رأسها أبو عمرو بن العلاء، وهو من أوائل نحاتها وأحد القراء السبعة، كان تقيا صالحا صادقا أمينا، وإلى جانبه ظهر هناك رواة فاسدون كخلف الأحمر الذي سلك مسلك أستاذه حماد الراوية، وإلى جانب سعة علمه كان شاعرا ماهرا، لكن ابن سلام وثقه في طبقاته، وكان هناك كذلك رواةٌ ثقات كالأصمعي وأبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة معمر بن المثنى، ويأتي بعدهم محمد بن السائب الكلبي وابنه هشام وأبو سعيد السكري الذي جمع الكثير من دواوين الشعر الجاهلي، وهؤلاء أقل مرتبة من سابقيهم[1].

وأما اتخاذ الكتابة وسيلةً لحفظ الشعر الجاهلي فلا وجود لدليل مادي يسعفنا على اعتبار أن الجاهليين حفظوا أشعارهم في الكتب، وانتقلت إلينا مكتوبة، فمن المعلوم أن

[1] إبراهيم محمد عبد الرحمان، الشعر الجاهلي: قضاياه الفنية والموضوعية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، طبعة سنة 1980م، ص81 وما بعدها.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الوسائل كانت صعبة وأن الكتاب لم ينتشروا في ذلك العصر انتشارا يسمح بتداولها بشكل واسع، وإن كانت هناك إشارات دالة على الكتابة في ذلك العصر، فإنما هي استجابة لبعض ضرورات الحياة، في مثل كتابة الصكوك التي تقيد بها الديون وحساب التجارة والعهود، والأحلاف، ورغم شيوع بعض الإشارات والتشبيهات للأطلال ورسوم الديار بالكتابة ونقوشها في أشعار الجاهليين إلا أنها في الحقيقة لا تعبر عن اعتبار الكتابة ظاهرة حضارية في ذلك العصر، فالشعر الجاهلي لم يدون إلا في حقبة متأخرة من عصر بني أمية ودليل ذلك أن الحديث النبوي الشريف على قداسته لم يدون تدوينا عاما إلا بعد مرور نحو قرن من الهجرة[1].

جاء في لسان العرب لابن منظور انتحل فلان شعر فلان أو قول فلان إذا ادَّعاه أنه قائله، وتنحَّله: ادعاه وهو لغيره، قال ابن هرمة:

ولم أتَنَحَّل الأشعار فيها ولم تُعْجِزْنِيَ المِدَحُ الجيادُ

ونحله القول ينحله نحلا نسبه إليه، ونحلته القولَ أنحله نحلا بالفتح إذا أضفت إليه قولا قاله غيره وادعيته عليه، وفلان ينتحل مذهب كذا، وقبيلة كذا إذا انتسب إليه ويقال: نُحِلَ الشاعر قصيدة إذا نُسبت إليه وهي من قيل غيره، وقال الأعشى في الانتحال:

فكيف أنا وانتحالي القوا (م) فيَ بعدَ المشيب كفى ذاك عارا!

وقيدني الشعر في بيته كما قيد الآسرات الحمارا

وتنحَّله مثله، قال الفرزدق:

إذا ما قلت قافية شرودا تنحَّلها ابن حمراء العِجانِ

وقال أبو العباس أحمد بن يحيى في قولهم: انتحل فلان كذا وكذا معناه: قد ألزمه نفسه وجعله كالملك له، وهي الهبة والعطية[2].

- ووضع الشيء وضعا: اختلقه[3].

وأما قضية الانتحال فهي قضية المقطوعات أو القصائد التي تُنسب إلى غير قائلها، وبمعنى آخر هي قضية الخطأ في رواية بعض جوانب النص أو في نسبته كله إلى غير قائله، والقضية تتضمن مصطلحات ثلاثة: النحل والانتحال، والوضع.

[1] عبد العزيز نبوي، دراسات في الأدب الجاهلي، ص54.
[2] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، سنة 2004، ج14، ص212-213.
[3] نفسه, ج15، ص231.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فالنحل أن يُنسب شعر رجل إلى رجل آخر، يقال: نُحِل الشاعر قصيدة إذا نُسبت إليه وهي لغيره.

والانتحال ادعاءُ الشعر، يقال: انتحل فلان شعر فلان أو تنحَّله أي ادعاه وهو لغيره.

والوضع أن ينظِمَ الرجل شعرا ثم ينسبه إلى غيره، وقد شاعت كلمة الانتحال لتكون مصطلحا لهذه القضية كلها، وقد ارتأى بعض الدارسين استعمال مصطلح النحل بدلا من الانتحال على أساس أن الانتحال أقل شيوعا من النحل، ومهما تغير المصطلح فإن هذه القضية تعالج مدى صحة الشعر الجاهلي، وهذه الظاهرة الأدبية عامة عرفها العرب وغير العرب كاليونان والفرس والهنود، فهي متعلقة بالإنتاج الأدبي، فلم تكن حِكرا على العرب، كما لم تكن حكرا على العصر الجاهلي، فرغم تطور الطباعة وشيوع الكتابة فما تزال ماثلة إلى اليوم، و لم تكن مقصورة على الشعر وحده، بل مست النثر والنسب والأخبار والحديث النبوي الشريف[1].

آراء العرب القدامى في مسألة صحة الشعر الجاهلي

مر بنا أن الشعر الجاهلي اعتمد في انتقاله ونشره على الرواية الشفوية، لأن الكتابة كانت حكرا على ما يتعلق بضرورات الحياة، فكان من الطبيعي أن يتعرض للضياع والنسيان وحتى الكذب، والتلفيق والسلب والإغارة مما دفع الدارسين قديما وحديثا للشك في صحة نسبة بعض الأشعار الجاهلية إلى أصحابها أو إلى العصر الجاهلي نفسه، وقد حدا ببعضهم أن ينكر وجوده من الأساس ويجعله شعرا موضوعا من قِبَلِ رواة العصر الإسلامي.

بواكير تدل على الإحساس بالقضية

انبرى علماء اللغة ورواة الشعر ينقُّون الشعر مما شابَهُ من بعض الأوضار ليردوه إلى عصره وأهله، وتتناثر في بطون كتب التراث روايات عن ظاهرة النحل، وتمييز الأصيل من المختلق وتبيين الصحيح من الزائف، ومن أمثلة ذلك قول أبي عبيدة معمر بن المثنى(ت: 211هـ): ((كان قراد بن حنش من شعراء غطفان، وكان جيد الشعر قليله، وكان شعراء غطفان تُغير على شعره فتأخذه وتدعيه، فمنهم زهير بن أبي سلمى، ادَّعى هذه الأبيات:

إن الرزية لا رزية مثلها ما تبتغي غطفان يوم أظلتِ

إن الركاب لتبتغي ذا مرة بجنوب نخلَ إذا الشهور أحلتِ

[1] عبد العزيز نبوي، دراسات في الأدب الجاهلي، 72-73.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ولنعم حشو الدرع أنت لنا إذا نـــهلت من العلق الرماح وعلَّتِ

ينعون خيـــر الناس عند كريهةٍ عظمت مصيبتهم هناك..وجلَّتِ))[1]

وأبو عمرو بن العلاء (ت154هـــ) ينص على أنه لايصح من أبيات ذي الإصبع العـــدوانى الضادية إلا أبيات ثلاثة، وأن سائرها منحول، والأبيات الصحيحة هي:

وليس الـــمرء في شيء من الإبرام والنقض

إذا يفعل شيـــئا خـــا (م) له يقضي وما يقضي

جديد العيـــش ملبوس وقد يوشك أن ينضي[2]

ويذهب أيضا إلى أن القصيدة المنسوبة إلى امرئ القيس والتى مطلعها

لا وأبيك ابنةَ العامـــر (م) ـــي لا يدعي القوم أنى أفر

هي لرجل من أولاد النمر بن قاسط يقال له:" ربيعة بن جشم، وأولها عنده:

أحارِ بنَ عمرٍو كأني خَمِرْ ويعدو على المرء ما يأتـــمر[3]

وينكر أبوعمرو الشيباني (ت213)أن يكون هذا البيت لعنترة وهو:

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم[4]؟

وها هو الأصمعي (ت215هـــ) يقول: ((أقمت بالمدينة زمانا ما رأيت بها قصيدة صحيحة إلا مصحفة أو مصنوعة))[5].

وقال أيضا: ((الناس يرون لأمية بن أبي الصلت القصيدة التي فيها:

من لم يمتْ عبطةً يمتْ هرما الموت كأس فالمرءُ ذائقها))

قال: ((وهذه لرجل من الخوارج))[6]، وأورد أبو حاتم السجستاني بيت زهير بن أبي سلمى:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا أبا لك يسأمِ

---

[1] ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص323، وما بعدها، وابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ج2، ص733-734.

[2] أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تح: لجنة من الأدباء, الدار التونسية للنشر, تونس, 1983, ج3، ص101-102.

[3] عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، السلفية، بمصر، 1347 هـ، ص337-338، نقلا عن مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ناصر الدين الأسد، ص326.

[4] أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج9، ص213.

[5] جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها, ص 760

[6] أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، عنيت بنشره جمعية نشر الكتب العربية بالقاهرة، المطبعة السلفية، مصر، سنة 1343هـ، ص78.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ثم قال: ((وكان الأصمعي يزعم أن القصيدة لأنس بن زنيم))[1]، ورغم قلة هذه الإشارات وعدم توسعها في طرح المسألة إلا أنها تعبر عما كان يعتمل في أذهان الرواة والعلماء من اهتمام بالغ بالشعر الجاهلي وصحته.

ابن هشام مهذب السيرة (ت218هـ) يوسع دائرة المسألة

قسم ناصر الدين الأسد صنيع ابن هشام في تهذيب سيرة محمد بن إسحاق بن يسار (85-151هـ) وتنقيتها من الشوائب التي علقت بها إلى أربعة أضْرُبٍ:

الضرب الأول: يورد أبيات الشعر التي أوردها ابن إسحاق وينسبها إلى من نسبها إليه ابن إسحاق ثم يضيف أنها قد تنسب كلها أو بعضها إلى غيره.

الضرب الثاني: يورد الحادثة التاريخية كما وردت في السيرة حتى إذا وصل إلى الشعر الذي قيل في هذه الحادثة أسقطه و لم يثبته لأنه لم يصح عنده.

الضرب الثالث: يذكر فيه أبياتا من الشعر الذي أورده ابن إسحق ويكتفي بها ولا يورد باقيها، ثم يقول: ((إن ذلك ما صح له.))

الضرب الرابع: يورد الشعر الذي أورده ابن إسحاق كاملا، ثم يذكر أنه منحول[2]، فمن الضرب الأول:

- ذكر بيت لأمية بن أبي الصلت الثقفي وهو:

من سبأ الحاضرين مأرب إذ يبنون من دون سيله العرما

عقَّب على ذلك ابن هشام بقوله: ((وهذا البيت في قصيدة له، وتُروى للنابغة الجعدي))[3].

- ويذكر قول ابن إسحاق:

((وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي في شأن الفيل، ويذكر الحنيفية دين إبراهيم- عليه السلام-:

إن آيات ربنا ثاقبات لا يُماري فيهن إلا الكفور

إلى قوله:

كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الحنيفية بورُ))

قال ابن هشام:

---

[1] ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، ص232.
[2] نفسه، ص237 وما بعدها.
[3] ابن هشام، السيرة النبوية، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، تح: أحمد شمس الدين، ط 2004، ج1، ص20.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

((تروى لأمية بن أبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي))[1].

- وقال زيد بن عمرو بن نفيل: أيضا- قال ابن هشام: ((هي لأمية بن أبي الصلت في قصيدة له، إلا البيتين الأولين والبيت الخامس، وآخرها بيتا، وعجز البيت الأول من غير ابن إسحاق))، والقصيدة في سبعة عشر بيتا أولها:

إلى الله أهدي مدحتي وثنائيا وقولا رصينا لا يني الدهر باقيا

إلى قوله:

فرب العباد ألقِ سيبا ورحمةً عليَّ وباركْ في بَنِيَّ ومالِيا[2]

- وقال سيف بن ذي يزن الحميري:

يظن الناس بالملكين أنهما قد التأما

ومن يسمع بالأمهما فإن الخطب قد فقما

إلى قوله:

يذوق مشعشعا حتى يُفيءَ السبيَ والنعما

قال ابن هشام: ((وهذه الأبيات في أبيات له، وأنشدني خلاد بن قرة السدوسي آخرها بيتا لأعشى بني قيس بن ثعلبة في قصيدة له، وغيره من أهل العلم بالشعر ينكرها له[3])).

- وذكر عدي بن زيد في قوله حصنا عظيما كالمدينة كان على شاطئ الفرات، وكان النعمان بن المنذر ملكا عليه، قال عدي بن زيد في أمر الحضْر[اسم الحصن]:

وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجـ ـلة تُجبَى إليه والخابورُ

شاده مرمرا وجلله كلـ ـسا فللطير في ذراه وُكورُ

لم يهبه ريب المنون فبان الملـ ـك عنه فبابه مهجور

قال ابن هشام: ((وهذه الأبيات في قصيدة له، والذي ذكره أبو دؤاد الإيادي في قوله:

وأرى الموت قد تدلَّى من الحضـ ـر على رب أهله الساطرون

فهذا البيت في قصيدة له، ويقال إنها لخلف الأحمر، ويقال: إنها لحماد الراوية))[4].

ومن أمثلة الضرب الثاني:

---

[1] ابن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص59، 60.
[2] نفسه، ج1، ص183-184.
[3] نفسه، ج1ص63.
[4] نفسه، ج1، ص68, 69.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

– أورد مسير أبي كرب تبان أسعد إلى يثرب وغزوه إياها، فلما وصل إلى شعر خالد بن عبد العزى الذي فيه:

حنقا على سبطين حلا يثربا أولى لهم بعقاب يوم مفسدِ

قال ابن هشام: ((الشعر الذي فيه هذا البيت مصنوع، فذاك الذي منعنا من إثباته))[1].

–وأورد ما ذكره ابن إسحاق من نذر عبد المطلب ذبح ولده ، فقام بحذف ما جاء في تضاعيف هذا الحديث من شعر وقال: ((وبين أضعاف هذا الحديث رجز لم يصحَّ عندنا عن أحد من أهل العلم بالشعر))[2].

ومن أمثلة الضرب الثالث :

قال ابن إسحاق: وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي:

ليطلب الوتر أمثال ابن ذي يزن ريم في البحر للأعداء أحوالا

إلى قوله :

تلك المكارم لا قعبان من لبن شِيبا بماء فعادا بعدُ أبوالا

قال ابن هشام: ((وتروى لأمية بن أبي الصلت، وعقب قائلا: هذا ما صح له مما روى ابن إسحاق

منها، إلا آخرها بيتا قوله: تلك المكارم ... فإنه للنابغة الجعدي[3]))

– وقال الحارث بن ظالم بن جذيمة بن يربوع في ستة أبيات :

فما قومي بثعلبة بن سعد ولا بفزارة الشُّعْرِ الرقابا

إلى قوله:

وخَشَّ رواحَةُ القُرَشي رحلي بناجية و لم يطلب ثوابا

قال ابن هشام : ((هذا ما أنشدني أبو عبيدة منها[4].))

– وقال ابن إسحاق : ((وقال عمرو بن الحارث يذكر بكرا وغبشان وساكني مكة الذين خلفوا فيها بعدهم :

يا أيها الناس سيروا إن قصركم أن تصبحوا ذات يوم لاتسيرونا

حثوا المطي وأرخوا من أزمتها قبل الممات وقضُّوا ما تقضُّونا

---

[1] ابن هشام , السيرة النبوية، ج1، 27-28.
[2] نفسه، ج1، ص130-133.
[3] نفسه، ج1، ص63-64.
[4] نفسه، ج1، ص91-92.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

كنا أناسا كما كنتـــم فغيـــرنا دهر فأنـــتم كما كنـــا تكونونا

قال ابن هشام هذا ما صح له منها، وحدثني بعض أهل العلم بالشعر أن هذه الأبيـــات أول شعر قيل في العرب، وأنها وُجدت مكتوبة في حجر باليمن، و لم يسم قائلها[1].))

– قال أبو طالب يستعطف قريش :

ولما رأيت القوم لا ود فيهم وقد قطعوا كل العرى والوسائل

إلى قوله

فإن تك كعب من لؤي صقيبة فلا بد يوما مرة من تـــزايـــل

فذكر ابن هشام منها أربعة وتسعين بيتا ثم قال: ((هذا ما صح لي من هذه القصيدة وبعـــض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها[2].))

ومن أمثلة الضرب الرابع:

قال ابن إسحاق فقال أبو بكر الصديق في غزوة عبيدة بن الحارث:

أمن طيف سلمى بالبطاح الدمائث أرِقْتُ وأمر في العشيرة حادث؟

إلى قوله:

فإن تشعثوا عرضي على سوء رأيكم فإنيَ من أعراضكم غير شاعث

قال ابن هشام : ((وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها له.))

فأجاب عبد الله بن الزِّبعُرَى السهمي يرد على أبي بكر فقال:

أمن رسم دار أقفرت بالعثاعث بكيت بعيـــن دمعها غير لابث

قال ابن هشام: ((تركنا منها بيتا واحدا، وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لابـــن الزبعرى[3].))

ونصادف في ثنايا السيرة النبوية مآخذ مختلفة على ابن إسحاق لا تنتمي إلى الأضـــرُب الأربعة السابقة، من أمثلة ذلك: قال ابن إسحاق: قال أمية بن أبي الصلت يبكي زمعـــة بـــن الأسود وقتلى بني أسد:

عين بكِّي بالمسبلات أبا الحـــــارث لا تدخري على زمعه

[1] ابن هشام , السيرة النبوية , ج1، ص104-105.
[2] نفسه، ج1، ص217.
[3] نفسه ، ج2، ص170-171.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

قال: ابن هشام: (هذه الرواية لهذا الشعر مختلطة، وليست بصحيحة البناء)[1].

- وقال عباس بن مرداس السلمي:

أصابت العامَ رعلا غولُ قومهمُ وسْطَ البيوت ولون الغول ألوان

إلى قوله:

تكاد ترجف منه الأرض رهبته وفي مقدمـــه أوس وعثـــمان

قال ابن إسحاق: (أوس وعثمان قبيلا مزينة)

قال ابن هشام: (من قوله:

أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها مني رســـالة نصح فيه تبيان

إلى آخر القصيدة، في هذا اليوم وما قبل ذلك في غير هذا اليوم وهما مفصولتان ولكـــن ابـــن إسحاق جعلهما واحدة)[2].

من هذه الأمثلة يتضح لنا أن ابن هشام تعقب ابن إسحاق، فنقد الشعر وبين الفاســـد الموضوع وأوضح نقد العلماء له، وذكر الروايات الصحيحة، وكان له في كل هـــذا الجهـــد عرض الأشعار المشكوك فيها على العلماء، وإيرادها كما نقدوها،مع إضافة بعـــض آرائـــه الخاصة، وهو جهد ينِمُّ عن شعور بالقضية وبعض دراية بعلم الشعر وإن عد ابن هشام مـــن الذين قل علمهم بأمر الشعر.

[1] ابن هشام , السيرة النبوية ، ج3، ص 30, 31
[2] نفسه, ج4, ص 76, 77

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

محمد بن سلام الجمحي(139-237هـ): توسع في الطرح وتنظير منهجي

لقد كان ابن سلام أول من بحث مسألة صحة الشعر الجاهلي بحثا منظما مستفيضا في كتابه: ((طبقات فحول الشعراء)) ، فقد دون فيه كثيرا من ملاحظات أهل العلم والدراية، برواية الشعر القديم من أساتذة المدرسة البصرية التي ينتمي إليها، كما أضاف إلى ذلك من ملاحظاته الشخصية، فهو بصنيعه ذلك يعد أول من فتح للنقاد سبيل تصحيح المخطوء ورد المنحول وتحذير الباحثين وتنبيههم إلى ما أجمع الرواة على صحته مما لا يستطيع أحد أن يخرج عليه[1].

وقد اتسمت جهود سابقيه في طرح القضية بالاقتصار على صحة بعض الأشعار أو على صحة نسبتها إلى قائليها، أو بيان ما في الرواية من تزيد أو نقصان، أما ابن سلام فقد تجاوزت دراسته ذلك إلى الوصف والتحليل والتعليل، وإلى انتقاله من الجانب النظري إلى التطبيق، لقد قدم بذلك نظرية ساقها في منهج علمي مضبوط[2].

قول في منهج التأليف وتعليل للاستطراد:

لمحمود محمد شاكر قول في منهج تأليف الكتاب وتعليل لاستطراده الذي قد يراه القارئ إخلالا بمنهج التأليف ، وقد توسع شاكر في توضيح ذلك فارتأينا إيجاز توضيحه.

استفتح ابن سلام عرض كتابه وسبب تأليفه بالفقرة الثانية بقوله :((ذكرنا العرب وأشعارها ، والمشهورين المعروفين من شعرائها.....،فبدأنا بالشعر))[3].

إن قارئ هذه الفقرة يتضح له أن ابن سلام ((أراد أن يبين منهجه في تأليف الكتاب ، أنه سيذكر بعقب ذلك تتمة عرضه لعمله في التأليف ، ولكنه قطع هذا العرض فجأة ، و لم يعد إلى وصل الحديث عنه إلا في الفقرة الحادية والثلاثين ،فقال متمما ما بدأ به))[4].

((ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام ، والمخضرمين ...،وما قال فيه العلماء))[5].

يلي ذلك استطراد في حديث متصل عن هذا الشعر منذ انتهائه من الفقرة الحادية والثلاثين، ليعود في الفقرة الخامسة والخمسين متمما عرض كتابه أيضا بقوله :((ثم إنا اقتصرنا بعد

---

[1] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ص164.
[2] عثمان موافي، دراسات في النقد الأدبي، دار الوفاء بمصر، طبعة 2004، ص65-66.
[3] محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج1، ص3.
[4] محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، دار المدني بجدة، طبعة دون تاريخ، ص25.
[5] محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج1، ص23-24.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الفحص والنظر والرواية عمن مضى من أهل العلم -إلى رهط أربعة ، اجتمعوا على أنهم أشعر العرب طبقة....))[1].

وختم بهذه الفقرة مقدمة كتابه، وفي خلالها بعض الاستطراد،وعلى هذا الأساس ترتب سياقات منهج التأليف على النحو التالي:

- السياق الأول: يتضمن منهج الكتاب، ويشمل الفقرة الثانية والفقرات الممتدة من الفقرة الواحدة والثلاثين إلى الفقرة الخامسة والخمسين، وحتى يتضح السياق الأول توصل فقراته كالتالي: ((..فبدأنا بالشعر)) ، ((ففصلنا الشعر من أهل الجاهلية والإسلام))، ((ثم إنا اقتصرنا...بعد الفحص والنظر والرواية...))

- السياق الثاني: ويتضمن الحديث عن المصنوع المفتعل الموضوع، ويشمل الفقرات الممتدة من الفقرة الثالثة إلى الفقرة الثالثة عشرة، أي من قوله: ((وفي الشعر مصنوع مفتعل موضوع...))، إلى قوله: ((وقال عمرو بن العلاء في ذلك: ما لسان حِمْيَر وأقاصي اليمن اليوم بلساننا..)).

- السياق الثالث: ويتضمن الحديث عن علماء العربية، ويمتد من الفقرة الرابعة عشرة إلى الفقرة الثلاثين، من قوله: ((وكان لأهل البصرة في العربية قُدمة...))، إلى قوله: ((وكان الأصمعي وأبو عبيدة من أهل العلم...))

ويبرر محمود محمد شاكر هذا الاستطراد بأن ابن سلام أعاد كتابة نسخته الأولى مرة ثانية، وكان قد ((بدا له على عجل أن يُقحم في كلامه هنا خاطرا جديدا في الحديث عن المصنوع المفتعل الموضوع، ففصل بين الكلامين المتعانقين تعانقا تاما بما أثبته من أول الفقرة الثالثة إلى آخر الفقرة الثلاثين))[2].

وقد جاء هذا الاستطراد على قسمين: قسم متعلق بالموضوع المفتعل المصنوع، وثانٍ متعلق بعلماء العربية.

وما يكاد مقطوعا - في نظر شاكر- أنه عاد إلى كتابة نسخته الأخيرة، فأقحم عليها زيادات لم تكن ضمن منهج الكتاب، وهذه الزيادات كتبها قبيل وفاته، فنوبة العلة التي كانت تنتابه

[1] محمد بن سلام الجمحي, طبقات فحول الشعراء، ج1، ص49.
[2] محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، ص53.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

بين الحين والآخر وبلوغه التسعين جعلاه يقحمها مما أحدث له اضطرابا وخللا في سياق الكلام[1].

بسط القضية وتحديد مفهوم المصنوع المفتعل الموضوع.

قطع ابن سلام عرض منهج تأليف كتابه مستطردا بقوله: ((وفي الشعر مصنوع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه، ولا حجة في عربية، ولا أدب يستفاد، ولا معنى يستخرج، ولا مثل يضرب، ولا مديح رائع، ولا هجاء مقذع، ولا فخر مُعجب، ولا نسيب مستطرف، وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب، لم يأخذوه عن أهل البادية، و لم يعرضوه على العلماء، وليس لأحد – إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه– أن يقبل من صحيفة، ولا يروى عن صحفي))[2].

إن هذا القطع المفاجئ عن تتمة منهج التأليف يوحي بأن ابن سلام وكأنه ((لا يريد أن يدخر شيئا من حدة إقباله الاستفزازي على موضوعه، فبدأ من نقطة السلب لا الإيجاب، من المنفي لا المثبت ليزيله عن طريقه، فكأنه استخار وتوكل ليفرش بساط التحدي[3]...))

لقد هجم بغتة على إحدى قضايا الشعر الخطيرة، وقام بإسقاط الموصوف عن هذا الغثاء المتهافت المستقبح، فلم يقل: ((وفي الشعر شعر مصنوع...))، لأنه كان يدرك أن ذكر الموصوف يجعل هذا المصنوع مضارعا للشعر الحقيقي، قسيما ومشاركا له في الاسم، نظيرا له، إنه أنكر اعتباره شعرا معهودا في بديهة اللغة[4].

وبذكر صفات المفتعل الموضوع حدد ابن سلام غاية الشعر الحقيقي الذي يحمل صفات مناقضة للأول ففيه أدب يستفاد، معنى يستخرج، مثل يضرب كما حدد لنا مستوى أدائه الفني، ففيه: مديح رائع، هجاء مقذع، فخر مُعجِب، نسيب مستَطرف، لقد حدد لنا أوصاف السالب لنستخلص منها أوصاف الموجب الذي لا ينافي بديهة اللغة[5].

---

[1] محمود محمد شاكر, قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، ص54.
[2] محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج1، ص4
[3] سليمان الشطي، ثلاث قراءات تراثية، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا، طبعة 1، 2000، ص84.
[4] محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، ص32.
[5] سليمان الشطي، ثلاث قراءات تراثية، ص100.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ذكر من تداولوا المصنوع المفتعل الموضوع

في قول ابن سلام: ((وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب...))، ذكر قوما، وذكر كتبا، ولكنه لم يفصح عن هؤلاء عدا ابن إسحاق وكتابه السيرة، وقد استخلص شاكر الباقي منهم ممن لم يصرح بهم، وهم ممن عرفهم ابن سلام وغيره من أهل زمانه، وعد منهم:

- عبيد بن شرية الجرهمي: (ت:67هـ) له كتاب (الأمثال) و (كتاب الملوك وأخبار الماضين).

- وهب بن منبه الصنعاني (34-114هـ)، كان ثقة، ولكنه كان حفيا بأخبار الماضين، له كتب منها (كتاب الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم).

- محمد بن إسحاق صاحب السيرة (85-151هـ)، كان عالما ثقة مشهورا، وكان يشتهي الحديث والأخبار ويأخذ كتب الناس ويضعها في كتبه، له من الكتب أيضا (كتاب المبتدأ).

- الشرقي بن القطامي (الوليد بن الحصين) الكلبي (ت: 155هـ)، كان صاحب سمر وحديث، أخذ عنه الناس في كتبهم أخبارا كثيرة.

- محمد بن السائب الكلبي (ت: 146هـ) ولده هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة(204 هـ)، والذي أكثر الرواية عن أبيه، له كتب كثيرة في أخبار العرب وأيامهم وأشعارهم وأنسابهم.

- علان الشعوبي: له كتب في مثالب العرب.

- إدريس بن سنان وولده عبد المنعم، جده لأمه وهب بن منبه، روى كتب أبيه وكتب جده، كان عبد المنعم يشتري كتب السير من السوق ويرويها، وما سمعها قط.

أما ما بقي بين أيدينا من هذه الكتب ثلاثة وهي:

- كتاب عبيد بن شرية الجرهمي.

- كتاب وهب بن منبه في الملوك المتوجة من حمير وأتباعهم، رواه ابن هشام وتركه بغثائه.

- كتاب السيرة لابن إسحاق بعد أن هذبه ابن هشام.

وفي هذه الكتب الثلاثة نجد شعرا صحيحا، شعرا صحيحا مخلوطا بغثاء، غثاء محضا، وهؤلاء القوم تداولوا بعض الشعر الصحيح الذي يخالطه كلام مصنوع مفتعل موضوع شبيه بالشعر ولكنه ليس شعرا، إنه يضارعه في الشكل الخارجي، أما روحه فمنزوعة، كما لم يتلَقَّ هؤلاء

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

القوم الشعر من أهل البادية، و لم يعرضوه على العلماء ليميزوا صحيحه من زائفه، لقد أثبتوا هذا الغثاء في كتب تداولوها من كتاب إلى كتاب، أو تناقلوها رواية ثم نقلت عنهم وأثبتت في الكتب.

ولا يستقر في الأذهان أن ابن سلام ينفي علم الكتب كله، ((وإنما ينهى عن الكتب المؤلفة التي فيها شعر صحيح خولط بغث من الكلام رديء))، كما ينهى عن الأخذ والرواية عمن يعتمد في رواية هذه الأشعار على هذه الكتب[1].

ذكر أهل العلم والرواية الصحيحة:

وقد تضمنهم السياق الثالث من الاستطراد ،من قوله: ((كان لأهل البصرة في العربية قُدمة ...)) إلى قوله: ((وكان الأصمعي وأبو عبيدة من أهل العلم، وأعلم من ورد علينا من أهل الكوفة المفضل الضبي.)).

بدأ ابن سلام بأبي الأسود الدؤلي (ت69هـ) أخذ عنه يحي بن يعمر العدواني، ثم أخذ ذلك عن يحي قتادة بن دعامة السدوسي وميمون الأقرن وعنبسة الفيل ونصر بن عاصم الليثي، وأخذ عن هؤلاء عبد الله بن إسحاق الحضرمي (ت 127هـ)، ومعه أبو عمرو بن العلاء الذي بقي طويلا بعد ابن أبي إسحاق حتى توفي سنة (159هـ)، وقد أخذ ابن سلام نفسه عن أبي عمرو، كما أخذ عنه أيضا عيسى بن عمر الثقفي (ت150هـ)، وأخذ عن أبي عمرو يونس بن حبيب (90-182هـ) ومعه مسلمة بن عبد الله بن سعد بن محارب الفهري وهو مسلمة النحوي، وجُمِع علم هؤلاء في صدر الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ)، فهؤلاء هم نقلة الشعر وجُمَّاعُهُ بالبصرة في ذلك العهد لِيَلِيَهُ عهد جديد لنقل الشعر بهذا المصر على يد أبي محرز خلف بن حيان الأحمر (ت180هـ)، ثم الأصمعي (ت216هـ)، وأبي عبيدة معمر بن المثنى (112هـ-211هـ)[2].

وختم هؤلاء بكوفي واحد هو المفضل الضبي (ت170هـ) وهو قديم في طبقة يونس بن حبيب والخليل، لقد خص بالذكر علماء البصرة فقط، وهذا اعتزاز وافتخار منه بأساتذة مدرسته التي أطال المكث فيها وجالس شيوخها واستمع إليهم مدة طويلة من الزمن، فلما بلغ الثانية والثمانين من عمره رحل الى بغداد فوجد علماءها يساوون بين البصريين والكوفيين،

[1] محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، من ص 74 إلى ص 84
[2] نفسه، ص84-85

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فأزعجه ذلك ليعلن تعصبه لعلماء مدرسته، أما ذكر المفضل الضبي الكوفي فذلك لأنه قدم البصرة ورآه ابن سلام الجمحي وسمع منه في صدر حياته[1].

إن ابن سلام لم يضع في كتابه طبقات للنحويين كما يتوهم البعض، فهؤلاء أغلبهم نحاة أئمة، ولكنه لم يُرِد نحوهم بل أراد علمهم بالشعر، ثم إن الزمن الأول كان قد فرض على عالم العربية علما بالشعر وروايته، فأصل بناء علمهم هو الشعر ولولاه لما ظهر النحو ولضاعت العربية، فهؤلاء جمعوا إلى علم العربية الشعر وروايته والتوثق من صحته[2].

صفة الناقد

في قوله ((وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات: منها ما تثقفه العين، ومنها ما تثقفه الأذن، ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما يثقفه اللسان، من ذلك اللؤلؤ والياقوت ،لا تعرفه بصفة ولا وزن ، دون المعاينة ممن يبصره ....، ويعرفه الناقد عند المعاينة...يعرف ذلك العلماء عند المعاينة والاستماع له، بلا صفة ينتهى إليها، ولا علم يوقف عليه، وإن كثرة المدارسة لتعدي على العلم به، فكذلك الشعر يعلمه أهل العلم به[3].))

في هذه الفقرة يحدد ابن سلام ركيزتين أساسيتين لمعرفة الشعر، الصناعة والثقافة، ((الأولى تشير إلى الحرفة، أي الناقد الحقيقي الذي بلغ حد الاحتراف، والثانية الثقافة، وهي المعرفة الدقيقة بجيد الشعر ورديئه[4].))

إن العلم لدى الناقد المتمرس يمتزج بشعوره وإحساسه، إنها المعرفة الحدسية والتي بمقتضاها يتجاوز الناقد مرحلة الدرس إلى لحظة التأمل والنفاذ إلى أغوار النص والتي لا يدرك كنهها بمجرد العلم بها، ولكنها تحس بذوق رفيع، وهذا هو الشرط الأساسي الذي نصل به إلى مرحلة تمييز الشعر وفهمه وتذوقه.

ويرى إحسان عباس أن ابن سلام ((نقل ميدان الخصومة بين الشعر القديم والمحدث وجعلها حول الناقد البصير وغير البصير، إذ لم تكن المشكلة في نظره مشكلة قدم وحداثة، وإنما كانت تربية القدرة على الحكم لفرز الأصيل من الدخيل في هذا الميدان، ومتى تحقق

---

[1] محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام ، ص84-85.
[2] نفسه، ص 87-88.
[3] ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ج1، ص5-6-7.
[4] سليمان الشطي، ثلاث قراءات تراثية، ص103.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وجود الناقد سهل بعدئذ أن نصل إلى الصواب، ولكن ابن سلام يمنح الناقد سلطانا مطلقا، فمتى قال رأيه في أمر وجب على الآخرين أن يأخذوا بحكمه لأنهم لا يحسنون ما يحسنه[1].))

وليوضح أمر الناقد البصير بالشعر يورد ابن سلام حوارا بين علمين متفاوتي الدرجة في العلم بالشعر فيقول: ((قال خلاد الباهلي لخلف بن حيان أبي محرز- وكان خلاد حسن العلم بالشعر يرويه ويقوله-: بأي شيء ترد هذه الأشعار التي تروى؟ قال له: هل فيها ما تعلم أنت أنه مصنوع لا خير فيه ؟ قال: نعم، قال: أفتعلم في الناس من هو أعلم بالشعر منك؟ قال: نعم، قال: فلا تنكر أن يعلموا من ذلك أكثر مما تعلمه أنت))[2].

إن السائل وهو خلاد الباهلي، يراه ابن سلام ((حسن العلم بالشعر، يرويه ويقوله)) ولكنه لا يرقى إلى المستوى العالي للناقد والذي يتمثل في خلف، لقد قال عنه أن أصحابه اجتمعوا على ((أنه كان أفرس الناس ببيت شعر، وأصدقه لسانا، كنا لا نبالي إذا أخذنا عنه خبرا ، أو أنشدنا شعرا، أن لا نسمعه من صاحبه))، فهو عنده المستوى الأمثل لنقد الشعر وتمحيصه، لأنه ملك الذوق العالي وإدراك دقائق الشعر، وصدق اللسان في نظره، لقد جمع الصناعة والثقافة ليبلغ بذلك حد الناقد البصير، أما خلاد فهو من أصحاب العموميات، لا يمكنه الغوص إلى أعماق الشعر، لذلك لم يدرك سر رفض خلف لبعض المرويات[3].

إن ابن سلام ((لو سئل كيف كان يتصور الناقد البصير الذي يجب أن يأخذ الناس أحكامه مأخذ التسليم لأشار إلى خلف الأحمر [4].))

في قوله: ((وقال قائل لخلف: إذا سمعت أنا بالشعر أستحسنه فما أبالي ما قلت أنت فيه وأصحابك، قال: إذا أخذت درهما فاستحسنته فقال لك الصراف: إنه رديئ فهل ينفعك استحسانُك إياه[5] ؟))

إن جواب خلف في هذه الفقرة يختلف عن جوابه في الفقرة التي سبقتها، فالسائل الأول وهو خلاد الباهلي أجابه على قدر علمه بالعموميات من الشعر، أما هذا الجواب فهو سؤال

---

[1] إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، لبنان، الطبعة5، سنة 1986، ص78.
[2] ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ج1، ص7.
[3] سليمان الشطي، ثلاث قراءات تراثية، ص106.
[4] إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص32.
[5] ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ج1، ص7.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

سائل جاهل معرفته سطحية جدا، فهي لا ترقى إلى مستوى العموميات، ولا إلى مستوى الغوص في أغوار الشعر، لذلك مَثَّلَ له خلفٌ بالمادي ليقرب له وصفا للناقد، مثل له بالصراف الخبير بشؤون النقود فيميز بين صحيحها وزائفها، إن تمثيله بالمادي الملموس هو تقريب للمفهوم لهذا السائل الجاهل فقط، مما ينفي اعتبار الناقد العالم بالشعر كالصراف، فالناقد ليس بمفهوم الحرفي، وإن كانت هذه مرحلة أولى من مراحل النقد، بعدها يتجاوز معرفة الصراف إلى مراحل أخرى أعمق بها يُدرك كنه الشعر في شكله ومضمونه وكل ملابساته[1].

أسباب نحل الشعر

يردها ابن سلام إلى ثلاثة أسباب هي:

1- تزَيُّدُ القبائل في شعر شعرائها:

وقد أوضح ذلك في قوله: ((فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها استقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم، وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار فقالوا على ألسنة شعرائهم[2]))، وقد مثل لذلك بحسان بن ثابت حين ذكر شعراء القرى العربية فقال عنه: ((أشعرهم حسان بن ثابت وهو كثير الشعر جيده وقد حمل عليه ما لم يحمل على أحد لما تعاضهت قريش واستبت وضعوا عليه أشعارا كثيرة لا تنقى[3].))

فالكثير من الشعر نسب إلى حسان بن ثابت وليس له، وعلة ذلك أن قريشا رمى بعضها بعضا بالإفك والبهتان والشتيمة وبما لا يليق فأضافت إلى شعر حسان الكثير.

ويلحق بذلك ما كان يقوم به أبناء الشعراء وأحفادهم من تزيد كما فعل ابن داوود بن متمم بن نويرة الذي قال فيه: ((أخبرني أبو عبيدة أن ابن داود بن متمم بن نويرة قدم البصرة في بعض ما يقدم له البدوي من الجلب والميرة، فنزل النحيت فأتيته أنا وابن نوح العطاردي، فسألناه عن شعر أبيه متمم، وقمنا له بحاجته وكفيناه ضيعته، فلما نفد شعر أبيه جعل يزيد في

[1] سليمان الشطي، ثلاث قراءات تراثية، ص107.
[2] ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ج1، ص46-47.
[3] نفسه، ج1، ص215.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الأشعار يصنعها لنا، وإذا كلام دون كلام متمم، وإذا هو يحتذي على كلامه، فيذكر المواضع التي ذكرها متمم، والوقائع التي شهدها، فلما توالى ذلك علمنا أنه يفتعله))[1].

هذه الفقرة تحمل أمرين: أمر ما كان يقوم به أبناء الشعراء وأحفادهم من زيادة لأشعارهم، وهذا لنيل كسب مادي أومعنوي، وأمر الإشكال الذي كان يحدث للعلماء أمام هذا اللون من المصنوع، ورغم ذلك فان العالم البصير بالشعر، المتذوق له، المدرك لحقائق أصحابه لا يخفى عليه الأمر، فهاهو أبو عبيدة لتضلعه في الشعر عرف تزيد ابن داود.

2- الرواة الوضاعون والقصاص والإخباريون :

وهؤلاء الذين عناهم ابن سلام في هذا الموضوع، فإنهم يدخلون في دائرة غير المتخصصين بالشعر الجاهلي وخاصة ابن إسحاق وحماد ومن يضارعهما في سوق الأكاذيب والتلفيقات فعن حماد قال ((وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها حماد الرواية، وكان غير موثوق به وكان ينحل شعر الرجل غيره، ويزيد في الأشعار))[2]، ويقول عنه في موضع ثان: ((أخبرني أبو عبيدة، عن يونس، قال: قدم حماد البصرة على بلال بن أبي بردة وهو عليها فقال: أما أطرفتني شيئا؟ فعاد إليه فأنشده القصيدة التي في شعر الحطيئة مديح أبي موسى، قال: ويحك! يمدح الحطيئة أبا موسى لا أعلم به وأنا أروي شعر الحطيئة ؟! ولكن دعها تذهب في الناس))[3].

وفي موضع ثالث قال: ((أخبرني أبو عبيدة، عن عمر بن سعيد بن وهب الثقفي قال: كان حماد لي صديقا ملطِفا، فعرض علي ما قبله يوما، فقلت له: أملِ عليَّ قصيدة لأخوالي بني سعد بن مالك، لطرفة، فأملى علي:

إن الخليط أجد منتقلُهْ ولذاك زمت غدوة إبِلُهْ

عهدي بهم في النقب قد سندوا تهدي صعابَ مطيهم ذُلُلُهْ

وهي لأعشى همدان[4]))، ويقول: ((وسمعت يونس يقول: العجب ممن يأخذ عن حماد، وكان يكذب ويلحن ويكسر))[5].

---

[1] ابن سلام، طبقات فحول الشعراء , ج1، ص47-48.
[2] نفسه ، ج1، ص48.
[3] نفسه، ص48.
[4] نفسه ص48-49.
[5] نفسه، ص49.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فحماد الراوية واحد من الرواة المحترفين من أمثال: أبي عمرو بن العلاء وخلف الأحمر ومحمد بن السائب الكلبي والمفضل الضبي، وقد استقوا روايتهم من القبائل والأعراب البدو، فكان منهم من يشد الرحال صوب البوادي قاصدا مواضع الصفاء اللغوي والأشعار الجاهلية، كما كان من البدو من يهاجر إلى الكوفة والبصرة ليعرض بضاعته على الرواة العلماء، وقد كانت بداية هاتين الرحلتين خدمة لألفاظ القرآن الكريم، فقد جرت العادة منذ ابن عباس على الاستشهاد بالشعر الجاهلي في شرح ألفاظ القرآن، ويقابل هؤلاء المفسرين واضعو قواعد اللغة العربية وجامعو ألفاظها، وكانت الركيزة الأولى آنذاك هي الشعر الجاهلي، ولكن سرعان ما انفصلت هاتان الغايتان عن عمل الرواة، وصار القصد من جمع الشعر لذاته فقط، وزادت موجة الرواية حدة، فصار ذكر الأسانيد نادرا[1].

وقد حاول بعض الدارسين نفي الاتهامات عن حماد، لأنهم يرون أنها ناشئة عن المنافسة الشديدة والتي كانت قائمة بين المدرستين، فكونه كوفيا لاقى الطعون في ثقته من البصريين، والحقيقة القائمة أن الرواة الأثبات من مدرسته كانوا يشركون البصريين في نفس التهمة، فابن الأعرابي الكوفي يروي عن المفضل أنه قال: ((قد سُلِّطَ على الشعر من حماد الراوية ما أفسده، فلا يصلح أبدا، فقيل له: كيف ذلك؟ أيخطئُ في روايته أم يلحن؟ قال: ليته كان كذلك، فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب، لا، ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره ويُحمل ذلك عنه في الآفاق فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد وأين ذلك؟))[2].

فالتهم التي نالت من حماد ذات مصادر كوفية وبصرية، ولم يكن وحده في هذا، فقد شاركه رواة من الكوفة عاصروه واشتهروا بالوضع من أمثال: برزخ العروضي، وكان من أكذب الناس في الرواية، وجناد الذي كان يخلط في الأشعار ويصحف ويلحن.

وإن خلفا الأحمر الذي اعتبره ابن سلام نموذج الناقد البصير بأمور الشعر، ووصفه بصدق اللسان لم تبرأ ساحته من نحل الشعر، فرغم بصريته فإنه لم يسلم من الاتهامات التي سُلطت على روايته[3].

---

[1] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ص149.
[2] إبراهيم عبد الرحمن محمد، الشعر الجاهلي وقضاياه الفنية والموضوعية، ص96, 97.
[3] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ص153.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

أما رواة الأخبار والسير وممن يسوقون الأقاصيص فقد أشرنا إلى بعـــضهم في بدايـــة الحديث عن مفهوم المصنوع المفتعل الموضوع، وكان ابن سلام قد أضمر القول فيهم، ولكنه مثَّل لهم بابن إسحاق الذي أطال الحديث عنه فقال:

((وكان ممن أفسد الشعر وهجَّنه وحمل كل غثاء منه محمد بن إسحق بن يسار، مـــولى آل مخرمة بن عبد المطلب بن عبد مناف، وكان من علماء الناس بالسير، قال الزهري: لا يزال في الناس علم ما بقي مولى آل مخرمة، وكان أكثر علمه بالمغازي والسير وغير ذلك، فقبل الناس عنه الأشعار، وكان يعتذر منها ويقول: لا علم لي بالشعر، أتينا به فأحمله، ولم يكن ذلك له عذرا فكتب في السير أشعار الرجال...))[1].

إن ابن إسحاق يمثل من غلبت عليهم صفة عدم التخصص الدقيق في علم الشعر، فهو عالم في السيرة، وقد أورد ابن سلام تزكية الزهري له، أما حين تعرضه للشعر فهو نفسه أعلن صراحة عدم معرفته به، وهو اعتذار رفضه ابن سلام، إنه واحد من الذين تـــداولوا الـــشعر الصحيح الذي يخالطه كلام مصنوع مفتعل موضوع، وقد نفى ابن سلام زيفه فأردف الفقرة السابقة والمتعلقة بابن إسحاق بأقوال لاحقة هي ذات ارتباط بحديثه عنه وهي:

- ما نقله عن يونس بن حبيب بقوله: ((أول من تكلم بالعربية ونسيَ لسان أبيه إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما))[2].

- وما أخبره به يونس عن أبي عمرو بن العلاء قال: ((العرب كلها ولد إسماعيل، إلا حمـــير وبقايا جرهم، وكذلك يروى أن إسماعيل بن إبراهيم جاورهم وأصهر إليهم))[3].

- وما قاله عمرو بن العلاء في ذلك: ((ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليـــوم بلـــساننا، ولا عربيتهم بعربيتنا))[4].

لقد ساق ابن سلام في الرد على ابن إسحاق أدلة نقلية وعقلية وتاريخية وفنية، فأدلتـــه النقلية هي ذكره لآيات من القرآن الكريم تُسقط الأشعار التي ذكرها ابن إسحاق، فهذه الأمم بادت ولم يبق لها أثر، قال تعالى: ((وأنه أهلك عادا الأولى وثمود فما أبقى))[سورة النجم: 50-51]، وقال في عاد: ((فهل ترى لهم من باقية)) [سورة الحاقة: 8]، وقـــال: ((ألم

[1] ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ج1، ص7-8-9.
[2] نفسه، ج1، ص9.
[3] نفسه، ج1، ص9.
[4] نفسه، ج1، 11.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعـــدهم لا يعلمهـــم إلا الله)) [سورة إبراهيم: 9].

كما يدلل بأدلة تاريخية وعقلية على أن اللغة التي كانت تتكلم بها عاد وثمود مختلفة تماما عن اللغة العربية التي نزل بها القرآن واستعملت في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم–، وهي العربية الفصحى، لغة عرب الشمال أبناء إسماعيل، والتي لم تولد بعد في زمن تلـــك القبائـــل البائدة، فظهورها يرجع إلى فترة متأخرة، أي إلى عهد إسماعيل بن إبراهيم– عليهما السلام[1].

ويرى ابن سلام أن الأشعار التي ضمنها ابن إسحاق سيرته والتي تنسب إلى هذه الأمـــم البائدة جاءت في شكل قصائد طويلة ناضجة أتم النضج، فنفى زيف ذلك بقوله:

((و لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حاجته، وإنمـــا قُـــصِّدت القصائد وطُوِّلَ الشعر على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف، وذلك يدل على إسقاط شعر عاد وثمود وحمير وتبع))[2]، ثم يذكر شواهد على ذلك من قديم الشعر ليؤكد صحة مـــا يذهب إليه.

وقارئ الشواهد يتضح له أن أولية الشعر كانت أبياتا قلائل، ثم مقطعات، و لم تقَـــصَّد القصائد إلا في فترة قريبة العهد بالإسلام، وهي ترجع إلى حرب البسوس على يد مهلهل بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب وائل بن ربيعة.

إن اعتبار الشعر العربي متأخرا إلى عهد قريب من الإسلام كما يرى ابن سلام قول فيه فضل بيان كما يرى محمود محمد شاكر، فهو يرده ويعتبره باطلا، ((فالشعر أقدم مما يـــزعم، وطويله أعتق مما يتوهم))[3].

و لم يُغفل ابن سلام الدليل الفني في نقده لابن إسحاق، لقد اعتمد النقد الداخلي لنص المصنوع المفتعل الموضوع، وكشف عن خصائصه اللغوية والفنية، فوصف هذا الشعر المنسوب إلى عاد وثمود بقوله: ((..فكتب لهم أشعارا كثيرة، وليست بشعر، إنما هو كـــلام مؤلـــف معقود بقوافٍ...))، كما قال أيضا: ((مع ضعف أسره وطلاوته))، فهذا الشعر أقرب إلى

[1] عثمان موافي، دراسات في النقد العربي، ص67-68.
[2] محمود محمد شاكر، هامش تحقيق الطبقات، ج1، ص 26.
[3] نفسه, ج1، ص 26.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

النظم الذي يخلو مما يمتع الحس ويبهج الوجدان ويثيره، فهو لا يشبه الشعر الجاهلي من الناحية الفنية[1].

3- قدم الشاعر وفحولته

وفي هذا السبب يقول: ((ومما يدل على ذهاب الشعر وسقوطه قلة ما بأيدي الـــرواة المصححين لطرفة وعبيد اللذين صح لهما قصائد بقدر عشر، وإن لم يكن لهما غيرهن، فليس موضعهما حيث وضعا من الشهرة والتقدمة، وإن كان ما يروى لهما فليس يستحقان مكانهما على أفواه الرواة، ونُرى أن غيرهما قد سقط من كلامه كلام كثير، غير أن الذي نالهما مـــن ذلك أكثر، وكانا أقدم الفحول، فلعل ذلك لذاك، فلما قلَّ كلامهما حُمِل عليهمـــا حمـــل كثير))[2].

في هذه الفقرة ما زال يسوق أدلته النقلية والعقلية لاستخلاص الشعر الصحيح من الغث الزائف، فهو يمثل لذلك بشاعرين غلبت عليهما صفة الشعر، فهما داخلان في اختياره، ولكن ما صح من شعرهما عند الرواة المدققين المحصين قليل، ومع هذا القليل الصحيح كثير غـــث متهافت، وقد جعلهما في مصاف الفحول، لكنهما متقدمان فذهب أكثر شعرهما، مما فـــتح المجال أمام الوضاعين فحُمل عليهما الكثير.

نصه على شعراء بعينهم وذكره لأشعارهم المنحولة

خص ابن سلام بالذكر شعراءَ، وذكر الأشعار التي قالوها والتي ذهب إلى أنها منحولة، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

قوله: ((ويروى عن الشعبي عن ربعي بن حراش أن عمر بن الخطاب قـــال: أي شـــعرائكم الذي يقول:

فألفيتُ الأمانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخونُ

وهذا غلط على الشعبي أو من الشعبي أو من ربعي بن حراش، أجمع أهل العلم أن النابغـــة لم يقل هذا، و لم يسمعه عمر، ولكنهم غلطوا بغيره من شعر النابغة، فإنه قد ذكر لي أن عمر بن الخطاب سأل عن بيت النابغة:

[1] عثمان موافي، دراسات في النقد العربي، ص29.
[2] ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ج1، ص26.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب

وحريٌّ أن يكون هذا البيت ، أو البيت الأول))[1].

- ((وروي عن الشعبي شيءٌ يحمل على لبيد:

باتت تَشَكَّى إليَّ النفسُ مجهِشةً وقد حملتك سبعا بعد سبعينِ

فإن تعيشي ثلاثا تبـــلغي أملا وفي الثلاث وفاء للثمانيـــنِ

ولا اختلاف في أن هذا مصنوع تُكَثَّرُ به الأحاديث، ويُستعان به على السهر عنـــد الملـــوك، والملوك لا تستقصي))[2].

- ((ويروي الناس لأبي سفيان بن الحارث يقول لحسان:

أبوك أبو سوءٍ وخالك مثله ولست بخير من أبيك وخالكا

وإن أحق الناس أن لا تلومه على اللؤم من ألفَى أباه كذلكا

فأخبرني أهل العلم من أهل المدينة أن قدامة بن موسى بن عمر بن قدامة بن مضعون الجمحي قالها ونحلها أبا سفيان، وقريش ترويه في أشعارها، تريد بذلك الأنصار، والرد على حسان))[3].

- ((وعدي بن زيد كان يسكن الحيرة ويُراكن الريف فلانَ لسانه، وسهُل منطقه، فحُمـــل عليه شيءٌ كثير، وتخليصه شديد، واضطرب فيه خلف الأحمر، وخلَّط فيه المفضَّل فأكثر))[4].

- ((وعبيد بن الأبرص قديمٌ، عظيم الذكر، عظيم الشهرة، وشعره مـــضطرب ذاهـــب، لا أعرف له إلا قوله:

أقفر من أهله ملحوب فالقُطبيَّات فالذنوب

ولا أدري ما بعد ذلك))[5].

إن المتأمل لمنحى ابن سلام في تناوله لمسألة صحة الشعر الجاهلي يلاحظ أنـــه منحـــى علمي عقلي، يقوم على وصف الظاهرة وتحليلها، ثم تعليلها بعد ذلك، إننا عندما نلتقي بـــه على امتداد صفحات كتابه نصادف عقلا تركيبيا يختلف عن غيره ممـــن ينـــهجون منـــهج التصنيف والتسجيل، وليس ذلك بالأمر الغريب، فابن سلام ((في جملة نفر من العقليين الذين

[1] ابن سلام, طبقات فحول الشعراء ج1، ص59-60.
[2] نفسه، ج1، ص60-61.
[3] نفسه، ج1، ص250.
[4] نفسه، ج1، ص140.
[5] نفسه، ج1، ص138-139.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

تلقفوا المرويات السابقة وأخضعوها لفحص توخوا فيه الدقة.))[1]، لقد كان عصره عقليا منهجيا خبَرَ الجمع والاختيار والانتقاد وتمييز الأمور واستخلاص المتشابهات.

لقد كانت مسألة الإسناد وتوثيق النصوص قاعدة منهجية تبناها في كتابه، وقد أعانه في ذلك إخلاصه الشديد لمدرسته البصرة، والتي عُرِفت بالتشدد والاحتكام إلى القياس، لقد وضع في أيدينا مقاييس نقدية يمكن الاستعانة بها في معرفة صحيح الشعرمن زائفه، وفي هذه المقاييس النقلي والعقلي والتاريخي والفني، وهذا المقياس الأخير الذي قد يرجع إلى الخصائص اللغوية والفنية في الشعر الجاهلي يعتمد أساسا على الذوق الفني الذي يكتسبه الناقد من كثرة حفظه للشعر وروايته له.

إن كتاب طبقات فحول الشعراء يعد شيئا جديدا بالقياس إلى عصره، وسابقة علمية في تاريخ تراثنا النقدي تستهدف تنقية هذا التراث وتوثيقه.

ونتبين مما سبق مقياس ابن سلام، فنلاحظ أنه أخرج من دائرة البحث لونين من الشعر:

- الأول: مقبول لا شك فيه، وهو ما أجمع العلماء الرواة على صحته، وقد أشار إلى ذلك بقوله: ((فأما ما اتفقوا عليه فليس لأحد أن يخرج منه))، ويدخل في هذا الإطار ما وُجد من الشعر في ديوان الشاعر أو دواوين القبائل، حيث دون هذه الدواوينَ الثقاتُ من العلماء الرواة
- الثاني: مرفوض لا شك في رفضه، وهو تلك الأشعار الموضوعة والمنسوبة إلى من يسمون بالعرب البائدة، مثل عاد وثمود، ومثلها تلك الأشعار التي تنسب إلى آدم وإبليس والملائكة والجن[2].

لقد كان لابن سلام أثر واضح في تدوين الحقائق العلمية الشائعة في عصره، فكان لا يكتفي بالرأي الواحد، ولا بالنظرة الواحدة، ولا بالكلام المفكك، لقد كان يلم بالفكرة من جميع أطرافها، ويعالجها بالنظر والتحليل والتعليل لما يصادفه، لقد انطلق في توثيق الشعر الجاهلي وتمحيصه من دراسته الواسعة له ولرجاله، وتعمقه في أحوال العصر الجاهلي ووقوفه على طبع كل شاعر، وأضاف على أحكام معاصريه وسابقيه إضافات علمية.

[1] سليمان الشطي، ثلاث قراءات تراثية، ص91.

[2] عبد العزيز نبوي، دراسات في الأدب الجاهلي، ص93.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

إن أحكام ابن سلام إذا ما قارناها بأحكام غيره نجد الفرق شاسعا، لقد انبرى الرجل للقضية التي شغلته وتصدى لها بما أوتي من علم ((فبون شاسع بين كلمة يقررها رجل كالمفضل الضبي في انتحال الشعر وبين هذا البحث الفسيح العميق الذي قام به ابن سلام))[1].

أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت255) شروط الرواية وأسباب نحل الشعر)

حدد الجاحظ جملة من الشروط التي تؤهل الراوية أو الأديب ليكون إنتاجه مجديا، وبالتالي يمكنه استحقاق هذا اللقب عن جدارة، وقد ساق هذه الشروط في قوله: ((وأنا أزعم أن الناس يحتاجون بديا إلى طبيعة ثم إلى معرفة، ثم إلى إنصاف، وأول ما ينبغي أن يبتدأ به صاحب الإنصاف أمره ألا يعطي نفسه فوق حقها، وأن لا يضعها دون مكانها، وأن يتحفظ من شيئين، فان نجاته لا تتم ألا بالتحفظ منهما: أحدهما تهمة الإلف، والآخر تهمة السابق إلى القلب – والله الموفق))[2].

1- الطبيعة المواتية للأدب

ويقصد بها توفر الذوق الأدبي الرفيع والحس الجمالي، لأن الأديب أو الراوية إذا لم تكن له طبيعة مواتية للأدب، فانه لا ينتج أمرا ذا بال، وتذهب جهوده أدراج الرياح[3].

وفي هذا الشرط يقول أيضا: ((قد زعم أناس أن كل إنسان فيه آلة لمرفق من المرافق، وأداة لمنفعة من المنافع ، ولابد لتلك الطبيعة من الحركة وإن أبطأت، ولابد لذلك الكامن من ظهور،....ولكن العجب ممن يموت مغنيا وهو لا طبع له في معرفة الوزن...))[4].

فإذا لم تتوفر للأديب أو الراوية هذه الطبيعة فعليه أن يصرفها في وجه آخر يفلح فيه، فالجاحظ هنا يركز على الميول النفسية والاستعدادات الفطرية التي تختلف من شخص لآخر، فكل إنسان مهيأٌ لما هو أهل له .

---

[1] طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري،دار الكتب العلمية, بيروت,ط1, 1985، ص79.

[2] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ،كتاب الحيوان، تح: إبراهيم شمس الدين،ج4، ص722.

[3] محمد عبد الغني المصري، نظرية أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في النقد الأدبي، دار مجدلاوي للنشر، عمان، الأردن، الطبعة الأولى،سنة 1987م ، ص33.

[4] الجاحظ ، كتاب الحيوان ، ج1، ص135-136.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

2- المعرفة والاطلاع الواسع والإحاطة التامة بالعرب أهل اللغة وأحوالهم

وفي هذا الشأن يقول : ((وقد أدركت رواة المسجديين والمربديين ومن لم يرو أشعار المجانين ولصوص الأعراب ونسيب الأعراب، والأرجاز الأعرابية القصار، وأشعار اليهود، والأشعار المنصفة، فإنهم كانوا لا يعدونه من الرواة ... وقد جلست إلى أبي عبيدة، والأصمعي، ويحي بن نجيم، وأبي مالك عمرو بن كركرة مع من جالست من رواة البغداديين، فما رأيت أحدا منهم قصد إلى شعر في النسيب فأنشده، وكان خلف يجمع ذلك كله، و لم أر غاية النحويين إلا كل شعر فيه إعراب، و لم أر غاية رواة الأشعار إلا كل شعر فيه غريب أو معنى صعب يحتاج إلى الاستخراج...)) [1].

حكم الجاحظ في قوله هذا على معاصريه من الرواة بالتقلب في الميول والهوى بين نسيب الأعراب وأخبارهم، وبين نسيب معاصرهم العباس بن الأحنف، أو الاكتفاء ببعض النوادر والنتف من كل شيء، وأحيانا الاقتصار على ناحية معينة دون غيرها مع أن الأمر يحتاج إلى التعمق والإحاطة باللغة وأهلها، وقد رأى الجاحظ في خلف معاصره نموذجا لمن جمع المعرفة التامة والإحاطة الشاملة بشؤون العرب وأشعارها، فهو رجل موسوعي في ظنه، إن الموسوعية شرط في الأديب أو الراوية يتسلح بها لمعرفة كل خبايا الشعر والأدب عامة[2].

3- الإنصاف

على الراوية أو الأديب الناقد أو المبدع أن يحتاط تجاه نفسه فلا يصيبه الغرور، ويعطي نفسه فوق حقها، ويتيه على الناس عُجبا، ويدعي لنفسه الذكاء والمعرفة الواسعة لأنه بذلك يقع فريسة هذا الوهم الخادع، كما يجب عليه ألا يبالغ في التواضع فيعطي نفسه أقل مما تستحق[3].

أسباب نحل الشعر وتمثيل للمنحول منه

1- العلماء المتسعون في علم العرب: إن العلماء الرواة ممن يملكون سعة اطلاع على حياة العرب ودقائق لغتهم وأساليب شعرائهم ولهجات قائليهم هم الخبراء في التزييف على الناس، فالخطر - في رأيه- لا يأتي من جاهل مولد، وفي هذا يقول: ((فإن قلت: إن المولد لا يُؤمن عليه الخطأ إذ كان دخيلا في ذلك الأمر، وليس كالأعرابي الذي إنما يحكي الموجود الظاهر له،

[1] الجاحظ ، البيان والتبيين، تح: موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة 2، سنة2003، ج4، ص 14, 15.
[2] محمد عبد الغني المصري، نظرية أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في النقد الأدبي، ص35.
[3] نفسه، ص38.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الذي عليه نشأ وبمعرفته غُذِّيَ، فالعلماء الذين اتسعوا في علم العرب حتى صاروا إذا أخـــبروا عنهم بخبر كانوا الثقات فيما بيننا وبينهم هم الذين نقلوا إلينا، وسواء علينا جعلـــوه كلامـــا وحديثا منثورا، أو جعلوه رجزا وقصيدا موزونا))[1].

2- توليد أهل الكتاب من النصارى شعرا على لسان عدي بن زيد تعصبا له ولغـــيره مـــن شعراء الجاهلية النصارى، قال الجاحظ: ((فإني سأنشدك لعدي بن زيد، وكان نصرانيا ديانا وترجمانا وصاحب كتب، وكان من دهاة أهل ذلك الدهر، قال عدي بن زيد يذكر شأن آدم ومعصيته وكيف أغواه، وكيف دخل في الحية، وأن الحية كانت في صورة جمل فمسخها الله عقوبة لها حين طاوعت عدوه على وليه فقال:

قـــضى لستـــة أيام خليـــقـــته وكـــان آخرها أن صـــور الرجلا

دعـــاه آدم صوتا فاستـــجاب له بنفخة الروح في الجسم الذي جبلا[2]))

وفي موضع آخر قال: ((وقال عدي بن زيد وهو أحد من قد حمل على شعره الحمل الكثير، ولأهل الحيرة بشعره عناية:

كـــفى زاجرا للمرء أيـــام عمره تروح له بالواعظات وتغـــتدي

فنفسك فاحفظها من الغي والردى متى تغوها تغوِ الذي بك يقتدي[3]))

3- ضياع بعض الأشعار عن طريق أصحابها، لأنهم غير معروفين فينسبونها لمن يفوقهم شهرة، قال في هذا الشأن: ((فمن شأن الأيام أن تظلم المرء أكثر محاسنه ما كان تابعا، فـــإذا عـــاد متبوعا عادت إليه محاسن غيره بأضعاف ما منعته من محاسن نفسه حتى تضاف إليـــه، ومـــن شوارد الأفعال ومن شواذ المكارم إن كان سيدا، ومن غريب الأمثال إن كان منطقيا، ومـــن خيار القصائد إن كان شاعرا، مما لا أمارات له ولا سمات عليها، فكم من يد بيضاء وصنيعة غراء ضلت فلم يقم بها ناشد، وخفيت فلم يظهرها شاكر، والذي ضاع للتابع قبل أن يكون متبوعا أكثر مما حُفظ...والذي كُتِم أكثر مما بقي))[4].

بعد أن عرض الجاحظ أسباب نحل الشعر أشار إلى بعض الأشعار المنحولة مـــن مثـــل قوله: ((قال تأبط شرا: أو أبو محرز خلف بن حيان الأحمر:

---

[1] الجاحظ ، كتاب الحيوان ، ج3، ص 711-712.
[2] نفسه، ج4، ص718-719
[3] نفسه، ج6، ص649.
[4] رسائل الجاحظ بهامش الكامل للمبرد في الأخلاق الحميدة، ص 197-198، نقلا عن محمد عبد الغني المصري، نظرية الجاحظ في النقد الأدبي، ص46.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

مسبل بالحي أحوى رفلٌ وإذا يعدو فسمعٌ أزلُّ

وإنما قال: أزل وجعله عاديا ووصفه بذلك لأنه ابن الذئب))[1]، ففي قوله هذا تردد بين عَلَمين في نسبة القصيدة، وهو شك منه في نسبتها إلى تأبط شرا الجاهلي، وهذا إشارة منه إلى ما كان ينحله الرواة من شعر خاصة إذا كان الراوية من أعلم الناس بخبايا شعر الجاهلية كخلف الأحمر.

- وفي موضع آخر قال: ((وفي مثل ذلك يقول ابن عبدل، إن كان قاله، وإنما قلت هذا لأن الشعر يرتفع عنه، والشعر قوله:

نعم جار الخزيرة المرضع الغَرْ (م) ثَى إذا ما غدا أبو كلثوم

ثاويا قد أصاب عند صديق من ثريدٍ مُلَبَّقٍ مأدوم))[2]

ويبرر الجاحظ شكه في نسبة هذا الشعر إلى ابن عبدل بأنه لا يرقى إلى مستوى الشعر، وفي اعتقادنا أن الجاحظ خبَر شعره جيدا، فرأى أن الشعر يرتفع عنه فليس بمقدوره أن يرقى إلى هذا المستوى الذي مثّل له الجاحظ.

- ويسوق أدلة على منحول النابغة الذبياني وهو قوله:

فألفيت الأمانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون

يقول الجاحظ: ((وليس لهذا الكلام وجه، وإنما ذلك كقولهم كان داوود لا يخون، وكذلك كان موسى لا يخون(عليهما السلام)، وهم وإن لم يكونوا في حال من الحالات أصحاب خيانة ولا تجوز عليهم فإن الناس إنما يضربون المثل بالشيء النادر من فعل الرجال ومن سائر أمورهم، كما قالوا: عيسى بن مريم روح الله، وموسى كليم الله، وإبراهيم خليل الرحمان، صلى الله عليهم وسلم..))[3]، فهذه لفتة نقدية نابعة من النص، وقد تعلقت بالأمانة وعدم الخيانة والتي وُصف بها سيدنا نوح، والمثل - عادة- يُضرب بالنادر من الأمور في الرجال.

- وفي موضع آخر قال: ((وقال ربيعة بن جشم النمري، ويروى لامرئ القيس:

وساقان كعباهما أصمعا (م) نِ لحمُ حماتيهما منبترْ[4]))

---

[1] الجاحظ ، كتاب الحيوان ، ج1، ص 124.
[2] نفسه، ج 1 ، ص 155.
[3] نفسه، ج 3، ص 355، 356 .
[4] نفسه، ج1، ص 180-181، والبيت في ديوان لامرئ القيس، شرح وعناية عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، لبنان، طبعة3، سنة2006، ص107.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

- وقال: ((وأما ما أنشدتم من قول أوس بن حجر:

فانقضَّ كالدريِّ يتبعه نقع يثور تخاله طُنُبا

وهذا الشعر ليس يرويه لأوس إلا من لم يفصل بين شعر أوس بن حجر وشريح بن أوس))[1].

- وعندما روى قول الأفوه الأودي:

كشهاب القذف يرميكم به فارس في كفه للحرب نار

علَّق قائلا: ((وأما ما رويتم من شعر الأفوه الأودي فلعمري إنه لجاهلي، وما وجدنا أحدا من الرواة يشك في أن القصيدة مصنوعة، وبعد فمن أين يعلم الأفوه أن الشهب التي يراها إنما هي قذف ورجم، وهو جاهلي، ولم يدّعِ هذا أحد قط إلا المسلمون؟! فهذا دليل آخر على أن القصيدة مصنوعة))[2].

- قال الجاحظ: ((وقال غيلان بن سلمة:

في الآل يخفضها ويرفعها ريع كأن متونه السحل

وهذا الشعر عندنا للمسيب بن علس))[3].

- وقال: ((وقد وصفتها امرأة جاهلية بجميع هذه الصفة، إلا أنها زادت شيئا، والشعر صحيح، وليس في أيدي أصحابنا من صفة الأفاعي مثلها...ولقد ولَّدوا على لسان خلف الأحمر والأصمعي أرجازا كثيرة، فما ظنك بتوليدهم على ألسنة القدماء؟!..))[4]، والشعر الذي في الأفعى قولها:

قد كاد يقتلني أصم مرقشٌ من حبكم والخطب غير كبير

كان موقف الجاحظ من الصحيح والمنحول في الشعر مكملا لمنهج ابن سلام، استخدم شهادة الرواة، واتخذ تفاوت الشعر - كما اتخذه ابن سلام - وسيلة لإثبات المنحول)[5].

إن الآراء التي ساقها الجاحظ في مسألة صحة الشعر الجاهلي هي امتداد لآراء ابن سلام، وإن المتصفح لكتاب الحيوان يصادف فقرات هي بنصها في كتاب الطبقات.

وقد أشار إلى ذلك محمود محمد شاكر بقوله: ((وجدت الجاحظ قد نقل في مواضع من كتاب (الحيوان) خاصة، عن ابن سلام أقوالا وأخبارا هي بنصها موجودة في نسختي من

---

[1] الجاحظ ، كتاب الحيوان ، ج6، ص 464.
[2] نفسه، ج6، ص 465.
[3] نفسه، ج6، ص 488-489.
[4] نفسه، ج4، ص 710.
[5] إحسان عباس, تاريخ النقد الأدبي عند العرب, ص 100

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

(طبقات فحول الشعراء)، فثبت عندي أن الجاحظ قد اطلع على نسخة من كتاب ابن سلام فنقل منها))[1].

وكان الجاحظ معاصرا لابن سلام وأكبر الظن أنه كان قد سمع بكتاب الطبقات بعد وفاة صاحبه ممن كان يختلف إليه من تلامذته وأصحابه، فابن سلام لم يقرأ كتابه على أحد في حياته فلما وافته المنية بقيت كتبه عند أهله فأرسل أبو عثمان إلى بعض أهله فاستعار الكتاب لقراءته بعد ذلك نقلت كتبه من بغداد إلى البصرة إلى ابن أخته أبي خليفة الفضل بن حباب الجمحي و لم يقرأه أبو خليفة على الناس إلا بعد زمن طويل من وفاة ابن سلام[2].

والدليل على أن الجاحظ اطَّلع على كتاب ابن سلام وساق منه فقرات في كتابيه (الحيوان) و(البرصان والعرجان) أنه ألفهما في أواخر عمره حينما أقعده داء الفالج[3].

لقد كانت تعليقات الجاحظ على بعض ما يرويه من أشعار حادة أحيانا في نقده، هذه الحدة القاسية تأتي أحيانا مشفوعة بالسخرية، وقد تفرد بهذه الخاصية عن باقي نقاد عصره، فعلى امتداد صفحات ما يكتب يرافق مواطن الجد والموضوعية أسلوبه الساخر، فمن نقداته الساخرة قوله: ((وأنا أزعم أن صاحب هذين البيتين لا يقول شعرا أبدا، ولولا أن أدخل في الحكم بعض الفتك لزعمت أن ابنه لا يقول شعرا أبدا))، وقد ورد هذا التعليق على هذين البيتين اللذين أعجب بهما أبو عمرو الشيباني أيما إعجاب وهما:

لا تحسبن الموت موت البلى وإنما الموت موت الرجال

كلاهما موت ولكن ذا أفظع من ذاك لذل السؤال

ويرى إحسان عباس أن الجاحظ لو استرسل مع أسلوبه الساخر لكان ناقدا انطباعيا[4].

إن امتلاك الجاحظ للحس اللغوي والذوق الأدبي واحتكامه إلى العقل في طرح آرائه إضافة إلى موسوعيته الغزيرة وخبرته بأحوال العرب ولغتهم ودقائق حياتهم وأخبارهم وأشعارهم، كل هذا يؤهله لفرز الصحيح من الأشعار ومنحولها، ولكن الظاهر ((أننا نراه يُغَلِّب الجمع والاستطراد حول المعنى الواحد، ولا يُعنى بنسبة جميع النصوص إلى أصحابها))[5]، وهو بهذا لا يرقى إلى مستوى نقد ابن سلام المتفحص للسند والمتن على السواء، إذ كان ينقد

[1] محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، ص16.
[2] نفسه، ص18.
[3] نفسه، ص17.
[4] إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص100-101، والجاحظ : كتاب الحيوان، ج3، ص466-467.
[5] سيد قطب، النقد الأدبي: أصوله ومناهجه، دار الشروق، مصر، طبعة، 8، 2003، ص185.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الشعر داخليا وخارجيا، ولكنه مع ذلك يبقى ناقد عقل لا يرضى من الأخبار إلا ما يحققه العقل، فهو متشدد على الكاذبين رواة الغرائب والأعاجيب[1].

ابن قتيبة، أبو عبد الله محمد بن مسلم (213-276هـ)

لم تحظ المسألة عند ابن قتيبة بنصيب وافر، فقد أشار إلى نحل الشعر في موضعين هما:

- أورد قول الأعشى:

إنَّ مَحَلًّا وإن مرتحلا وإن في السَّفْر ما مضى مهلا

استأثر الله بالوفاء وبالحمـ(م)ـد وولى الملامة الرجلا

وعقب على ذلك بقوله: ((هذا الشعر منحول، ولا أعلم فيه شيئا يُستحسن إلا قوله:

يا خير من يركب المطي ولا يشـ(م)ـرب كأسا بكف من بخلا))[2]

- وقال: ((ومما يستجاد له أيضا (لبيد بن ربيعة) قوله:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم - لا محالة - زائل

إلى قوله:

وكل امرئٍ يوما سيعلم سعيه إذا كُشفت عند الإله المحاصلُ

وهذا البيت الآخر يدل على أنه قيل في الإسلام، وهو شبيه بقول الله تبارك وتعالى: ((وحُصِّل ما في الصدور)) [العاديات: 10]، أو كان لبيد قبل إسلامه يؤمن بالبعث والحساب، ولعل البيت منحول))[3].

إن المتصفح لكتاب الشعر والشعراء يصادف غياب الاعتماد على الأسانيد في ذكر أخبار الشعراء وأشعارهم، إلا في مواضع قليلة متفرقة، وهذا يبرز قلة ما ذكره بشأن مسألة صحة الشعر، وقضية توثيق النصوص الأدبية لم تكن تشغل بال ابن قتيبة لذا لم يذكر تعليقات كثيرة في هذا الشأن.

---

[1] جورج غريب، الجاحظ، دراسة عامة، دار الثقافة، بيروت، طبعة5، 1980، ص63.

[2] ابن قتيبة، أبو عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، دار الثقافة، بيروت، دون تاريخ، ج1، ص15-16، وناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص334.

[3] نفسه، ج1، ص199-200، وناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص334-335.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

- أبو الفرج الأصفهاني (284-356هـ): الإسناد أساس توثيق النصوص

قد يوحي لقبه بأنه من أصل فارسي، لكنه عربي أموي يتصل نسبه بمروان بن الحكم من بني أمية، كان شيعيا مع أن التشيع يندر في بني أمية[1]، له كتب وأهمها (الأغاني) الذي يعتبر موسوعة في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي حتى القرن الرابع الهجري، يعد من أهم مصادر الأدب في الشعر القديم، إضافة إلى الشعر ضم تراجم وأخبار الشعراء والأحداث التاريخية التي تكشف حياة الشخصيات، وما يهمنا هنا هو مسألة الإسناد التي تمثل القاعدة الأساسية لمنهج أبي الفرج العلمي في توثيق النصوص والأخبار، وتصحيح نسبتها إلى أصحابها، فعلى امتداد صفحات الكتاب، وعلى اتساع المجال الذي كان يبحث فيه فإنه لم يُغفل تسجيل أسانيده في كل الأخبار والنصوص التي أوردها مهما قل حجم النص أو قلت أهميته، يتصدر كل نص أو خبر سلسلة إسناد حرص أبو الفرج على تسجيلها مهما طالت أو تعددت، ((لقد فرض على نفسه أن يرفق بالوثائق التي أودعها كتابه الضمانات الكفيلة بتوثيقها، ضمانات العلماء الذين رووها أو دونوها))[2].

أخذه عن مصادر مكتوبة

مما يلفت النظر في الأغاني اعتماده الأخذ عن مصادر مكتوبة، فهو بهذا يخالف ابن سلام الذي اعتمد على المصادر الشفوية فقط، لقد وسع صاحب الأغاني مصادر كتابه لتشمل المكتوبة والشفوية معا، ففي مواضع كثيرة من الكتاب يقوم بنقل مادته الشعرية والخبرية من الكتب ويصدرها بقوله:

- ((نسخت من كتاب لحماد بن إسحاق ...))
- ((نسخت من كتاب الحرمي بن أبي العلاء ...))
- ((نسخت من كتاب أحمد بن سعيد الدمشقي ....))
- ((نسخت من كتاب أحمد بن القاسم بن يوسف ...))

ومثل هذا كثير متناثر في أجزاء الكتاب، وتعتبر بعض الكتب التي نقل عنها مفقودة الآن مما يعطي الكتاب أهمية خاصة.

[1] جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، طبعة 1993، ج2، ص496.
[2] يوسف خليف، مناهج البحث الأدبي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، طبعة 1997، ص98.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

جمعه بين مدرستين البصرية والكوفية

خالف أبو الفرج ابن سلام الذي اعتمد في جمع مادته على مدرسة البصرة، لقد وسع دائرة الرواية لتشمل الكوفة وبغداد والبصرة، وبالتالي تنوعت الأسانيد، وتفاوتت قيمتها، فنراه أحيانا يرتفع بها إلى مستوى الرواة الثقات الذين لا يشوبهم شك أو اتهام، ونراه أحيانا أخرى ينحدر بها إلى مستوى الرواة المتهمين من أمثال حماد وخلف، بل إلى مستوى من هم دونهما منزلة وأهمية كالشرقي بن القطامي وغيره.

ويُعقب أبو الفرج على المرويات التي يشوبها النحل والكذب بقوله: ((وإنما ذكرته لئلا يخلو الكتاب من شيءٍ قد روي))[1]، ويتضح من تعقيباته أنه كان يهتم بإيراد جميع المرويات على اختلاف مذاهب أهلها وتباينهم من حيث الصدق والكذب، وهذا لكي يجمع الكتاب كل ما روي، ولكنه لم يكن يحشو الكتاب بالغث والسمين على السواء، لأنه كان يشير بعقب كل رواية إلى صدقها أوكذبها.

اعتماد السند لتوثيق النصوص

إن قارئ الأغاني يتهيأ له لأول وهلة أنه بصدد كتاب من كتب الحديث الشريف، فأخباره كلها يتصدرها ((أخبرنا، أخبرني، حدثنا...))، وتأتي بعد ذلك أسماء من حملوا الخبر، وإذا تعددت الروايات عنى بسردها كلها حتى يتوثق الخبر، وقد تبدو هذه السلاسل الإسنادية الطويلة للقارئ مملة، لكنها ذات جدوى في التوثيق[2]، ومن أمثلة ذلك:

((أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام موقوفا عليه لم يتجاوزه إلى غيره، وحدثني حبيب بن نصر المهلبي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا: حدثنا عمر بن شبة عن الأصمعي وأبي عبيدة، وأخبرني الحرمي عن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني علي بن المغيرة عن أبي عبيدة، وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني ابن الأعرابي، وقد جمعت أخبارهم على اختلاف ألفاظهم في هذا الموضع...))[3].

وقد أورد هذه الأخبار بروايتها المختلفة للتحقق من شأن تغزل دريد بن الصمة في الخنساء، وكان قد خطبها، وقد تخللت الأخبار أشعار في تهاجيهما، وعلى هذا النحو تمتد

[1] أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، ج2، ص147.
[2] شوقي ضيف، في الأدب والنقد، دار المعارف بمصر، طبعة سنة 1999، ص133.
[3] أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، ج10، ص21-22.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

سلاسل الإسناد وتطول أحيانا حتى ترهق القارئ، وبين الحين والآخر يعقب على هذه الأسانيد وما يلحقها من أشعار وأخبار بمثل قوله: ((وهذا الخبر أصح ما يروى في ذلك إسنادا...))[1]، وقوله: ((وهو إن لم يكن من أقواها (أي الخبر) على مذهب أهل الحديث إسنادا فهو من أتمها...))[2].

ومما يجدر ذكره أن الأشعار الكثيرة والتي ضمنها أبو الفرج كتابه جاءت مشفعة بأخبارها وحوادثها التاريخية وبذكر ظروف حياة أصحابها مهما كانت بسيطة أو تافهة، وقد أوردها من أوجه عدة تضمنت المدخول والمشكوك فيه والصحيح على السواء، ولكنه كان لا يفوته إرداف ملاحظاته الشخصية أو ملاحظات العلماء الثقات بعقب هذه المرويات.

اتباعه منهج المحدثين في الجرح والتعديل

رغم أن الرواية الأدبية لا ترقى إلى حد قداسة الحديث النبوي الشريف إلا أن أبا الفرج خطا بها خطوة كبيرة فوضع عليها ما اعتمده علماء الحديث بتعقبهم رجال السند بالتعديل والتجريح، لقد تعقب ابن خرداذبه باعتباره قليل التحصيل لما يقوله ويضمنه كتبه، فرفض رواياته إذا تعارضت مع روايات غيره، كما رفض الكثير من روايات ابن الكلبي ورأى أنه متهم في رأيه، إذ كان يروي الكثير من الأخبار الموضوعة التي يتضح منها التوليد، ومن أمثلة ذلك قوله: ((هذه الأخبار التي ذكرها عن ابن الكلبي موضوعة كلها، والتوليد بيّن فيها وفي أشعارها، وما رأيت شيئا منها في ديوان دريد بن الصمة على سائر الروايات، وأعجب من ذلك هذا الخبر الأخير، فإنه ذكر فيه ما لحق دريدا من الهجنة والفضيحة في أصحابه وقتل من قتل معه، وانصرافه منفردا، وشعر دريد هذا يفخر فيه بأنه ظفر ببني الحارث وقتل أماثلهم، وهذا من أكاذيب ابن الكلبي، وإنما ذكرته على ما فيه لئلا يسقط من الكتاب شيءٌ قد رواه الناس وتداولوه))[3].

و لم يكن أمر التحري والتجريح والتعديل مقصورا على ابن خرداذبه وابن الكلبي فقط، فقد كانت هناك إشارات أخرى إلى خلف وحماد الراوية وغيرهما، فها هو عمرو ابن العلاء على ورعه وتقواه وارتفاع ثقته لم يسلم من التجريح، فيورد في حقه ما نصه: ((أخبرني أبو

[1] أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني ، ج4، ص274.
[2] نفسه، ج15، ص192.
[3] نفسه، ج10، ص40.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الحسن الأسدي قال: حدثنا محمد بن صالح بن النطاح قال: حدثني أبو عبيدة قال: سمعت بشارا يقول وقد أنشد في شعر الأعشى:

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا

فأنكره وقال: هذا بيت مصنوع ما يشبه كلام الأعشى، فعجبت لذلك، فلما كان بعد هذا بعشر سنين كنت جالسا عند يونس فقال: حدثني أبو عمرو بن العلاء أنه صنع هذا البيت وأدخله في شعر الأعشى))[1].

ويعود أبو الفرج ليورد أن يحي بن معين وغيره وثقوا أبا عمرو، وكأنه رأى أن هذا الصنيع من أبي عمرو كان شيئا عارضا لا يُحكم به على روايته حكما عاما، فلم يكن أبو الفرج يتهم أبا عمرو ولكن ذلك لم يمنعه من أن ينص على خلل حدث في روايته[2].

لقد كان أبو الفرج يرصد ويجرح ويعدل الرواة والنصوص وأخبارها وأشعارها وحوادثها التاريخية، فكثيرا ما نصادف عبارات مثل قوله: ((روى ذلك الثقات))، أو ((لم يدون ذلك أحد من الثقات))، أو ((رواه من لا يوثق به))، أو ((هو شاذ الروايات))، أو ((أحسب هذا الخبر مصنوعا))، أو ((هو خبر مختلط))، أو ((هو خبر موضوع أو مصنوع))، وبالمقابل تراه يوثق الأخبار الصحيحة بمثل قوله: ((إن هذا الخبر أثبت))، أو ((إنه متواتر من عدة طرق)).

نماذج من الكتاب متعلقة بصحة الشعر

لقد كان توثيق النص أساس الأغاني فلم تخل النصوص في أغلب الأحيان من الإشارة إلى صحتها أو زيفها، وسنورد أمثلة قليلة هنا ولكن فيها مقنع.

- قال أبو الفرج ((وأنشدنا الأخفش عن هؤلاء الرواة بعقب هذه الأبيات - وليس من شعر ذي الإصبع العدواني ولكنه يشبه معناه- قوله:

لو كنت ماءً كنت غير عذب أو كنت سيفا كنت غير عضب

أو كنت طرفا كنت غير ندب أو كنت لحما كنت لحم كلب))[3]

- أورد في موضع آخر معلقا على قصيدة لامرئ القيس ((قال امرؤ القيس:

طرقتك هند بعد طول تجنب وهنا و لم تك قبل ذلك تطرق

[1] أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني ، ج3، ص137.
[2] شوقي ضيف، في الأدب والنقد، ص133-134.
[3] أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، ج3، ص98.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وهي قصيدة طويلة، وأظنها منحولة لأنها لا تشاكل كلام امرئ القيس، والتوليد فيها بين، وما دوّنها أحد من الثقات، وأحسبها مما صنعه دارم لأنه من ولد السموأل، ومما صنعه من روى عنه من ذلك فلم تكتب هنا))[1].

إن أبا الفرج يدعم توثيق النص أو ما يعرف بالنقد الخارجي بالنقد الداخلي، فالناحية الفنية لم تغب عنه، ففي القولين السابقين، وجد الشعر مما لا يشاكل شعر الشاعرين، فإلى جانب الناحية التاريخية المتعلقة بظروف وملابسات النص وما يحيط به، صار النقد الفني يعضده لأجل تصفية النصوص وتنقيتها، وقد كان إلى جانب لفتاته النقدية الشخصية آراء الثقات يدعم بها آراءه، من مثل ذلك تعقيبه على أبيات هي:

أعاذل إنما أفنى شبابي ركوبي في الصريخ إلى المنادي
مع الفتيان حتى كل جسمي وأقرح عاتقي حمل النجاد
أعاذل عدتي بدني ورمحي وكل مقلص شكس القياد
ويبقى بعد حلم القوم حلمي ويفنى قبل زاد القوم زادي

((هذا الشعر رواه أبو عبيدة لدريد، وغيره يرويه لعمرو بن معدكرب، وقول أبي عبيدة أصح))[2]، لم يكتف بإيراد الروايتين فقط، بل بين وجهة نظره فغلب رواية أبي عبيدة على روايات غيره.

- وفي موضع آخر يذكر صوتا فيه:

حي الحمول بجانب العزل إذ لا يوافق شكلها شكلي
الله أنجح ما طلبت به والبر خير حقيبة الرحل

ويعقب عليه بقوله: ((الشعر لامرئ القيس بن عابس الكندي، هكذا رواه أبو عمرو الشيباني، وقال: إن من يرويه لامرئ القيس بن حجر يغلط))[3].

- وفي ذكر أخبار أمية بن الأسكر (شاعر مخضرم) ونسبه وأشعاره، أورد أبو الفرج شعرا له في طارق الخزاعي، وذلك في يوم المريسيع، وكان النبي- صلى الله عليه

[1] أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني , ج9، ص95.
[2] نفسه، ج10، ص26.
[3] نفسه، ج3، ص300.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وسلم- قد أصاب رهط أمية بن الأسكر في هذا اليوم، وكانوا قد اتهموا طارقا الخزاعي بأنه دل المسلمين عليهم، قال في قصيدة أولها:

لعمرك إني والخزاعيَّ طارقا كنعجة عاد حتفَها تتحفَّرُ

قال أبو الفرج: ((وهذا الخبر مصنوع من مصنوعات ابن الكلبي والتوليد فيه بين، وشعره شعر ركيك غث لا يشبه شعر القوم، وإنما ذكرته لئلا يخلو الكتاب من شيء قد روي))[1].

- وقال في موضع آخر: ((وقرأت في بعض الكتب عن ابن الكلبي عن أبيه، وهو خبر مصنوع يتبين التوليد فيه))[2] والخبر في شأن سفر عبيد بن الأبرص في ركب من بني أسد، فصادفوا شجاعا سقاه عبيد ماء، وباتوا ليلتهم في ذلك الموضع، وعند الصباح كان الشجاع قد التهم رواحلهم كلها، وقد جرت بين الشجاع وعبيد محاورة شعرية.

- وأورد أبياتا في ذكر أخبار أوس بن حجر فقال: ((أخبرني اليزيدي عن الرياشي عن الأصمعي قال: تميم تروي هذه القصيدة الحائية لعبيد، وذلك غلط، ومن الناس من يخلطها بقصيدته التي على وزنها ورويها لتشابههما:

دان مسفٌّ فويقَ الأرض هيدبه يكاد يدفعه من قام بالراحِ

كأنما بين أعلاه وأسفله ريطٌ منشرة أو ضوء مصباح

فمن بمحفله كمن بنجوته والمستكنُّ كمن يمشي بقرواح

البيت الثاني من هذه الأبيات ليس من رواية ابن حبيب ولا الأصمعي))[3].

- ويورد في أغانيه خبرا من أخبار ابن سلام في طبقاته في مدح الحطيئة أبا موسى الأشعري، فلم يبقه على حاله، بل عقب عليه بقوله: ((وذكر المدائني أن الحطيئة قال هذه القصيدة في أبي موسى الأشعري وأنها صحيحة))[4].

لقد استطاع أبو الفرج أن يضع الإسناد وضعا منهجيا جديدا، وأن يحوله من عملية تاريخية إلى عملية نقدية تهدف إلى تصحيح النصوص وتصفيتها[5]، وبصنيعه هذا يعد من رواد المنهج التاريخي الذي تعضده الدراسة الفنية إذ كان ((يثبت النصوص ويرويها مسلسلة عن الرواة ويصحح بعض الروايات، ويضعِّف البعض ويذكر مناسبات النصوص وما يدور حولها

[1] أبو الفرج الأصفهاني, كتاب الأغاني, ج21، ص25.
[2] نفسه، ج23، ص408-409.
[3] نفسه، ج11، ص65.
[4] نفسه، ج2، ص146-147.
[5] يوسف خليف، مناهج البحث الأدبي، ص101.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

من روايات وحوادث، ويصحح بعض الروايات ويضعف البعض ويذكر مناسبات النصوص وما يدور حولها من روايات وحوادث، ويُعرف بالشاعر وطبقته ومزاجه))[1].

ولم يسلم صاحب الأغاني من النقد ففيه آراء بالوضع والتزيد وتحريف الحقائق وتشويهها، فقد كان يُجمع العلماء القدامى على أنه يأتي بالأعاجيب في أسانيده، وعن النوبختي ((أن أبا الفرج الأصفهاني أكذب الناس))، وحتى نتأكد من ذلك نجري مقارنة بين ما أورده في أغانيه من أخبار وما قاله العلماء الثقات فيها، فهو يحكي عن الشخصيات الإسلامية والعلماء ما لا يليق بهم، كما أنه يخلط بين زمان وآخر، وقد تحدو به الجرأة إلى أشنع من ذلك[2].

ويرى الحاج صالح أنه من الضروري إعادة النظر في الكتاب بجدية وذلك حتى نقِيَ أنفسنا هذه الكارثة التي نزلت بنا وهي الرجوع الدائم إلى الاعتماد على كتاب الأغاني كمصدر موثوق للبحث العلمي الخاص بتراثنا، وفي السياق نفسه يقول عن النديم وكتابه الفهرست إنه ((من أوثق ما وصل إلينا بإجماع العلماء))[3]، ولكن النديم وهو يترجم لأبي الفرج لم يعبه بأي عيب يذكر ولم يطعن في رواياته وكان منه أن أشار إلى اعتماده النسخ المكتوبة والتي ترقى إلى مستوى الجودة[4].

إن تساهل أبي الفرج في النقل من كتاب (طبقات فحول الشعراء) لابن سلام هو الذي فتح عليه باب الطعن، فقد كان يرى الأمر متعلقا بالأدب والأخبار والآثار، ورواة هذه الأمور تساهلوا فيها حتى بلغوا حد إسقاط الإسناد في كتبهم، فليس الأمر متعلقا بالدين مما يوجب الثقة والبيان، لذا أشار إشارات قليلة إلى وجود نسخة من الطبقات عنده وإجازة الفضل بن الحباب أبي خليفة له برواياتها مكاتبة، وكان ذلك منه في أسانيد قليلة، ثم انقطع عن ذكر ذلك بكثير من الأسانيد المنقولة، فكان يكتفي بقوله: ((أخبرني..حدثني..أخبرنا..))، دون ذكر كتاب الطبقات أو الإجازة أو المكاتبة، ومن المعلوم أن تحمل الأخبار بالمكاتبة يجيز قول: ((أخبرني..حدثني..أنبأني..)).

---

[1] سيد قطب، النقد الأدبي: أصوله ومناهجه، ص173.
[2] عبد الرحمان الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، طبعة 2007، ص16.
[3] نفسه، ص16.
[4] النديم، الفهرست، تحقيق، يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة 2، سنة، 2002، ص183-184.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

لقد اتخذ بعضهم هذا التساهل ذريعة للطعن فيه، فقد أورد شاكر مـــا رواه الخطيـــب البغدادي في تاريخ بغداد ما نصه: ((حدثني أبو عبد الله بن الحسين النوبختي يقول: كان أبـــو الفرج الأصفهاني أكذب الناس، كان يدخل سوق الوراقين وهي عامرة، والدكاكين مملـــوءة بالكتب فيشتري شيئا كثيرا من الصحف يحملها إلى بيته ثم تكون روايته كلها منها))، ثم رد ابن طباطبا مقالة النوبختي بمقالة أخرى يوثق فيها أبا الفرج فقال: ((وكان أبو الحسن الـــبتي يقول:

لم يكن أحد أوثق من أبي الفرج الأصفهاني))، فهاهما شيعيان أحدهما تحامل عليـــه وهـــو النوبختي المحدث، وربما كان تخصصه هو الباعث على الحرج من تساهل أبي الفرج، فهذه علة طعنه فيه، وربما كان وليد تعصب على أبي الفرج الأموي، وكان شيعيا، والتـــشيع نـــادر في الأمويين، والآخر البتي يوثقه، بل ويجعله في أعلى درجات الثقات[1].

ثم إن أمر الأخذ من الكتب لم يخفه أبو الفرج، فعلى طول صفحات أجزاء الكتـــاب كانت الإشارات إلى النسخ المعتمدة في النقل، وكنا قد بينا ذلك قبل قليل، أما الحاج صـــالح فإنه لم يردف في معرض حديثه عن الأغاني وصاحبه قول النوبختي بقول البتي الذي يوثق أبـــا الفرج.

مما سبق يتبين لنا أن الشعر الجاهلي خالطه الغث الموضوع المفتعل، لكن علماء العرب القدامى كانوا له بالمرصاد، فانبروا له ناقدين ممحصين، وقد تناولوه من جهة الـــسند والمـــتن والصيغ والألفاظ وغيرها، فنقدوه نقدا داخليا وخارجيا دقيقا، وقاموا بالتحري والتثبت لفرز الصحيح من الزائف.

وقد تدرج نقدهم من الاقتصار على بيان صحة بعض الأشعار أو صحة نـــسبتها إلى قائليها، أو بيان ما في الرواية من زيادة أو نقص، كما هو الشأن في بـــواكير المـــسألة عنـــد الأصمعي والمفضل الضبي وأضرابهما، إلى التوسع في العرض كصنيع ابن هشام مهذب ســـيرة ابن إسحاق والتي كان لأبي القاسم السهيلي تهذيب لها والمعروف (بالروض الأُنُف) لأن ابن هشام كان قد أغفل بعض المرويات أو لم يتبين له أمر نحلها فردها السهيلي، ثم إن ابن هشام لم يرقَ إلى مستوى الناقد البصير بالشعر، ودليل ذلك أنه كان يعرض الأشعار على العلمـــاء

[1] ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، انظر تفصيل ذلك في ديباجة الكتاب للمحقق محمود محمد شاكر، ج1، ص86 وما بعدها.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

بالشعر فيفحصونها له، فيعود إلى سيرة ابن إسحاق عارضا إشارات العلماء دون تدخل منـــه، إن ابن هشام حظِيَ بفضل الجمع والتوسع في العرض، فلم تكن له آراؤه الشخصية المستقلة.

ولما وصل الأمر إلى ابن سلام رأيناه ارتقى بالمسألة إلى التنظير المنهجي، و لم يقف عند هذا الحد، فقد وصف وحلل وعلل، وطبق منهجه النظري بطريقة علمية تنمُّ عن علو قـــدره في النقد، ولا نجانب الصواب إذا اعتبرنا مؤلفه (طبقات فحول الشعراء) فاتحة التأليف النقدي عند العرب، ويشهد على صحة هذا تناثر فقراته في كتب الأدب والنقد التي ألفت بعده، لقد ضمن كتابه آراء غيره من العلماء إلى جانب آرائه الشخصية التي تعكس معرفتـــه الواســـعة بأشعار الجاهليين وأخبارهم وبعلوم العربية، إلى جانب هذا ملك ذوقا فنيا رفيعا أعانه علـــى نقد النصوص داخليا، وفوق هذا كله ثقته واعتماده السند في سوق الأخبار والأشعار ســـيرا على آثار المحدّثين.

أما الجاحظ وإن لم يرق إلى مستوى ابن سلام في عرض القضية فإن جهـــده يعكـــس شعوره القوي بها، إلا أن غلبة الاستطراد والجمع وعدم اهتمامه بنسبة النصوص إلى أصحابها في مواضع كثيرة، إضافة إلى موسوعيته جعلته دون مرتبة ابن سلام في درس صـــحة الـــشعر الجاهلي.

ويشترك أبو الفرج مع ابن سلام في اقتفاء آثار المحدثين والاهتمام بالسند وربما جاوزه في ذلك، إلا أن أثر ابن سلام على لاحقيه بين لا ينكر.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الفصل الثاني

صحة الشعر الجاهلي عند المستشرقين

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الفصل الثاني

- حصر الشعر القديم في الشعرين المخضرم والأموي
- أولية الشعر العربي
- المستشرقون وصعوبة فهم النص الجاهلي
- من دواعي النحل الرواية الشفهية وانعدام الكتابة
- الاعتبار الديني يقضي على الأشعار الوثنية
- تزييفات الرواة والقصاص والشعراء المتأخرين
- نفي أشعار القصص الإسلامي والأمم البائدة
- عود إلى الرواية
- أثر الناسخين وناشري النصوص على الروايات المكتوبة
- أخبار شرح القصائد
- ديفيد صمويل مرجوليوث: نفي وجود الشعر الجاهلي جملة
  - الأدلة الخارجية
  - الأدلة الداخلية
- أيريش بروينلش: نقد آراء مرجليوث
  - العلاقة بين النقوش وبين الشعر والجاهلي
  - لغة الشعر الجاهلي
  - نفي المشابهة بين القرآن والشعر
  - وجود الكتابة في العصر الجاهلي
- إيفالد فاجنر : مناقشة آراء السابقين من العرب والمستشرقين
  - الرواية وصحة الشعر العربي القديم
  - رواية الشعر الجاهلي
  - الدارسون المحدثون الذين أثاروا المسالة
  - الأدلة والأدلة المضادة

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

صحة الشعر الجاهلي عند المستشرقين

لم تتوقف مسألة صحة الشعر الجاهلي عند العرب القدامى ، فبعد مرور زمن طويل على آراء ابن سلام وأضرابه في القضية، انبرى لها المستشرقون بالدراسة والنقد، والجدير بالمعرفة أن آراءهم لم تكن جديدة بناها أصحابها على غير مثال يحتـــذى، وإنمـــا اعتمـــدوا في إصـــدار أحكامهم المتفاوتة بين الاعتدال والتطرف على آراء العرب القدامى وملاحظاتهم الدقيقة حول رواية الشعر الجاهلي، وعلى إشاراتهم إلى المنحولات. وسنحاول في بحثنا هـــذا عـــرض آراء المستشرقين في المسألة، موجزين القول ما أمكن ذلك ، وكان منا أن اخترنا بعـــض أعـــلام المستشرقين، وصرفنا بعضهم ممن كان له رأي في القضية.

تيودور نيلد كه (1836 – 1931) : فاتحة الشك الاستشراقي في صـــحة الـــشعر الجاهلي:

كان لشيخ المستشرقين الألمان تيودور نيلد كه جملة من الآراء حول صحة الشعر الجاهلي، عرضها في الفصل الأول من كتابه ((أبحاث لمعرفة شعر العرب القدامى)) الذي أصدره ســـنة 1861 م، ومقاله فيه بعنوان ((من تاريخ ونقد الشعر العربي القديم)) : وقد ضمنه ما يأتي:

حصر الشعر القديم في الشعرين المخضرم والأموي :

استهل المؤلف حديثه عن وجود تشابهات باطنية وخارجية بين الشعر الجاهلي والأموي، فلا اختلاف بين القصائد القديمة وقصائد الشعراء المعاصرين للنبي –صلى الله عليه وسلم–[1] إن بناء القصيدة الشكلي بقي على حاله، كما أن الأغراض التي توحي بقدم الشعر كـــالغزل والمدح والهجاء بقيت ماثلة على حالها، إن طرحه يوحي ضمنا بأن الشك يلف وجود الشعر الجاهلي، فصورة القصائد الإسلامية على النحو الذي ذكره تفيد بوجود شـــعر إســـلامي لا وجود لسابق له، كما أن المؤلف حصر الشعر القديم في الشعرين المخضرم والأموي.

[1] دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي, ص17

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وقد فات نيلدكه أن سلطان الشعر الجاهلي باطنيا وظاهريا،ظل يفرض سيادته على شعر العصور اللاحقة، فكان بمثابة النموذج الأعلى الذي يجب أن يحتذى.

أولية الشعر العربي :

وجد نيلدكه صعوبة في تحديد أولية الشعر العربي، ورأى أن أول بيت وثيق النص يمكن أن يرجع إلى ما قبل سنة 500م[1]، وهو بهذا التقدير الحسابي، لم يأت بجديد، فقد اعتمد على قول الجاحظ : ((وأما الشعر فحديث الميلاد، صغير السن، أول من نهج سبيله، وسهل الطريق إليه، امرؤ القيس بن حجر، ومهلهل بن ربيعة ... وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا غاية الاستظهار فمئتي عام))[2]. والجاحظ نفسه عندما حدد عمر الشعر حسابيا، اتكأ على قول ابن سلام : ((وكان أول من قصد القصائد وذكر الوقائع، المهلهل بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب وائل ...))[3]. فتقدير الجاحظ الحسابي مردود يحتاج إلى دليل مقنع، إذ إن وجود شعر ناضج مكتمل عند المهلهل وامرئ القيس، وبأوزان مختلفة دال دلالة قاطعة على وجود شعر سابق لهما بزمن لا يمكن تحديده، فرأيا ابن سلام والجاحظ يعتبران باطلين، فالشعر أقدم و طويله أعتق[4]، وامرؤ القيس نفسه يشير إلى من سبقه، وزهير يقول معادا مكرورا.

لقد التمس نيلد كه آثار الشعر الجاهلي في الشعر الأموي الذي عبر عن عصره بأنه يمثل الاتجاه الشعبي الوثني القديم، ولا ندري ما يريده بالوثنية، فهل يقصد بها الوثنية الشعرية أم الدينية ؟ فقد ترك الموصوف بدون صفة تحدده ليفيد التعميم، إن أثر الدين الإسلامي على الشعر العربي لم يكن باديا بشكل واضح، فالوثنية بقيت ماثلة في الشعر الأموي، لم يغب المدح والهجاء رغم حرص الدين الإسلامي عل محاربة هذه الأغراض ، بل لقد زادت حدة في ظل الإسلام[5].

[1] دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي, ص 18
[2] الجاحظ, كتاب الحيوان, ج1, ص 65
[3] ابن سلام, طبقات فحول الشعراء, ج1, ص 39
[4] محمود محمد شاكر, قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام, ص 11 وما بعدها
[5] دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي, ص 19

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

المستشرقون وصعوبة فهم النص الجاهلي:

لقد صدق نيلد كه في قوله : ((صحيح أننا لا نستطيع أن نوغل في الحكم الدقيق على القصائد إلى الحد الذي يستطيعه النقاد العرب، بل سيكون حالنا أقل مما يستطيعه فرنسي أو إنجليزي من الحكم الصادق على الشعر الألماني مثلا، ذلك لأن ذلك يحتاج إلى معرفة بدقائق اللغة العربية والاستعمال الشعري لا يستطيع اكتسابها أي أجنبي ...))[1] . فهذا إقرار منه على ما يلقاه هو وغيره من المستشرقين من صعوبة في فهم الشعر الجاهلي فهما عميقا قائما على الذوق الفني الرفيع يمكن من دراسة تكون لها جدواها في البحث العلمي، فما أبعدنا نحن العرب عن سبر أغوار النص الجاهلي، فما بالك بالأعجمي كحال نيلدكه الذي لم تربطه باللغة العربية روابط روحية تمكنه من استكناه أسراره.

وقف المؤلف حائرا أمام الأفكار المفردة المتوزعة على مساحة القصيدة الجاهلية، وأمام النمطية التي تحكم الأفكار نفسها عند كل الشعراء، وتكرار المناسبات لديهم، فاستشف من ذلك كله غياب شخصيات الشعراء عن القصائد، لقد بدا له الشعر الجاهلي نمطا نصيا متكررا، يصلح أن ينسب لامرئ القيس أو لغيره، فهذا التشابه الكبير يوحي بأن الشعر لشاعر واحد، إن تماثل القصائد وغياب روح الشاعر يفضي إلى النحل والوضع، وإن استنتاجه هذا مرتبط في كل الأحوال بجهل المستشرق للغة العربية، فيستدرك عما استنتجه بقوله : ((لكن العارف الخبير يمكنه أن يدرك التمايز في ملامح مختلف أفراد شعب ما والفروق الدقيقة التي لا يبلغها الوصف الكتابي))[2].

ومن الصعوبات البالغة التي يعانيها المستشرقون فهم القطع الشعرية المقدمة في حال انتزاعها من سياقها، هذا إضافة إلى استقلال كل بيت بذاته، وتسلسل الصور المتعددة في القصيدة الواحدة والتي تصور للقارئ مختلف جوانب الحياة العربية، إنها تؤلف كلا معلوما بالنسبة للقارئ العربي الذي يعرف السياق، أما بالنسبة لنيلد كه، فهذه الشذرات الشعرية تكون غالبا في غاية الغموض، خاصة إذا علمنا أنها نشأت في زمان ومكان بعيدين عنه جدا[3].

---

[1] دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي, ص20
[2] نفسه, ص 21
[3] نفسه, ص 21

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ونحن نشايعه في هذا الطرح، فعجز المستشرقين عن فهم اللغة العربية فهما عميقا أخل ببحث صحة الشعر الجاهلي، مما يفرز نتائج لا تثبت أمام المنهج العلمي.

من دواعي النحل الرواية الشفهية وانعدام الكتابة:

.بمرور الزمن، تفقد الرواية الشفهية أدب أمة ما صورته الأصيلة، فالكثير من القصائد الشعرية الجاهلية – في نظره – دون في فترة متأخرة، وقد سجلها العلماء الرواة من أفواه أعراب بالبادية، وهؤلاء الأعراب قد يكونون أمناء ثقات، وقد يكونون على خلاف ذلك، والحقيقة أن الأوائل انتبهوا إلى تزيد الأعراب، بل لم يفتهم ما كان يشكل عليهم من أشعار أبناء الشعراء وأحفادهم مثل ما تفطن إليه أبو عبيدة عندما كان ابن داود بن متمم بن نويرة يتزيد في الأشعار حين نفد شعر أبيه. وقد أشار نيلدكه إلى أن الحرص الشديد على عدم تغيير النصوص تغييرا اعتباطيا لم يظهر في مدارس العلماء الحقيقية إلا ابتداء من العصر العباسي، وقد نسي أن الرواية الشفهية في غياب الكتابة كانت حرفة عربية يتوارثها الأبناء عن الآباء، وأن من بين الشعراء رواة حملوا هذا الإرث بالتسلسل سليما معافى إلى مرحلة التدوين، وغياب الكتابة وعدم توفر وسائلها من شأنه أن يقوي الذاكرة التي تستوعب كما هائلا من المحفوظ، فلا تضيع منه إلا بعض الجزئيات التي لا تضر الكثرة، كما أننا نلاحظ أنه مع ظهور الكتابة وتطور وسائلها، فقد ظلت الرواية الشفهية رافدا لمختلف علومنا، فهي ظاهرة حضارية استأثر بها العرب لأنفسهم دون سواهم من الأمم، وقوى من أمرها القرآن الكريم والحديث الشريف.

إن نيلدكه ينفي دور الذاكرة في حفظ التراث الشعري الهائل، فيعبر عن ذلك بقوله: ((فكيف نطالب حمادا الراوية مثلا بالتدقيق في آلاف القصائد التي كان يحفظها تدقيقا علميا فيلولوجيا، وأن يرويها للخلف كما هي في نصها دون أدنى تغيير))[1] . إنه يقف عاجزا عن تصور وجود هذا الصنف من الذاكرة لدى العرب، مع العلم أنها تتوفر لدى علمائنا الأوائل كلهم دون استثناء، فالأصمعي كان آية في سرعة الحفظ ، وذكروا أن حمادا الراوية

[1] دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي, ص 22

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

كان قد استحق هذا اللقب لاتساعه في الحفظ و الرواية ، وأن أبا بكر الأنباري كان يحفظ ثلاثمئة ألف بيت من الشعر شاهدا في القرآن[1]، والأمثلة على الحفاظ كثيرة لاتحصر، و لم يفته التركيز على حماد الراوية، وهو يعرف كثرة الاتهامات التي شوهت روايته، كما أن مجونه واستهتاره بالشراب ضعفه، ونسي نيلد كه أن العلماء لأوائل تنبهوا لسعة حفظه وروايته، وفحصوا مروياته ونقوها من الشوائب.

ويعلق المؤلف على الرواية الشفهية بقوله : ((وما دامت القصائد حية في أفواه الشعب فإنها معرضة لكل مصائر الأدب الشعبي ، لأن أقوى الذاكرات لا تستطيع أن تحول دون تغييرات تدريجية قوية فيما تحفظ))[2]. وهذا الطرح مرفوض أيضا، لأنه لو كان الشعر الجاهلي شبيها بالآداب الشعبية لحمل إلينا الاختلافات اللهجية حملا أمينا، ولما وصلنا بهذه الصورة الموحدة التي فرضتها لهجة قريش الفصحى.

وقد رأى نيلدكه في ثراء اللغة العربية الهائل سببا((في استبدال كلمات أو عبارات بكلمات أو عبارات أخرى، إما عن قصد ابتغاء تيسير الفهم، وإما عن غير قصد))[3]. وقد استدل على هذا الأمر بشكوى ذي الرمة من الناس الذين أفسدوا شعره بالرواية الشفهية، فطالب باستعمال الكتابة، وذو الرمة شاعر إسلامي وليس جاهليا، وقد كانت بواكير الكتابة في زمنه ماثلة ، لذا نرى أن نيلدكه قد أخطأ التمثيل، كما لاحظ أن تخلخل ترتيب أبيات القصيدة الجاهلية، وسقوط بعضها مما يؤدي أحيانا إلى دمج قطعتين متشابهتين تكونان بنفس الوزن والقافية وهما لشاعرين مختلفين، ثم إن هناك أمر آخر وهو تكرار البيت نفسه مع تغيير ضئيل في قصائد لشعراء مختلفين، وهذه الروايات التي يشير إليها والمتعلقة بتخلخل ترتيب الأبيات وسقوط بعضها، مما يؤدي إلى دمج القطع المختلفة هو من باب النقد والتمحيص الذي كان يجريه القدامى على أشعار الجاهليين، واختلاف الروايات دليل على تتبع آثار المنحولات وإعادة النصوص إلى مواضعها، كما أن تكرار الأبيات مع التغيير الضئيل أمر نسبي لا يطغى على كل التراث الشعري الجاهلي، ولا يستطيع نيلدكه أو غيره من المستشرقين التفطن إلى اختلاف المعاني بين المتشابهات، كما أن باب السرقات وأنواعها معروف في نقدنا،

[1] مصطفى صادق الرافعي, تاريخ آداب العرب, ج1, ص 308
[2] دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي, ص 22
[3] نفسه, ص23

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وهناك جانب التأسي، فالشاعر الراوية أو غير الراوية يأخذ ممن سبقوه من أساتذته أو من غيرهم من الشعراء، فتكون المشابهة في بعض الأبيات ويقع الحافر على الحافر كما هو معلوم.

ويعزى عدم التنظيم والاختلاط في القصائد – حسب رأيه – دائما إلى الرواية الشفهية التي طال أمدها قبل الوصول إلى مرحلة التدوين، كما يعزى إلى اختلاف أذواق الجماعين المتأخرين الذين احتفظوا بأجزاء رأوها ذات قيمة وأهملوا الباقي، وهذا مايفسر وجود قدر كبير من الشذرات الشعرية التي لا يعرف أصحابها، فإذا كان المضمون مناسبا والوزن والقافية كذلك مناسبين، سهل ضم قطعتين أو أكثر مختلفتين، ويورد أربعة أبيات لامرئ القيس، يرى السكري أن الأحرى بها أن تنسب لتأبط شرا؛ وهي :

وقربة أقوام جعلت عصامها على كاهل مني ذلول مرحل
وواد كجوف العير قفر قطعته به الذئب يعوي كالخليع المعيّل
فقلت له لما عوى : إن شأننا قليل الغنى إن كنت لما تمول
كلانا إذا ما نال شيئا أفاته ومن يحترث حرثي وحرثك يهزِل[1]

وهذه الأبيات الأربعة لم يروها جمهور الأئمة في معلقة امرئ القيس، وزعموا أنها لتأبط شرا. فالمثال الذي قدمه نيلدكه فاته إليه جمهور العلماء القدامى الذين رجحوا نسبته لتأبط شرا، فهو لم يأت بجديد، ولولا آراء القدامى لما ذكر شيئا في القضية. وقد لفت نظره التصريع، ويرى الأبيات المصرعة تصلح عادة مطالع للقصائد الجاهلية، فإذا صادفنا بيتا مصرعا في وسط القصيدة، فهو دليل على مطلع قصيدة جديدة أدمجت مع أخرى تناسبها مطلعا وقافية ومعنى، وعن هذا الأمر يقول : ((وليست لدينا دائما علامات خارجية أو باطنية تصلح أن تكون وسيلة لفك ما كان في الأصل مفصولا، لكننا نجد الدليل (العلامة) أحيانا في اتفاق حرف العروض مع حرف الروي، إذ لو حدث هذا في وسط القصيدة لوجدنا ذلك – بحسب المعنى – خير دليل على أن الشطر الأول المقفى هو مطلع لقصيدة جديدة))[2]، وقدم دليلا على ما ذهب إليه يتمثل في قول امرئ القيس في المعلقة :

[1] امرؤ القيس, الديوان, شرح: عبد الرحمن المصطاوي, دار المعرفة , بيروت, ط3, 2006, ص 51, 52, 53
[2] دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي, ص 23

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

- البيت الأول :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

- البيت التاسع عشر :

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي[1].

ويقول عمرو بن كلثوم في المعلقة :

- البيت الأول : ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا

- البيت التاسع : قفي قبل التفرق ياظعينا نخبرك اليقين وتخبرينا[2]

وقد أشار إلى أن لغة القصائد الجاهلية أصابها التغيير في لغة الخلف والقبائل الأجنبية شيئا فشيئا، وقد حدثت بسبب ذلك تغييرات لغوية مقصودة، وهي تغييرات محدودة جدا، كما يلوح الشك من كلامه عن توحيد لهجة قريش الفصحى للغة العرب، فاتساع البلاد وانعزال مضارب القبائل بعضها عن بعض يشكل فارقا لهجيا كبيرا، ولكن بعض الفوارق المحدودة والمتبقية من شأنها أن تحمل فروقا، خصوصا في الألفاظ التي بقيت ماثلة في بعض القصائد، أما ما يتعلق بالفارق الدقيق في النطق عن طريق الكتابة المنتظمة، وهو يعني بذلك الحركات الثلاثة (الفتحة، الضمة، الكسرة)، فيرى أنها ضاعت إلى الأبد، لأن ضبطها الشفهي الجاهلي لم يصل في صورته الأصلية إلى عصرالتدوين، فالتدوين — في رأيه — سجل صورة إعرابية مخالفة تماما لصورتها الشفهية الجاهلية[3]، إنه بطرحه هذا يشير إلى أن نحو الخليل وسيبويه مخالف لنحو الجاهلية الشفهي، فلم يدر في خلده أنه في زمن الكتابة، كانت الرواية الشفهية تعرف رواجا دالا على عدم انقطاعها بين الجاهلية والإسلام، فهي سلسلة موصولة الحلقات لم تعرف انفراطا حتى في زمن التدوين وكثرة الورق وتوفر الوسائل، فالرواية الشفهية المتواترة حفظت لنا وبشكل سليم ضبط الحركات وصولا إلى التدوين، وقد مر بنا أن القرآن الكريم والحديث الشريف على قداستهما ومع ظهور الكتابة، فقد تأخر تدوينهما، كما أن ظهور الإعراب وضبط حركاته كتابة، كان نابعا من النصوص المنقولة مشافهة قرآنا كانت أم شعرا، فالنص

[1] مفيد قميحة, شرح المعلقات العشر, دار مكتبة الهلال, بيروت, 2003, ص 59, و62
[2] نفسه, ص 235, 236
[3] دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي, ص 25, 26

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

سابق القاعدة ومنه استخلصت، والقرآن الكريم احتضن لغة الشعر الجاهلي الفصحى وضبطها ضبطا لا يحيد عنه العربي ولا الأعجمي، ومن هنا ندرك أن الصورة الشفهية للحركات الإعرابية لم تضع إلى الأبد كما تصورها المؤلف.

الاعتبار الديني يقضي على الأشعار الوثنية :

اعتبر نيلدكه الدين الإسلامي سببا أدى إلى إحداث تغيير كبير في القصائد الجاهلية، ويرى الأمر مقصودا بوعي واضح، فقد لاحظ قلة الأشعار التي تشير إلى وثنية العرب، فعبر عن ذلك بقوله : ((وقد تجنب المسلمون الصدمة التي تحدثها مثل هذه الأقوال الوثنية، إما بأن يحذفوا أبياتا ومقاطع بأكملها، أو يولجوا بدلا منها أسماء الله الإسلامية (الله، الرحمن) ، كذلك ربما وضعت أفكار إسلامية بواسطة تغييرات طفيفة في قصائد الشعر الجاهلي))[1].

والحق أن هناك إشارات وثنية في أشعار الجاهليين، ففي كتاب الأصنام لابن الكلبي ما يرد طرح المؤلف، كما أن العرب عرفوا ديانات أخرى إلى جانب الوثنية كالحنيفية والنصرانية واليهودية، فاستعمال أسماء الله لم يكن غائبا عنهم في جاهليتهم، وربما لم تكن الوثنية بذلك القدر الكبير من الموقع في نفوس الجاهليين، فهذا يبرر عدم كثرة تداول ألفاظ وثنية في نصوصهم.

تزييفات الرواة والقصاص والشعراء المتأخرين :

بعد ذلك انتقل إل الحديث عن بعض الشعراء المتأخرين والرواة والقصاص الذين عمدوا إلى القيام بتزييفات فعلية، فبعض الشعراء المتأخرين وضعوا قصائدهم على ألسنة شعراء جاهليين لينالوا القبول والحظوة[2]، ولكن كيف يمكن لشاعر متأخر بارع أن يمنح نصه الجيد غيره ؟ ، فلم لا يحتفظ به لنفسه ؟، فهو يكفيه قبولا وحظوة لدى المتلقي. أما الأشعار التي ساقها القصاص والأخباريون وبعض الرواة من أجل إنعاش الأخبار التاريخية وتزيينها ، أو لمنفعة شخصية[3]، فقد تنبه له القدماء كابن هشام مهذب سيرة ابن إسحاق وابن سلام وغيرهما، وكذلك الأشعارالتي نحلت بسبب العصبية القبلية واستكثار المفاخر لم تفت ابن سلام.

[1] دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي ص 26
[2] نفسه, ص 26
[3] نفسه, ص 27

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وقد مثل في حديثه عن الرواة بخلف الأحمر الذي يرى أنه انتحل الكثير من القصائد ونسبها إلى شعراء قدماء، وقد وثق ابن سلام خلفا، وكان يراه أصدق الرواة لسانا مما يدحض مقالة نيلدكه بشأنه.

نفي أشعار القصص الإسلامي والأمم البائدة:

نفى نيلدكه كل شعر جاهلي تضمن تصورات وقصصا إسلامية تحشى بها القصائد القديمة، وكذلك كل ما تضمن أسماء أسطورية معروفة في القرآن الكريم؛ مثل : (عاد وثمود)[1]، وفي هذا لم يأت أيضا بجديد، فقد رفض ابن سلام كل الأشعار التي نسبت إلى هذه الأمم والتي ساقها ابن إسحاق في سيرته.

عود إلى الرواية :

ويعود نيلدكه إلى الرواية والرواة، فيرى أن أغلب ما طرأ من تغييرات على الشعر الجاهلي مرده إلى الرواية الشفهية، فديوان امرئ القيس مثلا يراه مبتعدا تماما عن صورته الأصلية ، فكثير من شعره منحول، وربما اعتمد في ذلك على ما أورده الأصمعي بقوله : ((كل شيء في أيدينا من شعر امرئ القيس فهو عن حماد الراوية إلا نتفا سمعناها من الأعراب وأبي عمرو بن العلاء))[2] ، وقول المرزباني : ((يقال إن كثيرا من شعر امرئ القيس ليس له ، وإنما هو لفتيان كانوا يكونون معه مثل عمرو بن قميئة وغيره))[3]. ويعود إلى ذكر ما ذكره سابقا من أمر الرواية وانعدام الكتابة، وطول المدة الفاصلة بينهما، والتي تكفلت بتشويه الصورة الأصلية للشعر الجاهلي عموما ، فهو يرى أننا مهما حاولنا الوصول إلى الصورة الأصلية للقصائد التي وصلت إلينا، وحتى وإن راعينا طرائق التعبير عند مختلف الشعراء والقبائل، فإننا نصل إلى نتائج سلبية في معظمها ، فعبر عن ذلك بقوله : ((بمعنى أننا سنرى أن هذا لا يمكن أن يكون صحيحا، هذا لا يمكن أن يكون الشاعر قد قاله فعلا))، ويتأتى لنا ذلك بمقارنة الروايات العديدة، وإعادة الترتيب الأصلي للأبيات وإفراز المنحولات واسترداد الصورة القديمة بوجه

---

[1] دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي, ص 28

[2] أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، تقديم وتعليق محمد زينهم ومحمد عزب، دار الآفاق العربية، مصر، 2003 ، ص 94.

[3] أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، نشر جمعية نشر الكتب العربية بالقاهرة، المطبعة السلفية، مصر، 1343 هـ ، ص 34.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

عام وإجمالي، ((أما في التفاصيل فلن نستطيع أبدا أن نتجاوز الرواية المنقولة)) ، إن استرداد النص الأصلي في جزئياته وتفاصيله أمر يستحيل عليه بسبب الرواية الشفهية وغياب الكتابة زمنا طويلا وصعوبة الاستعمال اللغوي عند الشعراء المختلفين[1].

وكان منه أن أقر بعجزه أمام هذا العمل الشاق، فالمتكفل به هو الناقد العربي البصير بشؤون اللغة العربية والشعر الجاهلي وعلوم أخرى تعين على الفصل في المنحولات، أما المستشرقون فهم عاجزون عن هذا الأمر.

أثر الناسخين وناشري النصوص على الروايات المكتوبة:

يستند الناسخون وناشرو النصوص عادة على الرواية المكتوبة في صورتها التي ثبتها الأصمعي أو السكري مثلا، أو غيرهما، وقد يتدخلون للتحقيق من صحة الروايات التي أمامهم زيفها حتى يقدموها إلى القارئ في نصها الأصلي أو القريب منه، ولكن نيلدكه يرى هذا الأمر ضربا من المستحيل، لأن الناسخ أو الناشر ليس في وضع يمكنه من استرجاع الصورة الأصلية بدقة، أو الحصول على الرواية الأقدم للنص، وربما تمكن الناسخ أو الناشر من هذا الأمر فيما يتعلق بالمقطوعات أو بعض الأبيات ، أما في القصائد الطويلة فلا يمكنه إلا تقديم نص ممزوج، ويعبر نيلدكه عن ذلك بقوله : ((وماذا عسى أن يحدث لو أراد المرء أن يسترد النص الأصلي الحقيقي استخراجا من الروايات المختلفة لشعر نفس الشاعر ! ! سيقع المرء في هوى بالغ، ولن يأتي بشيء مقبول لدى الفيلولوجي ذي الضمير المرهف ، ومن العسير أن نفرز رواية واحدة فرزا حادا))[2].

وقد مثل المؤلف لهذا الأمر بالنص السكندري لهوميروس والذي يرى أنه يختلف اختلافا كبيرا جدا عن الصورة الأصلية، وهذه المشابهة التي عقدها غير مجدية، لأن الفرق بيّن بين شعر هوميروس الذي ازدهر حوالي القرن التاسع قبل الميلاد وبين الشعر الجاهلي قريب العهد منا مقارنة بالأول، فالنص الهومري ضارب في القدم ، عرف في مسيرته إلينا تلونات واختلافات الأدب الشعبي، لقد شذبته الرواية الشفهية عدة مرات إلى أن غاب أصله قبل وصوله فترة التدوين، أما العهد بين رواية الشعر الجاهلي شفهيا وتدوينه فقريب، كما أنه نقل مشافهة بأمانة بالغة لما عرف من مكانة للرواية الشفهية عند العرب[3].

---

[1] دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي, ص 29
[2] نفسه, ص30
[3] نفسه, ص 30, 31

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

إن نيلدكه متيقن اليقين كله أن النص الأصلي للشعر الجاهلي قد ضاع، ولا يمكن استرداده في كل الأحوال، فيقول عن ذلك : ((فإنه ينبغي عليه (أي المرء) ألا يتوهم أنه أصبح أمام النص الأصلي للقصيدة كما نشرت مثلا في سوق عكاظ أو في قصر الحيرة لأول مرة))[1]، وهو يمثل لذلك دائما بالنص الهومري الذي فقد أصوله بحكم النقل الشفهي على امتداد زمن طويل.

إن النساخ والناشرين – حسب رأيه – حينما يجدون أمامهم عدة نصوص، أو نص يحتوي على اختلافات في القراءة، فإنهم يعمدون إلى نسخ النصوص حسب أذواقهم، وقد يكونون حفظوا القصيدة بشكل آخر يختلف عن النص الذي عليهم أن ينسخوه ، فخلطوا بين الموجود أمامهم وبين ما في محفوظهم، أو خلطوا بين محفوظين مختلفين، هذا إضافة إلى اختلاف الشروح التي زودت بها الأبيات، كما توجد أغلاط يقع فيها النساخ عن إهمال وعدم عناية، وفي هذه الحال، ليس أمام الناشر إلا أن يسلك مسلك الانتقاء والاختيار، ويمثل نيلدكه لذلك بلامية العرب واختلاف الروايات في نسبتها، وما يحدث لنص القصائد، يحدث كذلك للروايات المتعلقة بنشأة وظروف نظمها التاريخية والوقائع التي دعت إليها أو تعلقت بها أو أشارت إليها، فهذه كذلك كان مصيرها أيضا التحريف، ويعبر عن ذلك بقوله :

((فعدد كبير جدا من القصائد تنسب إلى هذا الشاعر مرة ، وإلى ذلك الشاعر مرة أخرى، وثم قصائد لا يمكن -كما هو واضح- أن تكون من نظم من تنسب إليه ...))[2] ولم يصب نيلدكه في هذا، فما أجمع عليه الرواة، فليس لأحد أن يخرج عنه كما قال ابن سلام، فإن إجماعهم على دواوين الشعراء ودواوين القبائل يفند أقوال نيلد كه وغيره، فإذا وصل الأمر إلى النساخ والناشرين على الصورة التي أجمع عليها العلماء فلا جدال في الأمر، ويكفي أن الدواوين والنصوص الطويلة قد وصلت مغربلة بالإجماع، وأما أمر المقطوعات والشوارد والقصائد المفردة ففرع لا يضر الأصل، وإن كان هذا الفرع لم يسلم من الغربلة والتمحيص.

ثم عرض علينا المؤلف متفرقات أخرى تفسد الشعر الجاهلي من مثل : جهل الأعراب الرواة لأصحاب القصائد،وخلط الجمّاع بين مؤلفي الكثير من القصائد التي حفظها عن ظهر قلب، وخلطه كذلك بين نصوصها، وتسبب النقد الباطل في نسبة قصيدة مجهولة المؤلف

[1] دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي, ص32
[2] نفسه, ص 33

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

إلى شاعر معروف، وخلط نسبة النصوص إذا تشابهت أسماء الشعراء[1].وهذه الأمور التي أوردها موجودة حقا، ولكنها ليست بالصورة الواسعة بحيث تشمل الشعر الجاهلي كله، كما أنه اهتدى إليها على ما نظن من خلال دراسته للروايات التي تغربل مثل هذه الأمور، إننا نراه دائما يعتمد كليا على نصوص الشعر الجاهلي ، وعلى ما تضمنته من روايات مختلفة، واختلافها هذا دال على شعور القدامى العميق بالقضية وفحصها بدقة كما هو دال على مبدأ العلمية والتقصي والتثبت، وهو مبدأ تبنوه ليصل إلينا أغلب الشعر الجاهلي في صورته النقية، إن هذه الاختلافات الجزئية الطفيفة لا يمكن لها بأي حال أن تعدو الأصل فتحجبه كما يظن نيلدكه، فما رواه الثقات بالإجماع كالأصمعي والمفضل الضبي وأبي عمرو بن العلاء وغيرهم ممن لا يرقى الشك إليهم، فيجب الأخذ به.

أخبار شرح القصائد:

لاحظ نيلدكه أن أغلب الأخبار التي تروى لشرح القصائد الجاهلية، نشأت في الغالب بسبب سوء تصور المواضع في القصيدة، خصوصا إذا أخذ المعنى الحرفي للكلمات بدلا من التعبير المجازي، فهو يرى أن معظم أخبار كتاب الأغاني وغيره من كتب الأدب يجب ألا نسلم بصحتها، لأنها ناشئة من سوء الفهم، وقد مثل لذلك بما روي عن امرئ القيس أن أباه أمر رجلا يسمى ربيعة أن يذهب به ويذبحه لكراهيته فيه قول الشعر، فأتى به ربيعة جبلا وتركه فيه واقتلع عيني جؤذر، فجاء بهما إليه، فأسف أبوه لذلك وحزن، فقال له ربيعة: إني لم أقتله، فقال له : جئني به، فرجع ربيعة فوجد امرأ القيس قد قال الأبيات التي أولها :

فلا تسلمني يا ربيع لهذه وكنت أراني قبلها بك واثقا[2]

والحق أن الكثير من أخبار امرئ القيس وما يتصل بها من أشعار ظاهرة الانتحال، ((وكأن ابن الكلبي وغيره من الرواة استلهموا ما تدل عليه أشعاره الصحيحة من أنه كان صبا بالشراب والصيد ومغازلة النساء، فلفقوا هذه الأخبار، وضمنوها بعض الأشعار))[3].

[1] دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي, ص 33
[2] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج 1 ، ص 51.
[3] شوقي ضيف, تاريخ الأدب العربي, العصر الجاهلي, ص 312

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

خرافة المعلقات السبع :

ختم نيلدكه بحثه بالحديث عن خرافة كتابة المعلقات بماء الذهب على شيء ثمين وتعليقها على الكعبة، فقال : ((... أن الشواهد عليها رديئة للغاية، وعندي أن هذا الخبر مشكوك فيه جدا، لأنه لم يذكره واحد من الكتاب الأقدمين ...))[1]. وقد رأى هذا الأمر من باب الأساطير، فلا علاقة له بالصحة، وقد ذكر جملة من كتب التراث التي لم تذكر هذا الخبر، كما استند على رفض أحمد بن النحاس لفكرة التعليق، وقد أطال نيلد كه الوقوف عند هذه القضية والتي يراها الدارسون العرب أنها من باب الأساطير، فلا أساس لصحة كتابة المعلقات وتعليقها.

و لم يفت نيلد كه إنهاء حديثه بالثناء والإعجاب بقيم الشعر الجاهلي، خاصة الرجولة والقوة اللتين تسريان في نصوصه، وقد حاول من خلالها استنهاض همة الشعب الألماني، كما لم يفته الإشادة بعظمة الشعر الجاهلي وجماله وصدقه وعفويته في وصف الحياة والطبيعة[2].

لقد اتسم طرحه بالحذر والتردد، باعتبار أنه أول مستشرق درس صحة الشعر الجاهلي، وكان يشوب حذره وتردده تعميم للشك، وهذا واضح في مستهل حديثه حينما حصر الشعر القديم في الشعرين المخضرم والأموي، فرائحة الشك في الشعر الجاهلي جملة تفوح من هذا الرأي، وقد رأى أن المنفذ الذي تسلل منه النحل إلى الشعر الجاهلي هوالرواية الشفوية وانعدام الكتابة، وكان منه أن رفض أمر الذاكرة وقوة الحافظة لدى العرب، فمن المستحيل عنده أن تخزن أقوى ذاكرة هذا الكم الهائل من الشعر ولمدة طويلة، إنه يقضي باستحالة الأمر بصورة قطعية، كما أن الدين الإسلامي قد قضى على جزء لا يستهان به من أشعار الجاهليين التي تحمل في طياتها صورة الوثنية، هذا إضافة إلى تزييفات الرواة والقصاص والشعراء المتأخرين، كما نفى جملة الأشعار التي تتضمن قصصا إسلاميا وأخبارا عن الأمم البائدة فإذا وصلنا رواة أخبار النصوص والناشرين والنساخ ، فإنه لا يبقى من الشعر الجاهلي شيء، إنه يعمم نفيه أحيانا، ويقر بوجود الشعر الجاهلي أحيانا أخرى، وفي إقراره يشير إلى ما عاناه من تشويه، إنه تردد الدارس الذي يعرض لدراسة القضية أول مرة، ولكنه في الأخير يبقى له فضل التعميم

[1] دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي, ص 35
[2] نفسه، ص 40.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

المشوب بالحذر والتردد، لأنه اعتمد اعتمادا كليا على نصوص و أخبار وروايات تراثنا الأدبي والنقدي.

ديفيد صمويل مرجوليوث(1858 – 1940):نفي وجود الشعر الجاهلي جملة

بعد تيودور نيلدكه ، تناول المستشرق الألماني فلهلم ألفرت صحة الشعر الجاهلي بالدراسة، وقد ضمن ملاحظاته الفصل الأول من كتابه ((ملاحظات على صحة القصائد العربية الجاهلية)) الذي صدر سنة 1872 م ، وقد سار فيه على خطى نيلد كه، فلم يخالفه في شيء ، إلا في بعض التوسع والتعميم. أما مرجليوث، فقد خص المسألة بمقالة عنوانها ((أصول الشعر العربي))، صدرت سنة 1925 م في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية، وحاول فيها إثبات بطلان الشعر الجاهلي كله، وكان قد استند في عرض آرائه على نوعين من الأدلة: خارجية وداخلية.

الأدلة الخارجية :

الاستدلال بالقرآن على الشعر الجاهلي :

استهل مرجوليوث بحثه بالاستدلال بآيات من القرآن الكريم على وجود الشعر الجاهلي، فقال : ((يشهد القرآن على وجود شعراء في جزيرة العرب قبل بزوغ الإسلام، ففيه سورة مسماة باسمهم، وفيه إشارات عابرة إليهم في مواضع أخرى))[1]، وكان خصوم النبي ينعتونه بأنه كان شاعرا مجنونا. ((ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون (36))), [الصافات] ، وكان النبي ينفي عن نفسه هذه الصفة، ويجيبهم بأنه إنما ((جاء بالحق)) ، وأشار مرجوليوث إلى ورود ثلاثة ألفاظ في سورة أخرى، هي كاهن ، ومجنون، وشاعر، وذلك في قوله تعالى: ((فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون (29) أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون (30))) ، [الطور]، واستنتج أن هذه الألفاظ الثلاثة مترادفة[2]، وأنه من عادة الشعراء التنبؤ بالغيب، كما أشار إلى أن القرآن قد ذكر أن لغة النبي ليست لغة شاعر، ولكنها لغة رسول كريم، ((إنه لقول رسول كريم (40) وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون (41) ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون (42))). [الحاقة] ، وأن الله لم يعلم النبي الشعر، لأنه لا طائل من ورائه، ((وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين

[1] دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي, ص 87
[2] نفسه, ص87

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

((69)), [يس] ، وقد استنتج من إبانة القرآن غموض الشعر وإبهامه. لقد وجد صفات الشعراء مجتمعة في قوله تعالى : ((والشعراء يتبعهم الغاوون(224) ألم تر أنهم في كل واد يهيمون (225) وأنهم يقولون ما لا يفعلون (226) إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون (227))) [الشعراء]، وقد خلص إلى أن الاستثناء في هذه الآيات لا يخص الشعراء الأتقياء، وذهب إلى أنه يمكن الاستنتاج مما سبق بأن الشياطين كانت تتنزل على الشعراء، إذ ذكر القرآن أنهم يتنزلون على كل كذاب أثيم، وأنهم ينقلون إلينا أنباء كاذبة في جملتها. ((هل أنبئكم على من تنزل الشياطين (221) تنزل على كل أفاك أثيم (222) يلقون السمع وأكثرهم كاذبون (223)، [الشعراء]، ومما يدل كذلك على وجود علاقة بين الشعراء وبين التنبؤ بالغيب ، أنه توجد في موضع آخر إشارة إلى عمل الشياطين، وهو استراقهم السمع في المجالس السماوية، فعوقبوا على هذا الذنب بأن ألقيت عليهم الشهب. ((إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب (6) وحفظا من كل شيطان مارد (7) لا يسمعون إلى الملإ الأعلى ويقذفون من كل جانب (8) دحورا ولهم عذاب واصب (9) إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب (10))). [الصافات][1] .

بعد ذلك يجد نفسه أمام ما يسميه معضلة، فمحمد لم يكن يعرف الشعر، ولكنه كان يدرك أن ما يوحى إليه ليس بشعر، بينما أهل مكة، وهم على دراية بالشعر، يظنون كلامه شعرا، وخلص من كل هذا إلى أن الشواهد القرآنية تبيح لنا بأن نقول إنه كان قبل الإسلام بعض الكهان من بين العرب كانوا يعرفون باسم الشعراء، وكانت لغتهم غامضة مبهمة تشبه الوحي[2].

لقد اعتمد مرجوليوث على آيات من القرآن الكريم لإثبات الأمور ونفيها في الجاهلية، والقرآن ليس كتاب تاريخ، بل هو كتاب سماوي، ومرجوليوث لا يؤمن به، ولا يثق بما جاء فيه، فكيف يعتمد على مرجع لا يصدقه، لقد كان شرحه للآيات في غير محله، وهدفه من وراء ذلك خدمة فكرته، لقد سوى بين الكاهن والمجنون والشاعر، ليستنتج أن الشعراء كانوا يتنبئون بالغيب، كما قرر أن الأفاكين الآثمين المشار إليهم في الآية هم الشعراء الذين تتنزل

[1] دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي, ص 88
[2] نفسه, ص88, 89

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

عليهم الشياطين، وهذا أمر لا يستقيم أمام المنطق ، كما استند إلى الإبانة التي وصف بها القرآن، ليبرهن على غموض الشعر وإبهامه، فالآية تثبت الإبانة للقرآن، وبالتالي تنفيها عن الشعر، والإبانة لم ترد في هذا الموقع فقط، بل تعدد ذكرها في مواضع أخرى ولعشرات الموصوفات، كالسحر، والضلال، والعدو، والنذير، والخصيم، والبلاغ ، كما فهم من الآيات أن الشاعر هو الأفاك الأثيم، وهذا خطأ منه، واستنتج أن الاستثناء لا ينطبق على الشعراء في حين كان حسان بن ثابت لسان الدعوة المنافح عنها وعن الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، فكل هذا يرد شبهة مرجوليوث والتي اعتمد فيها أساسا على فهم خاطئ لآيات من القرآن الكريم[1].

أما المعضلة التي استعصت عليه فهي خاطئة كذلك، لأن الرسول – صلى الله عليه وسلم– كان يعلم ماهية الشعر، وإنما كان لا يقوله، كما أن الكفار كانوا يعرفون جيدا الفرق بين القرآن الكريم والشعر، فهو ليس من باب الاشتباه عليهم، لقد كانوا يدركوا حقيقة الفرق، إلا أنه ادعاء بغرض التمويه وصرف النظر عن القرآن المعجز بيانا[2].

أولية الشعر الجاهلي:

انتقل بعد ذلك إلى قضية أولية الشعر الجاهلي ونشأته، فرآها غامضة، كما أن القدامى ذهبوا فيها مذاهب متباينة، فبعضهم يرجعه إلى آدم، والبعض يدعي تقديم قصائد من عهد إسماعيل، ثم يرى أن الرأي السائد هو أن الشعر العربي بدأ قبيل الإسلام بأجيال قليلة على أبعد تقدير، ويجعل مهلهلا أو امرأ القيس أول الشعراء، ولكن رغم ذلك يعود الشعر بزمن طويل قبلهما، ولكن مرجوليوث يشك في كل هذا ، فإن كانت قصة المهلهل حقيقية ، وهو أول من اخترع القصيدة، فلابد أن نقر بأن له مقلدين وأتباعا كثيرين، فما بين أيدينا من أشعار هائلة تعود إلى الجاهلية ينبئ بوجود شعراء كثيرين، والدواوين متوفرة بكثرة، وصفحاتها ليست باليسيرة، وإلى جانب شعراء المعلقات هناك قائمة طويلة بأسماء شعراء آخرين، هذا إلى جانب دواوين القبائل، كما أن هذه الأشعار تشير في مواضع كثيرة إلى الكتابة، فنحن أمام

[1] محمد مصطفى هدارة, موقف مرجليوث من الشعر العربي, مقال من كتاب"مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية", المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم, تونس, 1985, ج1, ص 400, 401

[2] محمد مصطفى هدارة, موقف مرجليوث من الشعر الجاهلي ص402

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

مجتمع أدبي يشهد شعره بعلو منزلته الأدبية، في حين لم توح آلهة الفن إلى الشعراء الإغريق مثل هذا الكم الهائل من الشعر[1].

لقد أورد آراء تصل ببداية الشعر العربي إلى آدم ، وتغاضى عن آراء ابن سلام التي ساقها في طبقاته، وكذب فيها الأشعار التي رواها محمد بن إسحاق وأمثاله ممن لا بصر لهم بالشعر، ونسبها إلى عاد وثمود، وحدد ابن سلام بداية الشعر العربي من عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف.

إن مرجوليوث يسخر من العرب، فلا يتصور أن يصدر منهم هذا الكم من الشعر، فآلهة الفن أوحت إلى العرب أكثر مما أوحت لليونان، إنه يحاول إثبات الحقائق بناء على العصبية التي لا تخدم المنهج العلمي، لقد نسي أن الشعر ديوان العرب، و لم يكن عند اليونان كذلك[2].

رواية الشعر الجاهلي وتدوينه:

انتقل مرجوليوث بعد ذلك إلى حفظ الشعر الجاهلي، فيرى على فرض أن هذا الشعر حقيقي، فكيف حفظ لنا ؟ لا بد أنه حفظ لنا إما بالرواية الشفهية، وإما بالكتابة، والرأي الذي يذهب إليه المؤلفون العرب هو الرأي الأول، مع أنهم لا يجمعون عليه، ويبدأ شكه في رواية الشعر الجاهلي شفهيا، وسبب ذلك : أنه إذا وجدت قصائد عديدة ذات أبيات كثيرة قد حفظت بالرواية الشفهية، فلا يمكن أن يكون ذلك إلا إذا وجد أفراد عملهم أن يحفظوها في الذاكرة وينقلوها إلى غيرهم، ولا دليل بأن نقر أن حرفة كهذه قد وجدت، وأنها بقيت خلال العقود الأولى من الإسلام، والسبب الثاني : ما يذهب إليه المسلمون من أن الإسلام يجب ما قبله، وما ورد في القرآن من أن أتباع الشعراء هم الغاوون، فحديث القرآن عن الشعراء فيه قسوة عليهم واحتقار لهم، وهذا ما يدعو إلى نسيان الشعر الجاهلي. والسبب الثالث : أن قصائد الشعر الجاهلي كانت تخلد عادة انتصارات القبائل بعضها على بعض ، والإسلام كان يهدف إلى توحيد العرب، وقد نجح نجاحا كبيرا في تحقيق تلك الوحدة، وكان يحث على نسيان تلك الحوادث والقصائد التي تثير النفوس وتهيج الدماء[3].

---

[1] دراسات المستشرقين, من ص92 إلى ص 96
[2] محمد مصطفى هدارة , موقف مرجليوث من الشعر الجاهلي, ص 403
[3] دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي, ص 96, 97

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

لقد ألقى مرجوليوث ظلال شكه على رواية الشعر الجاهلي، فلا يقر بوجـــود حرفـــة الرواية، كما أنه يستبعد وجود رواة يحملون في ذاكرتهم عددا كبيرا من القـــصائد الطويلـــة، وهو بطرحه هذا يشايع نيلدكه وألفرت، وقد فاته أن المصادر المختلفة تؤكد وجود سلـــسلة من الرواة الذين تعاقبوا في الرواية، ثم نبغوا في الشعر وصاروا من أعلامـــه، ويكفيـــه دلـــيلا المدرسة الأوسية، أو ما يسميهم الأصمعي عبيد الشعر، كما أن الإسلام لم يزدر الشعر جملة، و لم تنقطع روايته انقطاعا كليا، بل بقيت مستمرة إلى عهد التدوين، وكان مجيء الإسلام نعمة على الرواية، فقد حظيت باهتمام بالغ أكثر من ذي قبل، وغدا لها أعلام متخصصون فيهـــا، أما رأيه في شعر الوقائع والحروب التي دارت بين القبائل، وأن الإسلام لم يحض على روايتها حتى لا تثار الحفائظ، ومن أجل هذا نسي تماما فهو غير صحيح، إذ كان من العـــسير علـــى العرب – حتى الذين أسلموا – أن يغفلوا شعرهم القديم، ولو كان فيه تعارض مـــع القـــيم الإسلامية، فليس من الضروري – كما يرى شكيب أرسلان – لإعادة كلمـــة الإســـلام أن يلتزم المسلمون تعفية كل أثر للجاهلية، فالإسلام لا يطمس شعرا يستدل به علـــى مقـــدار فضله، كما أنه لا يوجد لدينا أي دليل على أن حاكما عربيا أصدر مرسوما يفيد بطي شعر الجاهلية، فالحكم الإسلامي لم يعرف في مراحله سياسة غلق الأفواه[1].

بعد أن فند مرجوليوث حفظ الشعر الجاهلي عن طريق الرواية الشفهية، انتقل إلى تفنيد كتابته، فعرض بعض الروايات التي تشير إلى أن بعض الشعر الجاهلي كان يكتب، واســـتنتج منها أنه يمكن الاطمئنان إلى اعتبار أن بعض الشعر الجاهلي كان يذاع وينشر كتابة، لكـــن الشك يعاوده لينفي اطمئنانه من وجهين، الأول : وجود أدب فصيح قبل الإسلام بلغة القرآن وبالكتابة الحميرية، أو بأي خط آخر أمر يناقض صريح ألفاظ القرآن وأحكامه التي يقررها ، فالقرآن يسأل أهل مكة : ((أم لكم كتاب فيه تدرسون (37))) . [القلم] ، ويـــسأل الكفار والمشركين : ((أم عندهم الغيب فهم يكتبون (47))) . [القلم] ، وأولئك الذين يخاطبهم القرآن لم يترل على آبائهم نذير : ((لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون (6))). [يس] ، و ((أم يقولون افتراه، بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون (3))). [السجدة] ، ((وما كنت بجانب الطور إذ نادينا، ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون (46))) [القصص]، كما أن

[1] محمد مصطفى هدارة, من 404 إلى 406

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الكتب السماوية لم تكن موجودة إلا لمجتمعين : المجتمع المسيحي والمجتمع اليهودي، و لم يكن للوثنيين كتاب ديني، فلو أن الشعر الجاهلي كان مكتوبا، لكان للجاهليين كثير من الكتب، ولكن القرآن ينفي وجود الكتاب والكتابة لدى عرب الجاهلية[1].

والوجه الثاني: ما يدعوه ((مجرى التطور الأدبي)) ، فالأدب – حسب رأيه – يسير عادة من الصور الشاذة غير المنتظمة إلى الصور المألوفة المنتظمة ، فيستنتج أن الشعر الذي يزعم أنه جاهلي إنما هو مرحلة تالية للقرآن، لم يسبقه في الظهور، ويرى أن الشعر والنثر المسجوع يشبهان القرآن ، ففي القرآن آيات لا ينكر أنها مسجوعة إلا الغلاة من المتشددين، كما أنه يتضمن أمثلة على كثير من الأوزان الشعرية، والتطور من الأسلوب القرآني إلى الأسلوب المنتظم يبدو متمشيا مع المألوف، وقد اعتبر القرآن أول أثر في اللغة العربية يظهر فيه الفن الأدبي، كما يرى أن ادعاء الإعجاز القرآني في الفصاحة ليس من العسير على الناس فهمه، فهو لا يختلف عن الشعر والنثر المسجوع، فما دام السامعون قد تعودوا سماع الشعر والنثر المسجوع ، فإنه يصعب إقامة الادعاء على الإعجاز القرآني في الفصاحة[2].

انطلق مرجوليوث من القرآن الكريم الذي رآه يتعارض مع تدوين الشعر الجاهلي، لقد استنتج من الآيات المذكورة أنه ليس للوثنيين كتب، فهم لا يعرفون الكتابة أصلا، لكن الثابت أنهم دونوا ما هو ضروري من شؤون حياتهم، كالعهود والمواثيق والصكوك، فإن كانت الكتابة لم ترق إلى مستوى الشمول، فإن المقصود من الآية انعدام وجود كتب دينية، وليس انعدام الكتابة كلها، كما نفى مرجوليوث وجود النذير في الجاهلية ، وأتى بآيات من القرآن الكريم ليدلل على ذلك، وهذا خلط مقصود منه بين المبشرين بظهور نبي وبين النبي المرسل، لقد كان في الجاهلية جمهور من الجاهليين الموحدين على دين سيدنا إبراهيم – عليه السلام – عرفوا بالأحناف، منهم ورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو بن نفيل، وأمية ابن أبي الصلت وغيرهم.

لقد مزج مرجوليوث في بحثه بين شكه في الشعر الجاهلي وتعصبه ضد الإسلام في كثير من المواطن، فقد حاول إثبات أن القرآن لا يختلف عن الشعر والنثر المسجوع، فهو يريد بذلك الوصول إلى غاية خبيثة مفادها أن القرآن ليس وحيا من عند الله ، إن تعود السامعين

[1] دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي, ص 97, 98, 99
[2] نفسه, ص 99, 100

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

على الشعر والنثر المسجوع، ووصولهم إلى درجة عالية لفهم النصوص ينفي الإعجاز القرآني في الفصاحة والبيان، وبالتالي فإن القرآن مصنوع، أما إذا ثبت أن القرآن معجز في فصاحته وبيانه، فهذا يعني أن الشعر الجاهلي لم يوجد في الجاهلية، وإنما وضع بعد الإسلام، إنه يستغل فكرة الشك في الشعر الجاهلي لخدمة أغراض دينية تعصبية[1].

رواة القرنين الثاني والثالث الهجريين :

انتقل بعد ذلك إلى الحديث عن الرواة من علماء القرنين الثاني والثالث الهجريين، فجمع من الكتب العربية إشارات تشيع الشك في بعض ما جمعوا من الشعر الجاهلي, ذاكرا حمادا, وجنادا, وخلفا الأحمر, وأبا عمرو بن العلاء, والأصمعي وأبا عمرو الشيباني, وابن إسحاق, صاحب السيرة , والمبرد, ثم أضاف إلى ذلك آراء هؤلاء العلماء بعضهم في بعض, فرأى أنهم لم يوثق بعضهم بعضا, فابن الأعرابي مثلا كان يتهم الأصمعي وأبا عبيدة, وقد قبل أن بعض العلماء كانوا يشكون في بعض الأشعار وينقدونها, فكانوا بمنأى عن النحل والوضع, لكنهم أدخلوا في الأشعار التي جمعوها ما كانوا يعتقدون أنه شعر جاهلي حقيقي, وهم غافلون عن ذلك, لقد عاب عليهم غفلتهم وانعدام حيلتهم في التنبه إلى الأشعار المنحولة, ثم يفاجئنا بتساؤله: ولكن من أين استقى هؤلاء الجماعون هذه الأشعار الجاهلية؟ وما هي مصادرهم؟

لقد وضع الإسلام حدا فاصلا بين العرب والوثنية, فكان يناصبها أشد العداء, فإذا كان الشعراء هم لسان الوثنية الناطق, فمن أولئك الذين حفظوا في صدورهم , ثم نقلوا إلى غيرهم تلك الأشعار التي تنافي الإسلام؟ التمس مرجليوث الجواب عن استفساراته في تلك القصة المردودة والتي مفادها أن حمادا عثر على الأشعار التي كانت مدفونة حينما كانت الحماسة للإسلام في أشدها , ثم اكتشفت مصادفة حينما خفتت تلك الحماسة بعض الشيء , إن مرجليوث لا يثبت على حال, لقد بحث عن آثار الوثنية في أشعار الجاهلية, فلم يجد لها أثرا يذكر, وها هو يستدل بها على دفن الشعر الجاهلي حتى تخفت حماسة الإسلام[2].

لقد اعتمد على مصادرنا العربية فيما يتعلق بالطعن في رواة القرنين الثاني والثالث الهجريين, وقد اعتبر بعض الدارسين من عرب ومستشرقين أن هذه الاتهامات التي كان يتهم

[1] محمد مصطفى هدارة, ص 408, 409
[2] دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي, ص102 وما بعدها

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

بها الرواة بعضهم بعضا, نابعة في الأصل من العصبية التي كانت متأججة بين مدرستي الكوفة والبصرة, كما تعزى كذلك إلى المنافسات والخصومات الشخصية, كالتي كانت بين المفضل وحماد, وكذلك العصبية السياسية, وكنا قد وضحنا الأمر فيما مر بنا من حديث عن توثيق الرواة, وتضعيفهم عند ناصر الدين الأسد.

لقد توالى هجوم مرجليوث على رواة الشعر الجاهلي, سواء أكانوا من الكوفة أو من البصرة, وحاول تضعيف رواياتهم, لكنه نظر إلى قضية الرواة من زاوية السلب, وتعمد غض الطرف عن الجوانب الإيجابية التي تفسر ثقة الرواة, وبلوغ بعضهم حد الورع والتقوى, والتحرج من الكذب ممن لا يرقى الشك إليهم كأبي عمرو ين العلاء والأصمعي وأبي زيد وأبي عبيدة وأبي حاتم وغيرهم, لقد شهدت كثير من الآراء بثقتهم وصدقهم وبسعة علمهم , ونفت عنهم كل صور الكذب والزيف والتلفيق, لقد أسس مرجليوث رأيه على أخبار مفردة انتقاها عمدا و لم يرفقها بما يفندها لأن ذلك يقوض ما بناه[1].

الأدلة الداخلية:

1/- ورود القصص الديني والكلمات الإسلامية في الشعر الجاهلي:

أول الأدلة الداخلية, ما في هذا الشعر الذي يسمى جاهليا من إشارات إلى قصص ديني ورد في القرآن, وما فيه من كلمات دينية إسلامية, مثل : الحياة الدنيا, يوم القيامة, الحساب , وبعض صفات الله, لقد رأى مرجليوث أن العرب الجاهليين في أكثر نقوشهم كانوا يذكرون إلها أو آلهة وأمورا تتصل بعبادتها, ولكننا إذا أردنا التماس الوثنية في الشعر الجاهلي, فإننا لن نظفر بشيء, إننا لا نجد جو الآلهة المتعددة في الأشعار كما نجده في النقوش, وربما هذا يوحي بأنهم كانوا نصارى, كما ظن لويس شيخو, ولكن يبدو أن هذا الأمر غير صحيح, لقد عبر بعض هؤلاء الذين اعتبرهم لويس شيخو نصارى بطريقة تظهر في وضوح أنهم ليسوا كذلك فالأعشى ميمون قيس مثلا ممن ذكرهم, يتحدث عن المصلين أو العباد متحلقين حول باب حاميهم مشبها تحلقهم بتحلق النصارى حول بيت صنمهم, وهو يشير إلى بيته الذي يقول فيه:

تطوف العفاة بأبوابه طواف النصارى ببيت الوثن

[1] محمد مصطفى هدارة, موقف مرجليوث من الشعر العربي, من ص410 إلى ص413

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ويرى مرجليوث أنه من عادة النصارى أن تصحبهم كتبهم المقدسة, وتتأثر لغتهم وأفكارهم بلغات وتعبيرات الأناجيل ورسائل الحواريين والأناشيد, ويتخذ شعرهم في الغالب طابع الترانيم, ولكن الشعر الجاهلي يخلو من الإشارات إلى الكتاب المقدس وتعاليم المسيحية, حتى لدى الشعراء الذين اشتهروا في بلاط مسيحي, ومعظم الشعراء الجاهليين في قسمهم يقسمون بالله وبلغة القرآن, ولقد استدل مرجليوث على شيوع تعابير القرآن والإسلام في الشعر الجاهلي, بجملة من الأشعار والأخبار يطول ذكرها, ولقد خلص من كل ذلك إلى أنه من المحتمل جدا تصور وجود سابقين لمحمد ثاروا قبل عهده على الوثنية في وسط بلاد العرب, كما أنه لو نظم الشعراء الجاهليون كما ينظم النصارى مضمنين المبادئ المسيحية , مظهرين معرفتهم بتعاليمها لكان من الجائز أن تواجهنا بعض الصعوبات في قصائدهم, وتعترضنا مشكلة حملها ونقلها, ولكن حينما نجدهم يتحدثون كالمسلمين, ويرددون صدى القرآن , فإنه من الصعب أن نقبل صحة هذه القصائد, لأنها تخالف ما ورد في النقوش من آلهة متعددة[1].

إن ادعاء مرجوليوث يفنده وجود بعض النصوص من الشعر الجاهلي والتي تتحدث عن الأصنام وبيوتها وكهانها، وكذلك عن الرهبان والتماثيل والكنائس والأعياد النصرانية والصلبان والنواقيس، هذا إلى جانب الحديث عن الكعبة والحج والهدي والقسم بإله فوق جميع الآلهة، هو الله سبحانه وتعالى، وفوق ذلك، فهناك أشعار كثيرة تصور الحروب التي كانت دائرة بين الإسلام والوثنية في عصر الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، ثم بينه وبين النصرانية والمجوسية بعد ذلك ، ويكفيه ردا ما تضمنه كتاب الأصنام لابن الكلبي.

أما ما ادعاه تهكما من أن الشعر الجاهلي يدل على أن أصحابه كانوا مسلمين لا يعرفون إلا التوحيد، فهذا واضح في وجود بعض الجاهليين الموحدين فعلا، ومنهم الطائفة المسماة بـ ((الحنفاء))، هذا فضلا عن أن الوثنيين أنفسهم ، كانوا يؤمنون بالله ، فكانت عبادتهم للأوثان تقربا إلى الله زلفى، وقد فاته، أو غض الطرف عمدا عن إشارات القدامى إلى بعض أشعار الجاهليين التي تضمنت المعاني الإسلامية، والتي رأوا بأنها منحولة.[2]

[1] دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي, من ص 109 إلى ص118

[2] ديفيد صمويل مرجوليوث، أصول الشعر العربي، ترجمة ودراسة إبراهيم عوض، دار الفردوس، مصر، 2006 ، ص 136 ، 137.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

2/-الشعر الجاهلي لا يعكس التباين اللغوي واللهجي:

الدليل الثاني من الأدلة الداخلية يتمثل في اللغة, ومدار حديثه فيه على أمرين: الاختلاف بين لهجات القبائل المتعددة, والاختلاف بين لغة قبائل الشمال واللغة الحميرية في الجنـــوب, وهذا الاختلاف بنوعيه –كما يرى- واضح في النقوش التي اكتشفت في شمال الجزيـــرة وفي جنوبها, ويرى أننا لو افترضنا أن الإسلام وحد لغة قبائل العرب, فإنه من الصعب أن نتصور وجود لغة مشتركة تختلف عن لغات النقوش المنتشرة في أنحاء شبه الجزيرة كلها, قبل أن يهيء الإسلام هذا العنصر الموحد, كما أننا لا نملك أي دليل على وجود شعراء في جنوب بـــلاد العرب, وإن وجدوا فلا بد أنهم نظموا أشعارهم بلغة الجنوب, وقد تم اكتـــشاف نقـــش أو نقشين في شمال بلاد العرب, بلغة القرآن, ولكن نقوشا أخرى كشفت عن ثروة من اللهجات تماثل تلك التي وجدت في الجنوب, ولكنه لا يوجد شعر بلغة الجنوب دائما, إننا بحاجـــة إلى دليل يجعلنا نفترض أن لغة الشمال كانت لغة أدبية قبل القرآن , أما بعده, فإن العلماء جمعوا الأشعار الجاهلية بلهجة قريش الشمالية, ولو كان الأمر متعلقا بالنثر لقلنا إن النصوص النثرية الجاهلية ترجمت, أما أن الأمر متعلق بالشعر, تلك الصنعة المعقدة, فمن المحال اعتبارها مترجمة من اللهجات المختلفة إلى لهجة الشمال[1].

لقد مر في بحثنا هذا أن لهجة قريش فرضت سيادتها قبل الإسلام, ووحدت لغة العـــرب بفضل جملة من الأسباب السياسية والدينية والاقتصادية, فالتباين اللهجي بصورة واســـعة لم يكن باديا في الشعر الجاهلي, لأن فصحى الشمال بسطت سلطانها على اللهجات الأخـــرى, وهذه الوحدة اللغوية ليست دليلا على نحل الشعر الجاهلي بعد الإســـلام, وفي وجـــود أدب عربي واحد من المحيط إلى الخليج في أيامنا هذه ما ينفي زيف ما يذهب إليه مرجليوث , إننـــا ولحد الساعة التي نحن فيها, ما زلنا نكتب ونقرأ بلغة واحدة رغم اختلاف اللهجات بين كل شعب عربي وآخر, فقد تبلغ حدة الاختلاف بين قطر عربي وآخر في اللهجات المحلية حـــد صعوبة التفاهم بين طرفي الحديث في لقائهما الأول, ولكن العربية الفصحى تظل المهيمنة على أدبنا شعرا ونثرا.

لقد كان عرب الشمال يحتكون بعرب الجنوب, عن طريق التجارة والمصاهرة والحروب, و لم نسمع أنهم كانوا يجدون صعوبة في التفاهم بينهم, وبمجيء الإسلام لم نجد في تاريخنا من

[1] دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي, من ص118 إلى ص122

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

يذكر مشقة التفاهم بين المسلمين من مختلف أنحاء الجزيرة, فوفود اليمن التي كانت تفد على الرسول-صلى الله عليه وسلم- بالمدينة لم تعرف أي حاجز لغوي, بينها وبينه , كما أن معظم شعراء الجاهلية ذوي الأصول اليمنية كانوا يعيشون في الشمال , ونظموا أشعارهم بلغة الشمال, و لم تكن بينهم وبين الشماليين الذين خالطوهم دهرا طويلا أي عوائق لغوية تذكر. وعلى أي حال , ففي الشعر الجاهلي بقية باقية تعكس بعض التباين اللهجي, الذي كان موجودا في الجاهلية, وقد تكفلت كتب النحو بحفظ هذه الشواهد, كما أننا نجد في القرآن حسما لهذه المسألة بأنه نزل بلسان عربي مبين, وهذا ما يعني بلا شك, وجود لغة قومية تعلو فوق اللهجات المحلية المختلفة[1].

3/-نمطية الموضوعات وتكرارها في القصيدة الجاهلية:

استوقف مرجليوث أمر موضوعات القصائد نفسها, فقد لاحظ أن القصائد الجاهلية تتفق كلها في التطرق لموضوعات واحدة بعينها, تتكرر في كل القصائد. إن مصدر الرتابة في قصائد الشعر الجاهلي واضح, ودليل ذلك أنهم دائما يبدؤون قصائدهم بأبيات من النسيب, وقد أشار القرآن إلى أنهم في كل واد يهيمون, ويصفون أسفارهم وتجوالهم لأن القرآن يقول إنهم يتبعهم الغاوون, كما أنهم يذيعون وينشرون أعمالهم , وغالبا ما تكون منافية للأخلاق, لأن القرآن يقول إنهم يقولون ما لا يفعلون, إنه نمط ثابت في كل القصائد التي تنسب إلى الجاهلية[2].

بعد ذلك شرع في مناقشة الأمر مناقشة كلية, فرأى أنه إذا كنا نشك في الشعر الجاهلي بالدليلين الداخلي والخارجي, فإننا نعود إلى مشكلة ابتداء النظم العربي, وهل هو قديم جدا؟ أم هل نظم كله بعد الإسلام؟ وبالتالي فهو متطور عن الأساليب التي وجدت في القرآن, وتصعب الإجابة على هذا السؤال فالترتيب الزمني يبيح لنا اعتبار الشعراء الأمويين جاؤوا بعد شعراء عصر النبي –صلى الله عليه وسلم- والصحابة الذين يسبقهم الشعراء الجاهليون, ولكن مرجليوث لا يطمئن إلى هذا الشعر الذي يسمونه جاهليا, لأنه لا يجده في النقوش , كما لا يجد أي إشارة في القرآن إلى الموسيقى, فالتسلسل لنشأة الفنون هو : الرقص , ثم الموسيقى ,

[1] ديفيد صموئيل مرجليوث, أصول الشعر العربي, تر: إبراهيم عوض, ص132 وما بعدها

[2] دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي, ص122, 123

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ثم الشعر, فإذا كانت الموسيقى قد ظهرت في العصر الأموي , فهل نستطيع أن نتصور وجود الوزن الشعري عند العرب من قبل بهذا الـــنظام وهذه الغزارة؟

ثم إن الممالك الجاهلية التي نعرفها عن طريق القنوش ذات حضارة باسقة, ولكن لا يبدو أنه كان لها شعر, فكيف نصدق أن الأعراب غير المتحضرين كان لهم شعر في مثـــل هـــذه الصورة المركبة؟؟

وعلى العموم فهو يحتمل افتراض اشتقاق الشعر والنثر المسجوع من القرآن, أما ما سبق القرآن من جهود أدبية فهي أقل منه فنيا.

ويختم مقالته بأنه يستطيع أن يذهب في شكه إلى أقصى حدوده, كما أنـــه يـــستطيع أن يمضي في التصديق إلى أبعد مذاهبه في أمر النظم العربي, هل يعود إلى عهد قديم جدا , أو أنه حادث بعد القرآن؟ ويجد بين يديه الأدلة التي تثبت شكّـــه المطلق في صحة الشعر الجـــاهلي والمتمثلة في النقوش والقرآن الكريم الذي استـــدل بآياته في مواضع عديـــدة لنفـــي الـــشعر الجاهلي وإخراجه من دائرة عصره[1].

إن مرجليوث يحصر الشعر الجاهلي كله في النسيب, ووصف الراحلة, وذكـــر بعـــض الأعمال والبطولات والتي عادة ما تخالف الأخلاق, وكأن القصيدة الجاهلية وقف على هذه الموضوعات لا تتعداها إلى التجارب الإنسانية المتعددة, وإلى تصوير الحياة الجاهلية بكل مـــا فيها, إنها نظرة ضيقة وربما تكون مقصودة لتخدم غرضه المبني على الهوى والتعصب, وهـــو بذلك يخالف المنهج العلمي الذي يقضي بالتجرد من التحكم والهوى والتعسف, إن الـــشعر الجاهلي مثل كل مظاهر الحياة المختلفة, فلم يقف عند التجـــارب الذاتيـــة الـــتي حـــصرها مرجليوث في طلاق زوجة, وإغارة على إبل , وذبح عدو, مما يوحي بازدرائه للعرب, كمـــا أنه لم يكن حكرا على النسيب ووصف الراحلة, لقد ابتعد مرجليوث عن دراســـة البيئـــات الاجتماعية وعلم الإنسان, فالمجتمع الجاهلي عرف الغناء والموسيقى والشعر في وقت مبكر, كما أن المجتمعات المتجذرة في البداوة أكثر من العرب عرفت الموسيقى والـــرقص, فكيـــف تغيب عن العرب معرفة هذه الفنون وهم من الشعوب التي شهدت حضارة في زمن متـــأخر عن شعوب أخرى.

[1] دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي, ص125 وما بعدها

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

لقد نسي مرجليوث أن يذكر لنا أسماء العباقرة الأفذاذ الذين اخترعوا لنا أسماء المئات من الشعراء, ولفقوا لنا أخبارهم وأشعاره, إنها حمولة شعرية هائلة لعدد كبير من أعلام الشعر الجاهلي, مما يجعل الأمر مستعصيا على الناحلين مهما بلغت معرفتهم بالشعر الجاهلي وشعرائه, ونضيف إلى ذلك دليلا آخر هو استعانة أول مفسر في الإسلام وهو ابن عباس – رضي الله عنهما- بالشعر الجاهلي لتفسير ما غمض من لغة القرآن الكريم, فلا يمكن أن ينحل ابن عباس الجاهليين شعرا ليستعين به على التفسير, فهذا أمر ترفضه شخصية ابن عباس, كما يرفضه المنطق[1].

إن أغلب الدارسين من عرب ومستشرقين يجمعون على ما في دراسة مرجليوث من تهافت, فالروايات التي استشهد بها تعضيدا لفكرته ضعيفة لا يعتمد عليها, كما أنه كان ينتقل من الخصوصية إلى العموم , ويناقش أمورا غامضة عليه لا يفهمها, فيقسرها قسرا عن جهل منه لتخدم غرضه, كما فعل مع الآيات القرآنية حين الاستشهاد بالقرآن الكريم على وجود الشعر الجاهلي, وعلى كثرة الدراسات الاستشراقية في قضايا اللغة العربية والأدب العربي, ((لا نجد مقالة تمثل سوء المنهج العلمي خضوعا للتعصب المقيت ضد العروبة والإسلام أشد وقعا وأبعد أثرا من مقالة مرجليوث))[2].

لقد كانت بحوثه المتعلقة بالإسلام واللغة العربية تتسم بالتعصب ومجافاة المنهج العلمي والجهالة الفاضحة, فكانت شكوكه حول الشعر الجاهلي تهدف إلى التشكيك في الإسلام[3], لقد طبعت آراؤه حول صحة الشعر الجاهلي بطابع المبالغة والتطرف والاندفاع , وكان اعتماده في إثبات نظريته الواهية على أسس لا يؤيدها الواقع التاريخي والأدبي[4].

إن مرجليوث بنفي الشعر الجاهلي كله يتهم الأمة الإسلامية بالكذب والتزوير في ذلك الوقت, وهذا تعصب ظاهر منه وكره للمسلمين لا يخفى, فكيف يعقل أن تتواطأ أمة بأكملها على النحل والتزييف , فلا يؤرق أحدهم ضميره وينطق بشيء يفضح هذا الإثم الكبير؟؟ وكيف يسكت علماء الأمة كلهم ولا يتفطنون غفلة منهم لهذا الداء الذي أصاب تراثهم

[1] محمد مصطفى هدارة, موقف مرجليوث من الشعر العربي, ص430, 431
[2] نفسه, ص396
[3] نفسه, ص396, 397
[4] يوسف خليف, أوراق في الشعر ونقده, دار الثقافة للنشر والتوزيع, 1995, ص37

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الشعري , وبعد مئات السنين يأتي هذا الأعجمي البريطاني مفكرا في الأمر متنبـــها لـــه دون الناس أجمعين عربا ومستشرقين؟[1]

أيريش بروينلش: (1892-1945): نقد آراء مرجليوث

في بحث له بعنوان "في مسألة صحة الشهر الجاهلي" صدر سنة 1926, كـــان مجمـــل حديثه ردا على آراء مرجليوث, وقد استفتحه باستبعاد وجود بيت واحد برواية واحـــدة في كل المواضع التي يرد فيها, وهذا الأمر يعود —حسب رأيه- إلى ثراء اللغة العربية بالمرادفـــات وشبه المرادفات, كما لاحظ أن عددا كبيرا من اختلافات الرواية في الشعر الجاهلي, يعود إلى طول استمرار روايته عن طريق شفوية خالصة, ورأى أنه رغم ظهور الكتابة , فإن الأمر زاد تعقيدا بسبب ما في الخط العربي من عيوب معروفة, فمن الأمور السعيدة لديه أنه حتى بعـــد إدخال صناعة الورق وكثرة الكتابة بقيت الرواية الشفهية من الأستاذ إلى التلميذ قائمة وقتـــا طويلا, واعتبرت المثل الأعلى لتحصيل العلوم الإسلامية[2].

إذا كنا نريد معرفة ما هو الصحيح في رواية الشعر الجاهلي ابتداء من القـــرن الثالـــث الهجري تقريبا, ثارت مسألة الثقة في أقدم روايات القصائد منذ اللحظة التي تفوه بها الـــشاعر حتى زمن الجمع والتدوين, ويرجع بروينلش بداية الشعر الجاهلي إلى حوالي مئتي ســـنة قبـــل البعثة, فهو بهذا التقدير الحسابي يشايع نولدكه , ومن قبله الجاحظ, كما مر بنا من قبل.

بعد هذا التقديم حول الرواية واختلافها , خص حديثه بالرد على آراء مرجليوث الـــتي تخص صحة الشعر الجاهلي, فرأى أنه بنى احتجاجه على الأعمدة التالية:

- العلاقة بين النقوش وبين الأشعار
- العلاقة بين القرآن وبين الأشعار
- الثقة في الرواة
- مضمون الشعر الجاهلي

[1] ديفيد صموئيل مرجليوث, أصول الشعر العربي, ص 117
[2] دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي , ص130, 131

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

العلاقة بين النقوش وبين الشعر والجاهلي:

يرى بروينلش أن فهم النقوش العربية الجنوبية أمر صعب , ورغم ذلك فإنه يقرر بـــشيء من اليقين بأنها لم تكن موزونة على الأقل بحسب البحور المألوفة في الشعر العربي, ولما كانت الشعوب التي صدرت عنها هذه النقوش ذات حضارة أسمى من حضارة البدو الذين صدرت عنهم الأشعار الجاهلية فإن مرجليوث قد رأى أنه من غير المعقول أن يكـــون للبـــدو غـــير المتحضرين ما لم يكن لأولئك المتحضرين. ويرد بروينلش على مرجليوث بقوله: ((إنه لـــيس من المستبعد ازدهار ملكة فنية لدى أقوام ذوي حياة بدوية)) وقد ساق أمثلة على ذلك منها: قصائد الهجاء والمعارضات (النقائض) التي كتبها الإسكيمو في غرينلاند, وشعر الهجاء الذي نظمه سكان جزر سليمان وهو لا يقل فحشا عن الهجاء العربي[1].

لغة الشعر الجاهلي:

إذا كانت لغة الشعر الجاهلي تختلف اختلافا شديدا عن سائر اللهجات العربية الجنوبية, فإن هذا لا يدل إلا على أن هذه الدول لم تشارك في الثقافة المشتركة لشعر البدو, ولكنها لا تنفي مشاركة بعض الأفراد الجنوبيين في هذا الشعر , ففي العصر الجاهلي وجد كـــثير مـــن العرب الجنوبيين يتكلمون لغتين اثنتين, أما اللهجات العربية الشمالية العديـــدة , فكـــان في وسعها أن تجتمع في لغة عالية , وقد أكد بروكلمن أن وجود لغة عالية يستعملها الشعراء من مختلف القبائل في صورتها الشفهية دون الاعتماد على الكتابة أمـــر لا يـــدعو إلى الارتيـــاب والاستغراب , كما أننا نستشف اللهجات المتباينة من هذه اللغة العالية بالاستناد إلى الأخبار الصريحة التي أوردها النحويون واللغويون المتأخرون, وبهذا نستطيع تفنيد الرأي الذي يزعم أن الشعر الجاهلي مكتوب بلهجة القرآن, ودليل ذلك أن ألفاظ الشعر الجاهلي أوسع من ألفاظ القرآن , بل هو أوسع من ألفاظ النثر القديم, وعلى هذا الأساس فإن زعم مرجليـــوث بـــأن الشعر الجاهلي مكتوب بلغة القرآن أمر مردود[2].

[1] دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي, ص 131, 132
[2] نفسه, ص132, 133

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

نفي المشابهة بين القرآن والشعر:

رد بروينلش على مرجليوث حينما حاول إثبات وجود الشعر في القرآن, وأن هناك مشابهة وصلة بين الوزن والقافية والنثر المسجوع والفواصل القرآنية, وخضوع بعض الآيات للتقطيع العروضي, بقوله: ((والآيات يمكن أن تقرأ على أنها تجري على وزن هذا البحر الشعري أو ذاك , هي قطعا غير مقصودة أن تكون منظومة, ومن البين أن آيات القرآن ليست من نوع ما سمي فيما بعد باسم الشعر, ولهذا فإنه كان سيكون مما لا داعي له أن يؤكد النبي محمد هذا الفارق بقوة, لو لم يكن على علم تام بتصور حقيقة الشعر بالمعنى الأقدم))[1].

وجود الكتابة في العصر الجاهلي:

استنتج مرجليوث من قوله تعالى : ((أم لكم كتاب فيه تدرسون))[القلم/37], أنه لم يكن لدى الوثنيين الجاهليين كتب , فما دام أنهم لا يملكون كتابا سماويا مكتوبا بين أيديهم, فهم لا يعرفون الكتابة و لم يدونوا شعرهم وضرورات حياتهم, وقد رد عليه بروينلش بقوله: ((... إن المقصود ليس هو امتلاك أي نوع من الكتب, وإنما هو فقط كتب يتفق مضمونها مع القرآن, أو على الأقل يمكن مقارنتها به ... وأيضا لا يمكن استفادة شيء من تفسير مرجليوث لانتفاء وجود شعر مكتوب, لأن أهل مكة , وكذلك سائر العرب, قد عرفوا فن الكتابة قطعا , أي أنهم كان لديهم نوع ما من الكتب))[2].

نمطية الموضوعات وتكرارها في الشعر الجاهلي:

يشايع بروينلش مرجليوث في هذا الأمر , فإن وجود موضوعات نمطية مكرورة في الشعر الجاهلي, أو ما يسميها مرجليوث بالرتابة, إضافة إلى عدم الترابط في تسلسل الأبيات ما يعتبر من الأسباب الباطنية لنشأة التزويرات والنحل, فبروينلش يرى هذا الأمر سببا جزئيا من أسباب النحل, بينما مرجليوث عده ركيزة من ركائز نفي الشعر الجاهلي جملة, وإن كنا لا نسايرهما معا, فنمطية الموضوعات هي من باب العرف الشعري الذي سار عليه شعراء

[1] دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي, ص133, 134
[2] نفسه, 134, 135

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الجاهلية, أما انعدام الترابط في تسلسل الأبيات والذي يفيد استقلال البيت الجاهلي بمعناه, فإن المستشرقيْن نسيا أن النص الجاهلي متوحد نفسيا, كما أنهما بحكم جهلهما لأسرار العربية والشعر لا يمكنهما إدراك الفروق الخفية بين النصوص الشعرية, والتي تبدو للقارئ البسيط متشابهة في موضوعاتها , فهذا أمر يحتاج إلى بصر بالعربية والشعر لا يناله إلا العربي المتشرب بلغته, فالمستشرق تغيب عنه أمور كثيرة بسبب جهله الجوانب الفنية للغة.

ومما لاحظه بروينلش كذلك أن نمطية الموضوعات تساعد على إضافة أبيات , أما عدم الترابط في تسلسل الأبيات , فإنه يؤدي إلى عدم تعيين ترتيب الأبيات , كما يرى أن مسيرة الشعر الجاهلي الشفهية على مر الزمن أدت إلى سقطات الذاكرة حتى عند الرواة المدققين[1].

نفي تزوير علماء اللغة:

لقد حاول مرجليوث إلصاق شبهة النحل والتزوير بأبي عمرو بن العلاء والأصمعي, وأضرابهما ممن لا يرقى الشك إليهم , فرد عليه بروينلش بقوله : ((أما أنه من الأمور المشكوك فيها أن نقول مع مرجليوث أن روايات اللغويين الشعرية هي تزوير, أو أن كل الأخبار عن الكشوف عن التزويرات بواسطة نفس الرواة , هي أخبار صحيحة, فهذا ما يمكن بيانه من المثلين التاليين))[2].

وهذان المثلان أوردهما مرجليوث وأخطأ بالاستشهاد بهما, وهما:

الأول: ما رواه أبو الفرج الأصفهاني عن جماعة من الرواة أنهم كانوا في دار أمير المؤمنين المهدي بعيساباذ , وقد اجتمع فيها عدد من الرواة والعلماء بأيام العرب وآدابها وأشعارها ولغاتها, وقد حضر المجلس المفضل الضبي وحماد الراوية, فقال الأمير للمفضل: إني رأيت زهير ابن أبي سلمى افتتح قصيدته بأن قال:

دع ذا وعد القول في هرم خير الكهول وسيد الحضر[3]

ولم يتقدم له قبل ذلك قول, فما الذي أمر نفسه بتركه؟ فقال له المفضل الضبي: ما سمعت يا أمير المؤمنين في هذا شيئا, إلا أني توهمته كان يفكر في قول يقوله, أو يروي في أن يقول شعرا فعدل عنه إلى مدح هرم , وقال: دع ذا, أو كان مفكرا في شيء من شأنه فتركه

[1] دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي, ص135
[2] نفسه, ص135
[3] أبو الفرج الأصفهاني, كتاب الأغاني, ج10, ص313

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وقال : دع ذا, أي دع ما أنت فيه من الفكر وعدّ القول في هرم, فأمسك عنه, ثم دعا بحماد, فسأله عن مثل ما سأل به المفضل, فقال حماد: ليس هكذا قال زهير يا أمير المؤمنين, قال: فكيف قال؟ فأنشده أبياتا, فاستحلف المهدي حمادا في شأن هذه الأبيات فأقر أنه قائلها, فوصل الأمير حمادا بعشرين ألف درهم لجودة شعره, وأبطل روايته لزيادته في أشعار الناس ما ليس منها, ووصل المفضل بخمسين ألفا لصدقه وصحة روايته, فمن أراد أن يسمع شعرا جيدا محدثا فليسمع من حماد, ومن أراد رواية صحيحة فليأخذها عن المفضل.

لقد شك برونلش في صحة هذا الخبر تاريخيا ,ورأى أن مرجليوث لا يستطيع أن يتجنب هذا بقوله: ((ولا بد أن ذلك وقع قبل خلافته)), لأنه في كل هذا الخبر يظهر المهدي على أنه خليفة فعلا, وبناء هذا القصر إنما تم بعد توليه الخلافة في سنة 158هـ, لكن حمادا توفي سنة 155 أو 156هـ[1].

والثاني: يتعلق بنظرية الخليل بن أحمد في أوزان الشعر واستمدادها من مادة شعر البدو, وفي هذا الأمر يقول مرجليوث: ((ولما قدم الخليل بن أحمد نظام العروض الذي صرح بأنه استمده من القبائل العربية, فإن أحد معاصريه ألف كتابا رام فيه أن يثبت أن هذا النظام كله وهم)), فرد عليه برونلش بقوله: ((إننا نجد هذا النقض على الخليل لا ينظر إليه على أنه نقض صحيح)), واستدل بأن الروايات المختلفة تثبت كذب برزخ العروضي[2].

ويعلق برونلش على رواية اللغويين بقوله: ((ينبغي علينا ألا نستسلم للشك المفرط فيما يتعلق بالمادة الشعرية التي رواها اللغويون , ولا للإفراط في الثقة العمياء فيما يتعلق بقدحهم بعضهم في بعض)), كما يرى أن الغالبية منهم تستحق الثقة, وأن الدلائل التي ساقها مرجليوث حين شكه في صدق جماعي الشعر الجاهلي واختلافهم في تحديد مبتكر أنواع الشعر المختلفة, وفي نسبة بعض الأشعار إلى أشخاص في الماضي , هي دلائل في مجملها تدل على عدم كفاية منهجهم العلمي ومعلوماتهم, لا على عدم صدقهم[3].

إننا نرفض تكذيب مرجليوث المطلق للرواة, كما نرفض تعليل رد برونلش عليه, فبالرغم من توثيقه للرواة , إلا أنه اعتبر اختلاف رواياتهم يعود إلى عدم كفاية المنهج العلمي والمعلومات لديهم, والواقع خلاف ذلك, لأن هؤلاء العلماء الرواة كانوا أقرب منا إلى الشعر

[1] دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي, ص 136
[2] نفسه, ص 136
[3] نفسه, ص137

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الجاهلي والصفاء اللغوي, فما يعرفونه من أسرار العربية والشعر لا نعرفه نحن في أيامنا هـــذه, فمهما بلغت مناهجنا من الكفاية والدقة, فلن تبلغ حد مناهجهم القائمة على الذوق والمعرفة الدقيقة, فكيف بحال بروينلش صاحب اللسان الأعجمي الذي لا يستطيع اســتكناه خبايــا الشعر الجاهلي, فشتان ما بين علم أبي عمرو بن العلاء والأصمعي وأبي عمرو الشيباني وخلف الأحمر وعلمنا نحن.

غياب الوثنية عن الشعر الجاهلي:

رأى مرجليوث وغيره من الدارسين أن قصائد الشعر الجاهلي لا تفصح إلا قليلا جدا عن ديانة العرب الوثنية, وقد أرجعوها إلى كون العلماء المسلمين صـــدموا بالمـــضمون الـــوثني للمواضع الدينية, ولهذا استبعدوها وحذفوها. فعلق بروينلش على ذلك بقوله: ((ومن المؤكد أن هذا الأمر حدث في بعض الأحيان, لكنه ينبغي علينا ألا نبالغ في تقدير هذه التغـــييرات, ذلك أن حملة الشعر من البدو , كانوا في كل الأزمان قليلي الحظ من التدين, ولا يمكـــن في هذا المجال أن يوضعوا في نفس مستوى شعوب النقوش العربية الجنوبية))[1].

أما ذكر لفظ الجلالة في الأشعار الجاهلية, فليس من الغريب أن يظهر مـــرارا عديـــدة, ((فمجرد ورود اسم الله ينبغي ألا يعد سببا كافيا للطعن في صحة بيت من الشعر الجاهلي))[2], لقد رأى بروينلش أن ذكر لفظ الجلالة في الشعر الجاهلي دالّ على أنه كان يسمو من حيث الاسم , إن لم يكن أيضا يسمو في التصور فوق كل القبائل في العصر الجاهلي.

ورود القصص الديني وتعابير القرآن في الشعر الجاهلي:

هناك بعض الأشعار المنسوبة إلى الجاهلية تحمل قصصا إسلاميا وتعابير قرآنيـــة, ولكـــن بروينلش لا يستطيع استبعادها كلها كما فعل مرجليوث , ((إن مجرد الإشـــارة إلى وقـــائع جاهلية يرد ذكرها أيضا في القرآن, لا تدل على اعتماد هذه الأشعار على القرآن, وعلى أنها إسلامية المصدر, فمن الممكن جدا أن تكون جزءا من أساطير الأولين الشائعة في الجاهلية))[3].

فورود عاد وثمود وإرم في الشعر الجاهلي لا يعني نحله في الإسلام.

كما رفض بروينلش رأي مرجليوث الذي ربط فيه بين موضوعات القصيدة الجاهلية وما ورد في الآيات (224-226) من سورة الشعراء, إذ تبدأ القصيدة الجاهلية عادة بالنـــسيب

[1] دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي, ص 138
[2] نفسه, ص138, 139
[3] نفسه, ص139, 140

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وذكر تجارب الغرام, وهذا ما أشار إليه القرآن بأنهم في كل واد يهيمون, وتنتقل بعد ذلك إلى وصف الرحلات والأسفار وهذا ما أشار إليه القرآن كذلك بأنهم يتبعهم الغاوون, وتنتهي بالتفاخر بأعمال بطولية ذات طابع لا أخلاقي وهذا واضح أيضا في القرآن بأنهم يقولون ما لا يفعلون, فرد عليه بروينلش بقوله: ((ففضلا عن أن ترتيب النماذج الثلاثة المزعومة لا يتفق مع ما ورد في القرآن, فإني أشعر بأنه من غير المحتمل أن يكون المسلمون قد اتخذوا شكل الشعر الممنوع بصراحة وفقا لنموذج كلمتين, وارتفعوا به إلى مرتبة عالية, أولى من الادعاء بأن القرآن في هذه المواضع أو تلك إنما يجادل ضد شيء حاضر عتيد على نحو فاتر))[1].

بداية الشعر العربي من العصر الأموي:

افترض مرجليوث أن بداية الشعر العربي الحقيقية كانت في العصر الأموي, أما ما يعتبر شعرا جاهليا فقد نحل كله بعد الإسلام, فلا وجود له جملة , وقد رد عليه بروينلش بقوله: ((ولو كانت "كل الأشعار الجاهلية وربما كل الأشعار السابقة على العصر الأموي" منحولة, وأنها صنعت على الأبكر في العصر الأموي, فإنه لن يكون مفهوما لماذا فضل علماء اللغة الذين ازدهروا في نفس العصر, باعتبار اللغة أداة مساعدة لتفسير القرآن, نقول لماذا فضلوا أخذ شواهدهم من الشعر الجاهلي على أخذها من الشعر الأموي, لأنه لن تكون لغة الشعر الجاهلي أقرب إلى القرآن من لغة الشعر الأموي))[2].

بهذه الردود, ظهر بروينلش معتدلا فقد ابتعد عن التعصب والمبالغة والتطرف والاندفاع, لقد أبدى إنصافا للشعر الجاهلي ورواته, لم يجاف فيه الموضوعية والسير على المنهج العلمي الذي لا يحتكم إلى التعصب والهوى, لقد خالف في عرض آرائه نولدكه الذي سلك مسلك التعميم في شكه وإن بدا أكثر حذرا , إلا أن طرحه كان يوحي بقدر كبير من الشك في صحة الشعر الجاهلي, كما خالف تعصب واندفاع وتطرف مرجليوث الذي حاول نفي الشعر الجاهلي كله, فانبرى يرد عليه داحضا حججه واستدلالاته.

[1] دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي, ص 140
[2] نفسه, ص 141

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

إيفالد فاجنر: مناقشة آراء السابقين من العرب والمستشرقين.

ضمّن كتابه فصلا بعنوان (الرواية وصحة الشعر العربي القديم), تناول فيه آراء من أثـــاروا مسألة صحة الشعر الجاهلي, فركز فيه على تيودور نولدكه, وألفرت فلـــهلم ومرجوليـــوث وبرونيلش وبلاشير, وطه حسين وفؤاد سزكين وناصر الدين الأسد , كما لم يفته مناقـــشة نظرية الشعر الشفهي لدى باري- لورد ومونرو وزويتلر.

وقد حاول المؤلف تغليب الموضوعية والحياد ما أمكن ذلك في معالجة القضايا التي اهـــتم بمناقشتها, فلم يكتف بآراء المستشرقين فقط, بل أخذ بآراء النقاد العرب في الاعتبار, وهو ما يدل بوضوح على تحوله عن منهج كثير من المستشرقين , وعلى معرفته الواسعة بأهم ما ألّف من دراسات حول الشعر العربي.

الرواية وصحة الشعر العربي القديم:

اعتبر فاجنر مسألة صحة الشعر الجاهلي, وبعض شعر صدر الإسلام من أصعب الموانع التي حالت دون نظرة أدبية علمية للشعر العربي القديم – حسب رأيه – ويرى أن المشكلة مازالت قائمة ,فأي تقويم للشعر العربي القديم يجب أن يتقدمه إيضاح مسالة الصحة في ذاتها, كمـــا يرى انه من الواجب على الدارس المتخصص إعادة إحياء هذه المشكلة, وهذا ما قام به في هذا الفصل, لقد أعاد إحياء المسألة من جديد[1].

لكننا نخالفه في اعتبار مسألة الصحة حائلا دون نظرة أدبية علمية إلى شعرنا القـــديم, إن الشك في صحة معظم الشعر الجاهلي يلوح من طرحه هذا, ونحن نعلم أنّ ملاحظات العرب القدامى لم تبق إلاّ على القليل من المنحولات المتعلقة أساسا ببعض القصائد المفردة والشوارد من الأبيات, أمّا ديوان العرب كله , فقد غربل منذ زمن بعيد, وتلاحقت الدراسات تباعـــا تصفي الأشعار, لذا ليس من المعقول أن نعتبر المسالة مانعا يقف في وجه الدارس حين يتناول شعرنا لدراسته دراسة أدبية علمية.

رواية الشعر الجاهلي:

عرض علينا فاجنر رواية الشعر الجاهلي كما هي معروفة في كتبنا, فلم يـــضف شـــيئا ذا بال, فالشاعر الجاهلي كان ينظم قصيدته للإنشاد الشفهي على الملأ, ينشدها هـــو أو يـــدع إنشادها للراوي, وقد أشار إلى وجود مؤسسات للرواة, كالتي كانت معهودة لدى الجاهليين,

[1] - إيفالد فاجنر، أسس الشعر العربي الكلاسيكي، الشعر العربي القديم، ص 37.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

لدى الصوماليين, وفي رواندا, وفي إيرلندا القديمة, و لم يكن دور الراوي إنشاد قصائد الشاعر فحسب, بل أن ينقلها إلى الأجيال الخالفة, وكان هناك رواة الشاعر, ورواة القبيلة, وغالبا ما تحول الراوي إلى شاعر وفي هذه الحال تتخذ العلاقة بين الشاعر والراوي صورة الصلة بين الأستاذ والتلميذ, ومن أشهر سلاسل الرواة سلسلة أوس بن حجر, زهير, كعب بن زهير, الحطيئة, هدبة بن الخشرم, جميل بثينة, كثير عزة, وقد بقيت الرواية الشفهية قائمة في العصر الأموي, وامتدت وصولا إلى القرن الثالث الهجري, الفترة التي دون فيها الشعر العربي, و لم ينس فاجنر الحديث عن رواة الشعر وعلمائه, متعرضا إلى شعر الشواهد النحوية وأصحابه من علماء النحو الذين كانوا يسعون لجمع البيت أو البيتين أو شطر البيت فقط دون ذكر نسبة ما يجمعون من أبيات, لان الحاجة لديهم لغوية بحتة كما عرض علينا قضية جمع الدواوين, دواوين القبائل ودواوين الشعراء المفردة وكذا المختارات والمعلقات والطبقات[1], ليصل في الأخير إلى قوله بأن ((الشعر العربي القديم بدءا من القرن التاسع الميلادي , قد روي على نحو يحتمل أنه باستثناء فقدان المادة, لم يعد توجد فيه أي تغييرات جوهرية. وهكذا فقد كان بين نشوء النصوص وتثبيتها النهائي ما بين قرنين وثلاثة قرون, فلا غرابة إذن أنه يمكن أن يقع شك في كون القصائد التي بين أيدينا قد ألّفها فعلا الشعراء الذين تضاف إليهم, وفي كون المادة المروية صحيحة أصلا))[2].

إنّ رواية الشعر الجاهلي والتي طال أمدها, هي التي فتحت باب الشك في صحته, فليس غريبا – حسب رأي فاجنر – أن نشك في نسبة القصائد وفي صحة الروايات التي حملت إلينا هذا الشعر.

الدارسون المحدثون الذين أثاروا المسألة:

كان أوّلهم تيودور نيلدكه وبعده بوقت قصير فلهلم ألفرت, ((وكان كلاهما مقتنعا بان قسما كبيرا من الشعر قد وصل إلينا موضوعا أو منتحلا))[3], وقد رأى نيلدكه أنه بالإمكان إرجاع الشكل القديم واستبعاد ما هو منتحل.

وقد رأى فاجنر أنّ طرح هذين الدارسين كان معتدلا مقارنة بمرجوليوث الذي عزا الانتحال إلى كل شعر العرب فيما قبل الإسلام, وبعد عام من طرحه قدم طه حسين القضية

[1] - إيفالد فاجنر، أسس الشعر العربي الكلاسيكي، الشعر العربي القديم، من ص 37 إلى ص 41.
[2] - نفسه، ص 41.
[3] - نفسه، ص 41 ، 42.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

بصورة شديدة التفصيل, وبلهجة بلاغية مدرسية, وكان لا يختلف في ذلك عن مرجوليوث. وقد أثار طرح هذين الدارسين استياء كبيرا في الشرق والغرب على السواء[1].

الأدلة والأدلة المضادة التي أدت دورا في النقاش حول طرح مرجو ليوث وطه حسين:

أجملها إيفالد بإيجاز فيما يأتي:

- عدم وجود قصائد في نقوش العرب الجنوبيين الذين كانوا على مستوى من الثقافة أعلى من العرب البدو الشماليين.

ويرد فاجنر على ذلك بأن النقوش النمطية لا تكاد تعكس شعرا موجودا, هذا من جهة, ومن جهة أخرى فثمة شواهد على وجود شعر لدى الشعوب البدائية التي لم تحظ بأدنى قسط من الحضارة, وقد مرّ بنا مع بروينلش من أنّ الهجاء لدى الإسكيمو في جرينلند, ولدى سكان جزر سليمان شهد رقيا كبيرا ,ففاجنر في كلامه الأخير لم يضف شيئا على ما رآه بروينلش.

- الرواية الشفهية هي سبب النحل والتحريف في القصائد حسب مرجوليوث وطه حسين إلى حدّ أنّه لم يبق شيء صحيح.
- تصور طه حسين والذي مفاده أن تكون قصائد امرئ القيس الصّحيحة قد نظمت بالعربية الجنوبية القديمة, لأنّه ينتمي إلى قبيلة كندة الجنوبية, هو تصوّر خاطئ كلية ((حيث تمّ الخلط بين سلسلة النسب واللغة)).

وقد ذكر فاجنر طه حسين دون أن يقرن اسمه بمرجليوث الذي ذهب المذهب نفسه, ورأى انه في حال وجود شعراء جنوبيين, فلابد أنهم نظموا أشعارهم بلغة الجنوب, أما اهتداؤه إلى خلط طه حسين بين النسب واللغة فأمر عرضه الدارسون العرب حين نقدهم لآرائه.

- تطابق لغة الشعر مع لغة القرآن وغياب الفروق اللّهجية من الشعر الجاهلي, لذلك وجب أن تكون ألّفت فيما بعد على غرار النموذج اللغوي للقرآن الكريم .

والحقيقة أن الشعر حمل بعض الفروق اللهجية على قلتها كما أنّ لغة الشعر أكثر ثراء من لغة القرآن, وهذا ما ذهب إليه بروينلش كذلك فيما ذكرنا سابقا[2].

[1] - إيفالد فاجنر، أسس الشعر العربي الكلاسيكي، الشعر العربي القديم، ص 43.
[2] - نفسه، ص 43 ، 44.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

- القصائد العربية القديمة انتحلها المسلمون , ودليل ذلك ندرة ذكر الديانة الوثنية فيهـــا وقد عارض فاجنر هذه الحجّة بأنّ العلماء المسلمين قد يخفون أولا يتعرضـــون لـــذكر الأشعار الوثنية, أما محوها وتبديلها بأخرى تحمل ما يدل على الإسلام فأمر لا يقومون به.
- نمطية الشعر الجاهلي دليل على وضع معظمه في نظر مرجوليوث وطه حسين, وقد نفى فاجنر ذلك, لان النمطية بقيت ماثلة في شعر ما بعد الإسلام, ورأى أنّها تسهل النحل, ولكنها ليست علامة مميزة للشك في الشعر الجاهلي بصورة مطلقة.
- نزوع فقهاء اللغة إلى شواهد على مفردات نادرة أدّى إلى أن يقدم الأعراب الرواة أبياتا منحولة لهذا الغرض, ويرى فاجنر أنّ هذه الشواهد كانت تؤخذ بحيطة لأنّه لا يمكـــن البرهان على صحتها .
- اتهام اللغويين مثل حمّاد الراوية وخلف الأحمر من معاصريهم بالنحل على نطاق واسع, وقد أورد فاجنر رد بروينلش على ذلك معترضا بقوله: ((إنّ المرء لا يستطيع أن يـــسم القصائد التي رواها فقهاء اللغة بأنّها منتحلة, بل أن يصف في الوقت ذاته مآخذ النحل التي قدمها فقهاء اللغة أنفسهم بسبب غيرة محتملة بين الأقران بأنها صـــحيحة)). وقـــد عقّب فاجنر على تعليق بروينلش بقوله: ((ومع ذلك فالأمر ليس على هذا النحو تماما, لأن مآخذ النحل قد كررها فقهاء اللغة الأقدر نقدا في القرن التاسع الميلادي, الـــذين وقفوا أمام مشكلات الصحة ذاتها مثلنا, ومن ثمّة ينبغي علينا أن نحتاط حيطة بالغة تجاه قصائد صرح المسلمون بأنّها منتحلة)).
- وجود قصائد لم ينحلها فقهاء اللغة فقط, بل وجدت أسباب أخرى لنحلها, مثل:

- حمل النزاع (الصراع) بين القبائل والأسر والجماعات فيما بينها على التغني (التفاخر) بمجد الأجداد من خلال أبيات قديمة موضوعة. وهذا الأمر ليس بجديد, فقد أشار ابـــن سلاّم إلى أثر العصبية القبلية في نحل الشعر.
- ظهور الوعي لدى غير العرب في بداية العصر العباسي (الـــشعوبية) الـــذي أدّى إلى وضع قصائد على لسان العرب القدامى في مدح الفرس, وفي المقابل وضع العرب أبياتا على قدم الثقافة العربية .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

- – القصاص ورواة الأخبار التاريخية نوّعوا عروضهم بقصائد, مثل صنيع ابن إسحاق في السيرة, وهذا أمر لم يغفله نقدنا العربي القديم كذلك.

وقد رأى فاجنر أنّ مرجوليوث وطه حسين لم يوفّقا في إثبات عدم صحة الشعر العربي القديم في مجمله, و((إن نظريتهما لعلّها بشكل مؤكّد, وخاصّة فيما يتعلّق بنقد الرواية فيما بعد صدر الإسلام , توصي بحيطة بالغة الصرامة, بيد أنّه قد حدث العكس من ذلك, فالمعالجة الأدبية للشعر العربي التي بدأت في الثلاثينات احتاجت فعلا إلى نصوص صحيحة, ومن ثم استمر المرء في الذّهاب مذهب الشّك المعتدل لنيلدكه وألفرت من الناحية النظرية, وفي التطبيق تحرّى المرء صحة أكثر مما صنع كل منهما))[1].

ريجي بلاشير: اعتدال في الناحية النظرية وسلبية مفرطة في التطبيق:

يرى فاجنر أنّ بلاشير في موقفه من صحة الشعر الجاهلي لم ينحرف كثيرا من الناحية النظرية عن نيلدكه وألفرت, ولكنه عند تطبيقه للنظرية حين نقده لشعراء فرادى, لم يبق على شيء صحيح إلاّ نادرا, فقد تكررت باستمرار كلمة (نحل, انتحال), وقد رأى في الشاعر الأموي جرير أوّل شاعر عربي لم يختلق الناحلون شخصيته الشعرية, بل كانت صحيحة[2].

فريتس كرنكوف, فؤاد سزكين, ناصر الدين الأسد: افتراض الكتابة حجة قوية لتاكيد صحة الشعر الجاهلي:

جمع كرنكوف سنة 1922م في مقالته ((استعمال الكتابة في حفظ الشعر العربي القديم)) أخبارا وروايات عن معرفة الكتابة لدى الشعراء الجاهليين , فقد شبّه الشعراء آثار الأطلال الدارسة بحروف الكتابة, وتحكي الأخبار المتفرّقة عن تدوين القصائد, وعلى هديه سار ناصر الدين الأسد وفؤاد سزكين اللّذان افترضا الكتابة المبكّرة للشعر الجاهلي, الأوّل في كتابه ((مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية)) الصادر سنة 1956م, والثاني في الجزء الثاني من كتابه ((تاريخ التراث العربي)) الصادر سنة 1975م.

لقد تبنى الدارسان نظرية الكتابة التي تفيد بان الشعر الجاهلي وصلنا عبر قناتين متآزرتين هما: الكتابة والرواية الشفهية,ليصلا إلى مفصل الاطمئنان على صحته كله.

[1] - إيفالد فاجنر، أسس الشعر العربي الكلاسيكي، الشعر العربي القديم، ص 45، 46.

[2] - نفسه، ص 47.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

لقد استعمل ناصر الدين الأسد أسبابا داخلية أيضا ليثبت كتابة الشعر الجاهلي في وقت مبكر فهو يرى أنه ربما من غير الممكن أن تنظم القصائد الطوال التي تبلغ مئة بيت أو تتجاوزها ذهنيا, فالشاعر بحاجة إلى تسجيل ملاحظاته من وقت لآخر. كما أشار فؤاد سزكين, وكان قد سبقه إلى ذلك كرنكوف من قبل, إلى أنّ بعض البدائل في القصائد لا يمكن أن تفسّر إلاّ بأنّها ناتجة عن أخطاء في الكتابة, وليست ناتجة عن أخطاء في السمع.

ويعلق فاجنر على صحّة نظرية الكتابة بأنها لا تسهم في مسالة الصّحّة, فلو افترضنا أنّ رواية الشعر الجاهلي وردت بأكملها عن طريق الكتابة, فإنّها لا تفيدنا بشيء في مسالة الصّحّة, ((فأوجه الانتحال المتعمدة ممكنة بسهولة من الناحية الكتابية مثلما هي كذلك من الناحية الشفهية فيمكن لمخطوطة ما أن تتلف تماما قبل أن تنسخ مثلما يمكن أن يموت الإنسان قبل أن ينقل علمه)), وقد لاحظ أنّنا فقدنا القسم الأكبر من الشعر العربي القديم قبل أن يدوّن بوقت طويل, كما أنّ الكتابة لا يمكنها أن تمنع حدوث تغييرات غير متعمدة. وقد اعتبر بروينلش من حسن الحظ أنّ الشعر العربي قد نقل شفهيا حتى بعد إدخال صناعة الورق, فالرواية الكتابية في نظره زادت بالتأكيد من تحريف النصوص, ومما يخلص إليه فاجنر أنّ نظرية الكتابة لا تقدم أيّ حلّ لمشكلة صحة الشعر الجاهلي[1].

نظرية الشعر الشفهي ودراسة الشعر الجاهلي:

لم يكن الغرض الأساسي من هذه النظرية حل مشكلة صحة الشعر الجاهلي ,بل تفسير الالتزام الصّياغي ومسائل أخرى في بنية الشعر العربي, ويرى فاجنر أنّنا إذا طبقناها على الشعر العربي لمعرفة صحيحه من زائفه فسوف يتبين لنا عدم جدواها في ذلك وربما أقصيناها. إنّ أصحاب هذه النظرية يزعمون أنّ لها أهمية في دراسة الشعر العربي و فهمه.

منذ 1928م طوّر باري Parry نظرية الشعر الشفهي على لغة هومر, وبعد الخمسينات نقلها تلميذه لورد Lord إلى تقاليد ملحمية أخرى خاصة الملحمة اليوغسلافية, لذلك تسمى أيضا ((نظرية باري- لورد)), بعد ذلك تبناها عدد كبير من

[1] - إيفالد فاجنر، أسس الشعر العربي الكلاسيكي، الشعر العربي القديم، ص 47 ، 48 ، 49 ، 50.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

العلماء وطبقت على آداب وأجناس أدبية متباينة وقد وجدت مدخلا إلى دراسة الشعر العربي من خلال مقالة لجيمس مونرو وكتاب لزويتلر[1].

مفاد نظرية باري–لورد:

مفادها أنّ المنشد لا يستظهر القصائد الملحمية التي تلقى إلقاء شفهيا, بل يعيد صياغتها في كل مرة عند الإلقاء وفق حكاية سابقة , ومن ثم , فان كل إلقاء(إنشاد) هو نظم جديد, إذ يوجد توحد بين المؤلف والمنشد, ولذلك ليس للملحمة في ذاتها مؤلف ولا نص أصلي, ويكون التأليف الارتجالي لحكاية طويلة في كلام مترابط ممكنا للمنشد المرتجل من خلال توفره على ثروة صياغية ضخمة, يمكن له استخدامها باستمرار, ويتجنب في أسلوبه استعمال الجمل التي تتجاوز نهاية البيت (التضمين), كما يقتصر على موضوع نمطي[2].

ويثبت فاجنر عدم جدوى تطبيق هذه النظرية على الشعر العربي , مقدّما الحجج الآتية:

- القصيدة الجاهلية ليست شعرا ملحميا, فهي من الشعر الغنائي.
- طول القصيدة على أقصى تقدير مئة وعشرون بيتا, وبالتالي يمكن استظهارها بسهولة, فلا حاجة للتأليف الجديد عند الإنشاد.
- وجود الحوليات في الشعر الجاهلي ينفي عنه صفة الارتجالية المطلقة والتي بمقتضاها قد تخضع القصيدة للتشويه.
- إذا قابلنا بين التتابع النمطي لموضوعات القصيدة وبين الحكاية في الشعر الملحمي, فإنّنا لا نصادف قدسية الحكاية, وبالتالي فان جميع القصائد الجاهلية ليست بدائل إنشاد لحكاية[3].

لقد كان من نتائج نظرية الرواية الشفهية التي عرفت عن أتباع باري ولورد ما يلي: الالتزام الصياغي, والتضمين, ونمطية الموضوعات.

ويقصد بالالتزام الصياغي أو القالب الصياغي: النمطية والتكرارية , ويعنون بذلك: العبارة المتداولة المتكررة, مثل ((وقد اغتدي والطير في وكناتها)) ,فهذه العبارة نجدها عند

[1] - إيفالد فاجنر، أسس الشعر العربي الكلاسيكي، الشعر العربي القديم، ص 50 ، 51.

[2] - نفسه، ص 50 ، 51.

[3] - نفسه، ص 52.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

امرئ القيس مرّات, كما نجدها عند غيره مرات أيضا, وهكذا نجد أن المعجم اللّغوي والتّصويري يكاد يكون موّحدا عند الجميع , ممّا يسمح لنا بأن نقول: إنّ هذا الشعر لا يخرج عن دائرة ((القالب الصياغي)), وذلك نتيجة طبيعية, لأنه وليد الارتجال.

أمّا التضمين فيعني امتداد الجملة إلى البيت التالي, وهو عند العروضيين عيب من عيوب الشعر, ويقصد به: أن يفتقر البيت في معناه إلى البيت أو الأبيات التالية افتقارا لازما أو غير لازم, ومن أمثلته قول النابغة:

وهم وردوا الجفار على تميم وهم أصحاب يوم عكاظ, إنّي
شهدت لهم مواطن صادقات أتينهم بودّ الصدر منّي

والتضمين يخلّ باستقلال البيت بمعناه القديم إخلالا تاما , وربما ينظر إلى التضمين العروضي على أنه يقوم بدور كبير في تحقيق ترابط النص الشعري.

أمّا نمطية الموضوعات , فتعني التزام القصيدة بالبدء بالنسيب, ثم الانتقال إلى وصف الراحلة, والانتهاء بذكر الأعمال والبطولات.

لقد رأى فاجنر في نتائج هذه النظرية بأنّها لم تكن مرتبطة بالشعر الجاهلي فحسب, بل تعدّته إلى العصور التالية, ومازالت ماثلة في شعر أيّامنا هذه , إنّ النظر إلى القالب الصياغي على أنه وسيلة لدى الشاعر لبناء تأليفه, يبيح لنا اعتباره دليلا على صحة نظرية الشعر الشفهي , هو في الحقيقة أمر يتنافى بعضه مع بعض , لأن الشاعر يستخدم القالب الصياغي من جهة لتشكيل بناء العمل تشكيلا فنيا , ومن جهة أخرى لتيسير الإنشاد الارتجالي السّريع, وهذا ما يجعلنا نرفض هذه النظرية .

ويبدو لفاجنر أنّ الشعر الجاهلي لم يكن شعرا شفهيا , ولو كان كذلك لحلّت مشكلة صحّته, واعتبرنا القصائد في شكلها الموجود لدينا (أداء تأليف) لموضوع موجود منذ مدّة طويلة من الزمن الذي دونت فيه, ولا تمثّل التبديلات إلاّ أوجه أداء مختلفة , وبالتالي فلا حاجة إلى محاولة البحث في صحّة الشعر الجاهلي وإعادة إنشاء النّص الأصلي, إذ لا يوجد أصل في نظرية الشعر الشفهي[1].

[1] - إيفالد فاجنر ، أسس الشعر العربي الكلاسيكي، الشعر العربي القديم، ص 53 ، 54.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

موقفه من مسألة صحّة الشعر الجاهلي :

يبدو لفاجنر أنه من غير الممكن أن يوصف الشعر الجاهلي كما فعل مرجوليوث وطه حسين, بأنّه غير صحيح في مجمله, والدليل عنده: أنه لو لم يوجد شعر جاهلي مطلقا أو أنه قد ضاع كله مع ظهور الإسلام لما كان لدى فقهاء اللغة الناحلين في العصر العباسي نموذج يستطيعون أن ينحلوا وفقا له, فهم بحاجة إلى نموذج جاهلي يبرز العلاقات الاجتماعية زمن البدو, والتي لم تعد موجودة زمن فقهاء الحواضر, كما أنه ليس من الممكن أيضا أنّ النحاة ومفسري القرآن قد اختلقوا عمدا شعرا بأكمله ليستجلبوا شواهد لهم, كما يرى أنّ ما بقي من الشعر الجاهلي فيه قصائد صحيحة تارة وقصائد منحولة وفق نموذج القصائد الصحيحة, وأن إمكاناتنا للفصل بين الصحيح والمنحول محدودة للغاية لعدم توفر الأدلة الكافية, فإذا وجدنا الأدلة على النحل, مثل المفارقات التاريخية فان ذلك يجيز لنا إثبات عدم صحة قصيدة ما ويمثّل لذلك بإشارات أعشى ميمون إلى موت هرقل (610م-640م) فإذا كانت الرواية القائلة بان الأعشى توفي ما بين (625-630م) فهذا خطأ تاريخي في النص الذي نشأ قبل موت المذكور فيه.

أمّا إثبات صحّة قصيدة ما فهو أصعب بكثير من عدم إثبات صحتها إذا توفرت الأدلة على ذلك, كما أنّ الدراسات العربية المتعلقة بصحّة الشعر الجاهلي وردت في الغالب انطباعية وفق الأحاسيس فقط, وبناء على ذلك فقد جاءت متناقضة, وللفصل بين الصحيح من الشعر وغير الصحيح وفق معايير موضوعية, حتّى يتسنى لنا الإتيان بمعايير ذات طبيعة لغوية أو مضمونية أو أسلوبية أو إحصائية, يحتاج الدارس إلى مادة لغوية CORPUS من قصائد صحيحة بشكل مؤكد يمكن أن تفسر بناء عليها المعايير, وقد طالب ستيتكفتش في دراسة له بعنوان (بعض ملحوظات حول الشعر العربي) بأنّه ينبغي على الدراسات العربية أن تتخلّى في مسالة صحّة الشعر الجاهلي عن الإحساس (الانطباع), وان تطبق مناهج تاريخية ولغوية, ويرى فاجنر أنّ مطلبه حق من الناحية النظرية , ولكنه يتعذّر تحقيقه عمليا[1].

كانت دراسة فاجنر متأخرة زمنيا عن سابقاتها من الدراسات الاستشراقية, إذ ظهرت في سنة 1987م, بعد أن أفرغ الدارسون من عرب ومستشرقين كل ما لديهم من آراء حول صحّة

[1] - إيفالد فاجنر، أسس الشعر العربي الكلاسيكي، الشعر العربي القديم، ص 55 وما بعدها.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الشعر الجاهلي, لقد وصلته الصورة مكتملة ناضجة, والآراء قد استنفدت فما كان منه إلاّ أن عرضها علينا موجزة تصحبها تعليقاته التي ينقد فيها هذه الآراء, ويبين مواضع الخطأ ومواضع الصواب فيها, لقد كان عرضه صالحا بأن يكون خاتمة آراء المستشرقين في المسألة على اعتبار أنّ جلّ دراساتهم ونتائجها تمثلت فيها, وكان منه أن أردف دراسات المستشرقين وآرائهم بآراء النقّاد العرب المحدثين, فهو بصنيعه هذا يعكس جانبا من الاعتدال والموضوعية يخالف فيه من سبقوه من المستشرقين.

ولكنّ معظم المستشرقين يغلب على دراساتهم طابع الإحصاء والتقدير الحسابي والركون إلى كلّ ما هو تقني, فلا تجد فيها ما يقوم على التذوّق الفني, وتلمّس مواطن الجمال في النصوص, والبحث عن جزئيات المفردات اللغوية التي تكون مفاتيح لما يستغلق في النصوص, وعلّة ذلك –كما يرى محمود محمّد شاكر- أنّ المستشرقين كلّهم على اختلاف ألسنتهم وثقافاتهم بعيدون كلّ البعد عن المنهج الذي رسمه لنفسه في كلّ دراساته, لأنّ ((ما قبل المنهج)) -كما يسمّيه – متكون من شطرين شطر جمع المادة من مظانّها, وشطر التطبيق, فإذا تيسّر للمستشرق الشطر الأوّل, وتوفّرت لديه المادة العلمية , فانّ شطر التطبيق القائم على ترتيب المادة المجموعة بعد نفي زيفها وتمحيص جيّدها باستيعاب لكلّ احتمال للخطأ أو الهوى أو التسرّع, وتحرّي وضع الحقائق في مواضعها اللاّئقة بلا تسرّع ولا غفلة ولا هوى كذلك, هو أمر يراه شاكر مستحيلا على المستشرق القيام به , لانّ شطري المنهج معا يقومان أساسا على ركائز هي:

معرفة اللّغة والثقافة والابتعاد عن الأهواء. فاللغة العربية تستعصي على ابنها العربي الذي رضعها مع لبن أمّه, ونشأ بين أبوين عربيين وفي مجتمع عربي, ودرس في مدارس عربية على أيدي مدرسين عرب, فإذا حصل له منها ما يكفيه و لم تكن له دراية واسعة بثقافة أمّته وتراثها كلّه, كان بعيدا كلّ البعد عن المنهج, هذا ما يحصل للعربي فكيف يكون شأن الأعجمي فرنسيا كان أو انجليزيا أو ألمانيا؟ ينشأ على لغة قومه, فإذا بلغ العشرين أو ما يزيد عنها طلب معرفة العربية على أيدي أساتذة أعاجم مثله يلقّنونه مبادئ هذه اللغة الغريبة عنه لمدة من الزمن تطول أو تقصر, ليتخرّج بعد ذلك مستشرقا يدرك أسرار العربية, ويتفطّن لخباياها, ويعرف كنه شعرنا, فيميّز صحيحه من منحولة, إنه من المستحيل أن يتأتّى له ذلك.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ثمّ إنّ اللغة وعاء ثقافة الأمّة وترجمان أفكارها, وأمر الثقافة اشدّ عسرا من اللغـــة, لان المقصود بها تلك الحمولة المعرفية التي تراكمت عبر قرون, إنّها مخزون هائل مـــن المعـــارف والعلوم تداخلت أجزاؤه وتشابكت وتنوعت أبلغ التنوّع لا يكاد يحاط بها, ولا يؤتى حـــظّ معرفتها إلاّ من انتمى إليها وجرت منه مجرى الدّم, وهذا أمر بعيد كلّ البعد عن المستشرق.

أمّا الأهواء, فهي الدّاء العضال الذي يصيب مناهج المستشرقين في دراساتهم, ذلـــك أنّهـــم يعمدون إلى تناول القضايا المتعلّقة بديننا وثقافتنا وأدبنا بناء على رسم صورة محدّدة قائمة في نفوسهم منصوبة لعيونهم, يرسمونها لهدف معيّن مقصود لذاته, فمن المستحيل كذلك أن يـــبرأ المستشرق من داء الأهواء الذي يرفضه كلّ عمل علمي مؤسس على منهج قويم[1].

إنّ دراسة المستشرقين لمسألة صحّة الشعر الجاهلي لم تخرج في عمومها عن نطاق دراسات علمائنا القدامى الذين كانوا قريبي عهد بالشعر الجاهلي وصفاء العربية, فكانـــت المـــسألة في عمومها قد حسمت حينها, وكان معظم الشعر الجاهلي قد غربل على أيديهم, ولّمـــا قـــام المستشرقون مؤخّرا بإحياء المشكلة, ونفخ الروح فيها من جديد , أسّسوا دراساتهم على بعض الروايات والأخبار الضعيفة التي وجدوها متناثرة في بطون كتب تراثنا, فتخيّروا منها ما يخدم أهدافهم, ووسّعوا الكلام حولها لتبدو ضخمة مهولة, و لم نجد بينهم على اختلاف ثقافـــاتهم ودرجات علمهم من بلغ حدّ معرفة لغتنا وثقافتنا معرفة توصله إلى حقيقة شعرنا, لذا كانت دراساتهم في عمومها مشوّهة لا تختلف عن الكلام العادي في شيء, والفرق بيّن بين دراســـة العربي الأصيل الذي أسّس دراسته على منهج كامل كمنهج شاكر, وبين دراســـة أعجمـــيّ دخيل لا يمتّ إلى مقوّمات امّتنا بصلة, وليس له من أمر المنهج أدنى حظّ يذكر.

[1] - محمود محمد شاكر، المتنبي، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، مطبعة المدني بمصر، طبعة سنة 1987 م ، ص 62 وما بعدها.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الفصل الثالث

صحة الشعر الجاهلي عند العرب المحدثين

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الفصل الثالث

- مصطفى صادق الرافعي: على نهج القدامى
  - شعر الشواهد
  - الرواة الوضاعون للشعر
  - الاتساع في الرواية
  - اختلاف الروايات في الشعر
- طه حسين : شك مفرط يفجر القضية
  - إصدار الحكم
  - عرض المنهج
  - دوافع شكه
- دراسة تطبيقية لبيان الانتحال في شعر طائفة من الشعراء
  - المقياس المركب للحكم على صحة الشعر الجاهلي أو نحله
- ناصر الدّين الأســـد: فرض الكتابة و توثيق الرواة لتوثيق الشعر الجاهلي
  - الكتابة في العصر الجاهلي
  - كتابة الشعر الجاهلي
  - الأدلة العقلية الاستنباطية
  - الرواية والسماع
  - توثيق الرواة وتضعيفهم
- محمود محمد شاكر: تخليص نسبة قصيدة"إن بالشعب"
  - مشكلة الشعر الجاهلي روايته الشفهية وتدوينه
  - مشكلة نسبة القصائد إلى أصحابها
  - تصنيف نصوص نسبة القصيدة
  - منهج محمود شاكر في نسبة هذه القصيدة
- تأثير المستشرقين في الدارسين العرب المحدثين

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

صحة الشعر الجاهلي عند العرب المحدثين

لم تنته قضية صحة الشعر الجاهلي عند حدود العرب القدامى والمستشرقين، فقد لفتت أنظار الدارسين العرب المحدثين الذين أدلوا فيها بآرائهم المختلفة باختلاف ثقافاتهم ومناهجهم، فكانت تتراوح بين الضيق والاتساع، وبين التطرف والاعتدال بحسب ما ذكرنا.

مصطفى صادق الرافعي: على نهج القدامى:

يعد من أوائل الدارسين العرب المحدثين الذين أثاروا مسألة صحة الشعر الجاهلي، لكن صنيعه انحصر في جمع آراء العرب القدامى، وقد عرضها في كتابه « تاريخ آداب العرب » الذي نشره سنة 1911 م[1].

لقد حشد مادة غزيرة من الأخبار والروايات، ولكنه لم يتجاوز الجمع إلى النقد والتمحيص، فكان منه أن عرض الآراء بأمانة مع سرعة التنقل من خبر إلى آخر، ومن رواية إلى أخرى، لكنه يبقى صاحب السبق والاستقصاء. وقد خص الرواية والرواة بجزء كبير من كتابه باعتبارها القناة التي عبر من خلالها الشعر الجاهلي إلى الأجيال اللاحقة[2]. كما خص وضع الشعر بفصل ضمنه ما يلي:

بدأ الرافعي حديثه عن الشعر والرواية وبيان ارتباطهما، فهو عمودها وعليه مدارها وبه اعتبارها، وبين مدى أهمية الشعر عند العرب، لأنه مرتبط بأنسابهم وأحسابهم وتاريخهم وما يجري مع ذلك فانصرفوا إلى قوله وروايته[3].

بعد ذلك انتقل إلى الحديث عن الباعث على وضع الشعر ونحله في الجاهلية والمتمثل في تزيّد الشاعر في المعنى، والكذب فيما يتعلق بالأخبار التي تلحق بالتاريخ «فالشاعر موضع ثقة، وهو مصدر الرواية عند العرب، فإن أرسل القول أرسل معه التاريخ»، وقد مثل لذلك بما ادعاه الأعشى في منافرة علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل حينما تنافرا إلى هرم بن قطبة في خبر مشهور، وهذا التزيّد يسميه الرواة أكاذيب الشعراء[4].

---

[1] - أحمد عوين، من قضايا الشعر الجاهلي، ص 38.

[2] - ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص 377.

[3] - مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،ط6, 2001م، ج1، ص 351.

[4] - نفسه، ج1 ، ص 352.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

كما أشار إلى قضية ذهاب الكثير من الشعر وتاريخ الوقائع بذهاب الرواة، وذلك بسبب قدوم الإسلام واشتغال المسلمين عن الشعر بالجهاد والغزو حينا من الزمن، فصنعت القبائل الأشعار ونسبتها إلى غير أهلها، تتكثر بها وتعتاض مما فقدته، ويمثل لذلك بما فعلت قريش بشعر حسان بن ثابت الذي زادت عليه الكثير مما لا يليق به[1].

ويرى الرافعي أن اتساع دائرة الوضع كان في القرن الثاني للهجرة، وذلك حينما ظهرت الرواية العلمية، وطلب الرواة الشعر للشاهد والمثل، وكان تفرغ قوم لذلك. وكان الأمر يشكل إذا تعلق بأبناء وأحفاد الشاعر ممن يعرفون سمت آبائهم وأجدادهم الشعراء كحال داود ابن متمم بن نويرة[2].

- **شعر الشواهد:**

يرى الرافعي أن أكثر الموضوع يدخل من هذا النوع، وذلك لحاجة العلماء إلى الشواهد في تفسير الغريب ومسائل النحو. وقد اشترط ذلك علماء البصرة والكوفة الذين كانوا يستشهدون بأشعار الجاهليين والمخضرمين[3].

كما يرى أن الكوفيين «أكثر الناس وضعا للأشعارالتي يستشهد بها، لضعف مذاهبهم وتعلقهم على الشواذ واعتبارهم منها أصولا يقاس عليها»[4]. ففي شواهدهم يجهل القائل، وقد يستشهدون بشطر بيت ضاع شطره الآخر، كقول القائل المجهول : «ولكنني من حبها لعميد» فهم يحتجون به على جواز دخول اللام في خبر لكن[5].

- **شواهد أخرى:**

وقد نشأ هذا النوع من الشواهد في القرن الثالث من الهجرة، ويتمثل فيما يولده بعض المعتزلة والمتكلمين للاستشهاد على مذاهبهم، ويمثل الرافعي لذلك بما ذكره ابن قتيبة في «التأويل» في تفسير فريق منهم قوله تعالى: «وسع كرسيه السموات والأرض» [البقرة

---

[1] - الرافعي, تاريخ آداب العرب, ج1 ، ص 352 و 353.
[2] - نفسه، ج1 ، ص 353.
[3] - نفسه، ج1 ، ص 353.
[4] - نفسه، ج1 ، ص 355.
[5] - نفسه، ج1 ، ص 356.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

255] : أي علمه، واستشهدوا لذلك بشاهد لا يعرف قائله، وهو: ولا يكرسئ علـــم الله مخلوق[1].

الرواة الوضاعون للشعر :

والغاية من أكثره السمر ولهو الحديث. والوضاعون للشعر يضعونه لثلاثة أغراض: للشواهد على العلوم والشواهد على الأخبار والاتساع في الرواية[2].

الشواهد على الأخبار:

وقد نشأ هذا النوع من الاستشهاد بالشعر على التفسير والحديث، وبكثرة القـــصاصين وأهل الأخبار ظهرت صناعة الشعر وتلفيقه بالأساطير، فوضعوا شعرا على آدم وعلى الأنبياء من بعده، وأول من شق طريق ذلك محمد بن إسحاق بن يسار[3].

شعر الجن وأخبارها:

للأعراب شعر كثير يزعمونه للجن، وقد تناقله عنهم الرواة، وكانت تحشى به الأحاديث من قبيل التظرف ، وأمثلته كثيرة في كتب التراث[4] .

- **الاتساع في الرواية:**

ويتمثل في صنيع فحول الرواة الذين كانوا يتسعون في الرواية ويـــضعون علـــى فحـــول الشعراء قصائد لم يقولوها، ويزيدون في القصائد التي قالوها، ومن أمثال ذلك حماد الراويـــة الكوفي والذي لقب بالراوية لاتساعه في الرواية[5].

---

[1] -الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج1 ، ص 358.
[2]- نفسه، ج1 ، ص 359، 360.
[3] - نفسه، ج1 ، ص360.361

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وقد أورد الرافعي تعليقات القدماء على حماد وخطره على الشعر كالمفضل الضبي، ويذكر أنه كان رأس الوضاعين، فكان يزيد في شعر المقل حتى يكثر، وينسب ما يكون للخامل من الشعراء إلى المشهور حتى يروى شعره[1] .

ودافع حماد إلى وضع الشعر التقرب إلى بعض الأمراء زلفى، وقد أخذ مذهبه خلف الأحمر الذي يعد أول من أحدث السماع بالبصرة فيما سمعه عن حماد، وكان قد سلك في البصريين مذهب حماد في الكوفيين، وخطره يتجاوز خطر حماد، لأنه كان أعلم الناس بالشعر ومذاهب الشعراء ومعانيهم، فكان ما يضعه يصعب تمييزه من الصحيح، فيشكل ذلك على العلماء. وقد وضع خلف قصائد على فحول الشعراء، منها لامية العرب للشنفرى[2].

ويعلق الرافعي على حماد وخلف بقوله : « وليس في الرواة جميعا من يداني حمادا وخلفا في الصنعة و إحكامها، فهما طبقة في التاريخ كله، وإنما يكون لغيرهما البيت الواحد والأبيات القليلة مما لا تفتضح صنعته، يضعونه لتوجيه الحجة وتزيين الخبر ونحو ذلك » [3]. ويورد قول أبي عمرو بن العلاء من رواية أبي الطيب اللغوي : « ما زدت في شعر العرب إلا بيتا واحدا، يعني مايروى للأعشى :

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا »

وهو من أبيات الشواهد، ويذكر الرافعي في الهامش أن حمادا زاد الأعشى هذا البيت وذلك في رواية بن عبد ربه في العقد الفريد، لكنه يرى رواية أبي الطيب اللغوي أوثق وأصح.

كما أشار إلى قصيدة أبي طالب التي قالها في النبي صلى الله عليه وسلم، وهي مشهورة، أولها :

خليليّ مـا أذني لأول عاذل بصغواء في حق ولا عند باطل

ويردفها بتعليق بن سلاّم كما ورد في الطبقات[4]،أنه قد زيدفي هذه القصيدةوطولت ويذكر خبر الأصمعي في نحل الشعراء وهو قوله : « أقمت بالمدينة زمانا ما رأيت بها قصيدة واحدة صحيحة إلا مصحفة أو مصنوعة، .....»[5]

ثم يختم حديثه عن ذلك بقوله: « ولما نشأ أمر الصنعة في الشعر، جعل المتأخرون

---

[1] - نفسه، ج1 ، ص 364.
[2] - نفسه، ج1 ، ص 365.
[3] - نفسه، ج1 ، ص 367.
[4] - ابن سلاّم، طبقات فحول الشعراء، ج 1 ، ص 244 و 245.
[5] - جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ص 241

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

يضعون القصيد والرجز وينسبونه لمن اشتهروا بالوضع من المتقدمين، كخلف، أو بالاتساع في الرواية، كالأصمعي، لأن من أجاز على الناس، أجاز الناس عليه »[1]

- **ضرب من الوضع :**

ويخص المنثور من الكلام، ويتعلق بالخطب خاصة، وغالبا ما يكون الوضع منه في كلام المغمورين ممن لا ذكر لهم على الألسنة[2].

- **التعليق على الكتب:**

وهذا الضرب من الرواية الموضوعة كان يميل إليه المتأخرون، فقد يلحقون أبيات شاعر متأخر ببعض العرب ويدخلها في كتاب لديه، أو ينحل الشاعر أبياتا لغيره ثم يدسها في ديوان شعره، ويأتي هذا من باب الكيد لذلك الشاعر حسدا، أو عبثا ولهوا، أو ما يجري مجراهما[3].

- **الشوارد :**

وهي النتف القليلة من الشعر تقع في البيتين والثلاثة، نسبتها مجهولة لذا سميت بالشوارد، وقد يروونها على أنها مرسلة لا أرباب لها، وهي نادرة في الشعر، ومن ذلك ما رواه أبو عبيدة، قال: من الشوارد التي لا أرباب لها قول بعضهم:

إن يغدروا أو يفجروا أو يبخلوا لم يحفلوا

يغدو عليك مرجلين كأنهم لم يفعلوا

كأبي براقش كل يو م لونه يتبدل

وأبو براقش: طائر فيه ألوان يتلون ريشه في النهار عدة ألوان[4].

- **اختلاف الروايات في الشعر :**

وقد مثل له الرافعي بقول أبي ذؤيب الهذلي الذي رواه أبو عمرو بن العلاء :

دعاني إليها القلب إني لأمره سميع فما أدري أرشد طلابها

[1] -الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج1 ، ص 369.
[2] - نفسه، ج1 ، ص 370.
[3] - نفسه، ج1 ، ص 370.
[4]- الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج1 ، ص 371.والسيوطي , المزهر , ص 382

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

أما الأصمعي فقد رواه بلفظ «عصاني» بدل «دعاني» وبلفظ «مطيع» بدل «سميع» وعلق على ذلك بقوله: «فيمتنع في الإنشاء ذكر دعاني مع مطيع، أو عصاني مع سميع، لأنه من باب التلفيق»[1].

وهذا التناقض يراه الرافعي من باب التفاوت في الاستحسان لا غير. فالرواة الذين يهمهم من أمر الشعر لغته، يحدث بينهم هذا الاختلاف، وهم لا يبالونه، لذلك نصادف بعض الاختلافات في الأبيات، وهي في الأصل لا اختلاف فيها.

واعتماد الشاعر على الذاكرة يدعو إلى الاختلاف، وبمرور الأيام قد يعتريه النسيان لبعض الألفاظ من شعره، فيضع غيرها، ثم ينشد أبياته على وجه جديد، فتروى على نحو مخالف لما قد ذاع، فتجتمع في شعره روايتان أو أكثر[2].

ومن الرواة من كان يغير في ألفاظ بعض الأبيات لحجة يقيمها أو دليل يوجهه، كحال بعض رواة الكوفة، وهو سبب من أسباب اختلاف الروايات. ثم هناك أمر التصحيف في الكلمات المتشابهة، وشواهده كثيرة، وقد مثل له الرافعي بالشاهد النحوي المشهور :

فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهرة لعل أبي المغوار منك قريب

وقد ورد في مرثية رواها القالي في أماليه، وقال : « قرأت على أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد هذه القصيدة في شعر كعب الغنوي ...إلى أن قال : وبعضهم يروي هذه القصيدة لكعب بن سعد الغنوي، وبعضهم يرويها بأسرها لسهم الغنوي، وبعضهم يروي شيئا منها لسهم، وزاد أحمد بن يحيى عن أبي العالية في أولها بيتين. قال : وهؤلاء كلهم مختلفون في تقديم الأبيات وتأخيرها وزيادة الأبيات ونقصانها وفي تغيير الحروف في متن البيت وعجزه وصدره»[3].

- **التزيّد في الأخبار:**

وهو أوسع أبواب الوضع في الرواية، لأن الأخبار تشمل التاريخ والسمر والمنادمة والاستعانة على حشو علوم أخرى، كالنسب والتفسير والحديث وما إليها. فلم تكن عناية

1-جلال الدين السيوطي . المزهر في علوم اللغة وانواعها , ص.704
2- الرافعي , تاريخ آداب العرب , ج 1 , ص 372
3 - أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي، كتاب الأمالي، تحقيق صلاح بن فتحي هلل وسيد بن عباس الجليمي، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، طبعة 2001، ج 2 ، ص 401.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

العلماء بالتثبت إلا فيما نسب إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه، وماعدا ذلك فقد تضمن وضعا كثيرا.

ويرى الرافعي أن شيوع التزيّد في الأخبار، كان على يد الأخباريين في القرن الثاني للهجرة، وذلك حين استفحل أمر الشعوبية، كما كان يزاد في الأخبار لدى الملوك الذين لا يستقصون، فيصنع لهم الرواة الأخبار يقدمونها زلفى، ويستعينون بذلك على السمر وتكثير الأحاديث[1].

- **القصاص:**

لهم علم بالتفسير والأثر وأخبار الأمم البائدة، يقصون على الناس القصص، وقد كان القصص في القرن الأول للهجرة محمودا، لأنه كان متعلقا بالقرآن والحديث، وبانتهاء عصر كبار القصاص من التابعين في القرن الثاني، ظهر الكذب في الحديث وفي أخبار العرب وأشعارها[2].

هذه آراء الرافعي ذكرناها كما أوردها في كتابه دون تغيير أو تعديل في ترتيبها، وقد سار فيها على نهج القدامى، « حصر الموضوع في الدائرة نفسها التي حصره فيها القدماء، لم يحمل نصا أكثر مما يحتمل، و لم يعتسف الطريق اعتسافا إلى الاستنتاج والاستنباط ولا إلى الظن والافتراض، و لم يجعل من الخبر الواحد قاعدة عامة، ولا من الحالات الفردية نظرية شاملة»[3].

[1] - الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج1 ، ص 375 ،376 و 377.
[2] - نفسه، ج1 ، ص 379 إلى ص 382.
[3] - ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص 379.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

طه حسين : شك مفرط يفجر القضية:

تناول طه حسين مسألة صحة الشعر الجاهلي في كتابه « في الشعر الجاهلي » الذي صدر سنة 1926، فأثارت آراؤه الجريئة الباحثين الذين تصدوا للرد عليه، مما دفعه إلى إعادة النظر فيه، فلم يلبث أن ألف مصنفه « في الأدب الجاهلي » الذي نشره سنة 1927، وفيه عرض القضية عرضا مفصلا، وحذف منه وزاد فيه وتوسع[1].

وقد قسم بحثه على النحو التالي:

إصدار الحكم وعرض المنهج، دوافع الشك، أسباب الانتحال، دراسة تطبيقية لبيان الانتحال في شعر طائفة من الشعراء الجاهليين، بيان المقياس المركب لغربلة الشعر والحكم على صحته أو نحله.

- **إصدار الحكم:**

بعد البحث والتفكير، توصل طه حسين إلى قناعة مفادها:

«أن الكثرة المطلقة مما نسميه أدبا جاهليا ليست من الجاهلية في شيء، وإنما هي منحولة بعد ظهور الإسلام، فهي إسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم وأهواءهم أكثر مما تمثل حياة الجاهليين. ولا أكاد أشك أن فيما بقي من الأدب الجاهلي الصحيح قليل جدا لا يمثل شيئا ولا يدل على شيء، ولا ينبغي الاعتماد عليه في استخراج الصورة الأدبية الصحيحة لهذا العصر الجاهلي ... ما تقرأه على أنه شعر امرئ القيس أو طرفة أو ابن كلثوم أو عنترة ليس من هؤلاء الناس في شيء، وإنما هو نحل الرواة، أو اختلاف الأعراب، أو صنعة النحاة أو تكلف القصاص أو اختراع المفسرين والمحدثين والمتكلمين»[2].

هجوم مفاجئ يصدر فيه حكمه قبل عرض المنهج وبيان دوافع الشك وأسباب النحل، هذه المباغتة تذكرنا باستطراد ابن سلاّم في طبقاته، عندما ألحت عليه قضية المصنوع المفتعل الموضوع، فقطع منهج التأليف ليطرح ما ألح عليه وضايقه، كأن طه حسين يتأسى به، لقد ضاق ذرعا بما ينسب إلى الجاهليين من شعر لا يمت لهم بصلة.

[1] - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ص 170.
[2] - طه حسين، في الأدب الجاهلي، دار المعارف بمصر، الطبعة 18، سنة 2005، ص 65.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

- **عرض المنهج :**

كان طه حسين يعلم يقينا أن حكمه الذي فاجأنا به من شأنه أن يثيرنا، لذا كان لزاما عليه أن يعرض منهج بحثه ليبرر حكمه، لقد نحا نحو ديكارت وتبنى منهجه، فصرح بذلك قائلا: « أريد أن أصطنع في الأدب هذا المنهج الفلسفي الذي استحدثه «ديكارت» للبحث عن حقائق الأشياء في أول هذا العصر الحديث، والناس جميعا يعلمون أن القاعدة الأساسية لهذا المنهج هي أن يتجرد الباحث من كل شيء كان يعلمه من قبل، وأن يستقبل موضوع بحثه خالي الذهن مما قيل فيه خلوا تاما ...يجب حين نستقبل البحث عن الأدب العربي وتاريخه أن ننسى عواطفنا القومية وكل مشخصاتنا، وأن ننسى عواطفنا الدينية، وكل ما يتصل بها، وأن ننسى ما يضاد هذه العواطف القومية والدينية، يجب ألا نتقيد بشيء ...»[1].

إنها دعوة للتجرد التام من كل ما يمت لمقوماتنا بصلة، فالعقلانية الديكارتية فرضت على طه حسين هذا الانسلاخ، ولأنه يريد أن يكون موضوعيا ومنهجيا، تسلح بمنهج ديكارت.

إن مناقشة أنصار القديم في مسائل التراث المتعلقة بالأدب والنحو والبلاغة على نحو ما ألفوا أمر مردود، إنه يريد مناقشتهم مناقشة علمية تتجاوز المسائل الخلافية الموروثة، وهذا لا يتأتى إلا باصطناع مناهج الغرب، إن طه حسين بطرحه هذا يتبنى مشروع تحديث العقل العربي وتنويره وانفتاحه على مناهج الغرب[2].

لقد كان طرح طه حسين أدبيا تاريخيا بحتا لذا استخدم المنهج التاريخي وسلك طريقه، أما ما يتعلق بمنهج ديكارت، فإنه لم يأخذ منه إلا مبدأ الشك[3]، إنه بإزاء معالجة قضايا نقلية تاريخية، في حين عالج ديكارت قضايا عقلية.

- **دوافع شكه:**

بنى طه حسين شكه في الشعر الجاهلي ورفض الكثرة المطلقة منه على أساس أنه لا يمثل حياة الجاهليين الدينية والعقلية والسياسية والاقتصادية، كما لا يمثل لغتهم ولهجاتهم. وقد التمس هذه المظاهر في القرآن الكريم فوجدها واضحة، أما الشعر الجاهلي فلم يجد فيه ما يغني، وقد ألح على وجوب التماس حياة الجاهليين في القرآن الكريم والإعراض عن هذا الشعر

---

[1] - طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص 67، 68.

[2] - عبد الرزاق عيد، طه حسين العقل والدين، بحث في مشكلة المنهج، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، الطبعة الأولى، سنة 1995، ص 39، 40.

[3] - سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص 191.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

المنسوب إلى الجاهليين، وكان منه أن استدل على بيان هذه الدوافع التي جرته إلى الشك على النحو التالي :

- **الحياة الدينية :**

لم يجد طه حسين في الشعر الجاهلي أثرا لحياة الجاهليين الدينية، فللشعور الديني سلطانه على نفوس معتنقيه، لذا يجب أن يبرز في إبداعهم، فرأى أن « هذا الشعر الذي يضاف إلى الجاهليين يظهر لنا حياة غامضة جافة بريئة أو كالبريئة من الشعور الديني القوي والعاطفة الدينية المتسلطة على النفس والمسيطرة على الحياة العملية ... أوليس عجيبا أن يعجز الشعر الجاهلي كله عن تصوير الحياة الدينية للجاهليين ؟ ! ، وأما القرآن فيمثل لنا حياة دينية قوية تدعو أهلها أن يجادلوا عنها ما وسعهم الجدال ... »[1].

لقد فات طه حسين أن يطلع على « كتاب الأصنام » لابن الكلبي، ففيه كثير من الشعر الذي يصور حياتهم الدينية تصويرا دقيقا، كما فاته أيضا أن القرآن الكريم كتاب ديني جاء ليوحد العرب على الإسلام، فمن الطبيعي أن يناقش دياناتهم في الجاهلية، ويبين ما فيها من ضلال، لقد جاء ليقوضها ويزيلها من نفوس الجاهليين، لذا وجبت الإشارة إليها وإلى ما فيها من جهل وفرقة وعداوة، أما الشاعر الجاهلي فلم يكن نبيا ليدعو إلى دين جديد[2].

وعلى فرض أن الشعر الجاهلي جاء في أغلبه مصورا للحياة الدينية، فإن ذلك يكون دليلا على زيفه ونحله، لأنه في هذه الحال يكون من نحل المغرضين المعادين للدين الإسلامي زودوه بتفصيلات دينية معادية للإسلام[3].

وقد حاول طه حسين أن يربط بين الظواهر المتماثلة في التاريخين القديمين العربي واليوناني، فقد رأى في الوثنية اليونانية ملهما للشعراء، فكانت توحي لهم آلهة الأولمب بالأشعار كما فعلت مع هوميروس، فأين وحي آلهة العرب في أشعار الجاهليين، لقد سقط من حسبانه أن العرب لم يكونوا متأثرين وجدانيا بالوثنية إلى حد تأثر الإغريق بآلهتهم[4]. إن العرب في جاهليتهم كانوا يعانون قلقا دينيا، فالديانات متعددة، والتعلق بها يكاد يكون سطحيا، وخاصة الوثنية، فلم يكن الشعراء من أمثال امرئ القيس أو طرفة أو عنترة متعاطفين

---

[1] - طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص 72، 73.
[2] - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ص 72، 73.

[3] - إبراهيم عوضين، الأدب العربي بين البادية والحضر، مطبعة السعادة، مصر، طبعة سنة 1983، ص 76.
[4] - طه حسين, في الأدب الجاهلي, ص 74

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

معها تعاطفا يدفعهم إلى التعلق بها والدفاع عنها بأشعارهم، ثم إن هناك ما لا يجب إغفالـــه، وهو غياب المنافس الديني القوي والذي من شأنه أن يتصدى لما ورثوه من ديانات، وقد يبرر هذا الرأي موقف المشركين من الدعوة الإسلامية والتي مثلت حضورا قويا لمنـــافس قـــوي يدحض ما يؤمنون به.

- **الحياة العقلية :**

كذلك هذا الشعر الذي يضاف إلى الجاهليين، لا يعكس أي أثر لحياتهم العقلية، فالجدال العقلي الفلسفي، يراه ماثلا بوضوح في القرآن الكريم، فيعبر عن ذلك بقوله : « أفتظن قوما يجادلون في هذه الأشياء جدالا يصفه القرآن بالقوة ويشهد لأصحابه بالمهارة، أفتظن هـــؤلاء القوم من الجهل والغباوة والغلظة والخشونة بحيث يمثلهم لنا هذا الشعر الـــذي يـــضاف إلى الجاهليين ؟ كلا ! لم يكونوا جهالا ولا أغبياء، ولا غلاظا ولا أصحاب حياة خشنة جافيـــة، وإنما كانوا أصحاب علم وذكاء، وأصحاب عواطف رقيقة وعيش فيه لين ونعمة ... »[1].

لقد رأى في مناقشة قضايا البعث والخلق والمعجزات جدلا فلسفيا قائما على أسس عقلية تشهد برقي العرب العقلي، فالذين كانوا يجادلون النبي – صلى الله عليه وســـلم – في هـــذه الأمور، كانوا يعالجون معضلات فلسفية. ومما لا شك فيه أنه كان في العرب من يعمل العقل في الأمور المعضلة، لكن ذلك كان مقصورا على النخبة المستنيرة في الحواضر مثل مكة، أمـــا القبائل البدوية، وهي الكثرة، فلم تكن ذات صلة بالجدل الفلسفي وإن كانت أشـــعارهم لا تخلو من تأمل وحكمة، فهي من قبيل تجارب الحياة[2].

فالجدل الفلسفي الذي كان يأمل طه حسين في أن يجده في الشعر الجاهلي خص البيئـــة الحضرية التي شهدت نزول الوحي، أما البدو فقد كان يغلب عليهم الغلظة والخـــشونة، إلى جانب بساطة التفكير العقلي بحكم البيئة البدوية التي فرضت ذلك النمط الفكري الـــذي لا يرقى إلى مستوى الفلسفة، ثم إن القرآن الكريم حينما جادل المشركين بالحق، كان يحـــارب فيهم العادات الموروثة، و لم يكن يصور جدلا فلسفيا دالا على رقي عقولهم كما يتصور[3].

---

[1] - طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص 73، 74.

[2] - حسين جمعة، طه حسين القامة والظل، دار ابن هانئ للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، الطبعة الأولى، سنة 1993، ص 128، 129.

[3] - أحمد عوين، من قضايا الشعر الجاهلي، ص 45.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

- **الحياة السياسية :**

كذلك رأى أن حياة العرب السياسية لا تتضح فيما نسب إليهم من أشعار مع أنهم كانوا على اتصال بالأمم من حولهم، مما يوضحه القرآن من أنهم كانوا فريقين : أحدهما يناصر الروم، والآخر يناصر الفرس، فعبر عن ذلك بقوله : « كانوا على اتصال بمن حولهم من الأمم، بل كانوا على اتصال قوي، قسمهم أحزابا وفرقهم شيعا. أليس القرآن يحدثنا عن الروم وما كان بينهم وبين الفرس من حرب انقسمت فيها العرب إلى حزبين : حزب يشايع أولئك وحزب يناصر هؤلاء ؟ أليس في القرآن سورة تسمى « الروم» ؟ ... لم يكن العرب إذن كما يظن أصحاب هذا الشعر الجاهلي معتزلين ...»[1].

والحقيقة أن هذا الأمر لم يشمل العرب جميعا، وإنما كان مقصورا على قبيلة قريش التي كانت مرتبطة دائما بالفرس والروم لاشتغالها بالتجارة، فكانت رحلتاها متعلقتين بهاتين الدولتين، أما باقي القبائل العربية، فلم يكن لها حظ قريش في التنقل الذي يفرضه النشاط التجاري، كما لا نغفل ما كان من أشعار مدح وهجاء نظمها شعراء نجد والحجاز، وكانت هذه الأشعار في الغساسنة أتباع الروم، والمناذرة أتباع الفرس، والأشعار التي نظمها شعراء قبيلة بكر حينما نشبت الحرب بينها وبين الفرس، فكانت أشعارهم توعدا للفرس على نحو ما نعرف عن الأعشى[2].

- **الحياة الاقتصادية :**

لم يظفر طه حسين في الشعر المنسوب إلى الجاهليين بما يفيده عن حياتهم الاقتصادية، لكنه وجد في القرآن الكريم ضالته، لقد قدم له صورة وافية عن العرب الأغنياء المستأثرين بالثروة، والفقراء المعدمين الذين لا يملكون شيئا، فيقول : « فأنت تستطيع أن تقرأ هذا الأدب الجاهلي كله دون أن تظفر بشيء ذي غناء يمثل لك حياة العرب الاقتصادية فيما بينهم »، ثم يورد إشارات القرآن الكريم إلى الحياة الاقتصادية لدى الجاهليين، فيقول : «وأنت إذا قرأت القرآن رأيت أنه يقسم العرب إلى فريقين آخرين : فريق الأغنياء المستأثرين بالثروة المسرفين في الربا، وفريق الفقراء المعدمين أو الذين ليس لهم من الثروة ما يمكنهم من أن يقاوموا هؤلاء المرابين أو يستغنوا عنهم ... أفتظن أن القرآن كان يعنى هذه العناية كلها بتحريمه الربا والحث على

[1] - طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص 74، 75.
[2] - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ص 171، 172.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الصدقة وفرض الزكاة لو لم تكن حياة العرب الاقتصادية الداخلية من الفساد والاضطراب بحيث تدعو إلى ذلك ؟ فالتمس لي هذا أو شيئا كهذا في الشعر الجاهلي...»[1]. وأمر الاقتصاد كأمر سابقيه، فطه حسين تفوته أمور أو قد يستحضرها ولكنه لا يذكرها في معرض حديثه عن القضية، لقد فاته هنا أن شعر الشعراء الصعاليك ينضح ثورة على ما في المجتمع من ظلم، فقد كانوا يقطعون سبل القوافل التجارية ويسطون على أموال الأغنياء لمساعدة الفقراء، لقد نصبوا أنفسهم ميزانا عادلا لتوزيع الثروة[2]، كما نجد في أشعارهم ما يشير إلى الغنى وتبديد المال كحال طرفة بن العبد، ثم إن العرب كانوا إلى جانب مدح الكرم، يذمون البخل، فما دام الكرم موجودا، فإلى جانبه رذيلة البخل تقابله وتنال حظها من أشعار الجاهليين[3], والقبائل العربية لم تكن كلها تاجرة كحال قريش، و لم يكن الشعراء الجاهليون أصحاب تجارة يعنيهم أمر الاقتصاد ويشغل حيزا من وجدانهم فتجود علينا قرائحهم بقصائد اقتصادية تبلغ حد التخصص في هذا النشاط.

وهذا الشعر المنسوب إلى الجاهليين، فمحوره ذكر البادية وما تشمله، أما الحواضر فلا تذكر فيه إلا نادرا، إن ذكر المدن ومساكنها ونشاطاتها لا يكاد يبين في النص الشعري الجاهلي، والبحر كحال الحواضر،فإن ورد ذكره، يكون بإشارات خاطفة تنم عن جهله، أما القرآن الكريم فعلى النقيض، يذكرنا بأن الله سبحانه وتعالى قد سخر لهم البحر ومن عليهم بما فيه من نعم، وفي هذا الشأن يقول طه حسين : « فهذا الشعر لا يعنى إلا بحياة الصحراء والبادية، وهو لا يعنى بها إلا من نواح لا تمثلها تمثيلا تاما، فإذا عرض لحياة المدر فهو يمسها مسا رقيقا لا يتغلغل في أعماقها، وما هكذا نعرف شعر الإسلام. ومن عجيب الأمر أنا لا نكاد نجد في الشعر الجاهلي ذكر البحر أو الإشارة إليه، فإذا ذكر فذكر يدل على الجهل لا أكثر ولا أقل، أما القرآن فيمن على العرب بأن الله سخر لهم البحر وبأن لهم في هذا البحر منافع كثيرة ...»[4].

---

[1] - طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص 76.

[2] - يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في الشعر الجاهلي، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، سنة 1978، ص 139 وما بعدها.

[3] - إبراهيم عوضين، الأدب العربي بين البادية والحضر، ص 77، 78.

[4] - طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص 79.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

لقد تحدث القرآن الكريم عن البحر ومرافقه الاقتصادية، وذكر ما يعود به من منافع على راكبيه وصياديه، وهناك من العرب من عرف البحر وركبه وعايش البحارين، ولكن هـــذا لا يعني أن كل الشعراء الجاهليين كانوا يعيشون على السواحل ويـــستعملون الـــسفن للـــصيد والملاحة، وأن العرب كلهم عاشوا حياة البحر وغاصوا في أعماقه مستفيدين من خيره، ومع ذلك فقد ورد في الشعر الجاهلي ذكر البحر من مثل ما نجد عند طرفة بـــن العبـــد وامـــرئ القيس[1].

- **اختلاف اللغة :**

أطال طه حسين الوقوف أمام هذا الدافع، فرأى أن الشعر المنسوب إلى الجاهليين لم يصور اللغتين الشائعتين في الجزيرة العربية : لغة الحميريين الجنوبية ولغة العدنانيين الشمالية، كمـــا وجد أن هذا الشعر يضيف أشعارا إلى الجنوبيين هي بلغة الشماليين، فيقول عن هذا الـــشعر بأنه « بعيد كل البعد عن أن يمثل اللغة العربية في العصر الذي يزعم الرواة أنه قيل فيـــه »[2] . ويرى « أن هناك خلافا قويا بين لغة حمير (وهي العرب العاربة) ولغة عـــدنان (وهـــي العرب المستعربة) . وقد روي عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يقول: «ما لسان حمير بلساننا ولا لغتهم بلغتنا»[3].

وقد استدل على هذا بقول أبي عمرو بن العلاء، وإن كان فيه حذف وتغـــيير، فـــالقول وارد في الطبقات على النحو الآتي : « ما لسان حمير وأقاصي الـــيمن اليـــوم بلـــساننا، ولا عربيتهم بعربيتنا»[4]، ودعمه بدليل ثان يتمثل في الإشارة إلى النقوش الحميرية التي اكتـــشفت، وباكتشافها اتضح للعلم الحديث مدى التباين بين اللغتين، إذن فطرحه يعضده دليلان أحدهما قديم والآخر حديث، وكان منه أن عرض مناقشة المستشرق جويدي لنقش حميري بين فيـــه نقاط التشابه ونقاط الاختلاف بين اللغتين الحميرية والعربية، وخلص من هـــذا إلى قولـــه: «وإذن فما خطب هؤلاء الشعراء الجاهليين الذين ينسبون إلى قحطان، والذين كانت كثرتهم تنزل اليمن وكانت قلتهم من قبائل يقال إنها قحطانية قد هاجرت إلى الشمال ؟ ما خـــطب

[1] - حسين جمعة، طه حسين القامة والظل، ص 127، 128.
[2] - طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص 80.
[3] - نفسه، ص 81.
[4] - ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ج 1 ، ص 11.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

هؤلاء الشعراء، وما خطب فريق من الكهان والخطباء يضاف إليهم نثر وسجع، وكلهم يتخذ لنثره وشعره اللغة العربية الفصحى كما نراها في القرآن ؟ ... فقد ظهر أنهم يتكلمون لغة أخرى، أو قل لغات أخرى»[1]. ثم ينفي احتمال اتخاذ أهل الجنوب اللغة العدنانية لغة أدبية لأن « السيادة السياسية والاقتصادية – التي من شأنها أن تفرض اللغة على الشعوب – قد كانت للقحطانيين دون العدنانيين »[2] .

قد يكون طرحه صائبا، إذا تعلق الأمر بمن كانوا في أقصى الجنوب وداخل اليمن، لأن ما يضاف إليهم من أشعار فهو منحول، أما من جاوروا الشماليين، مثل مذحج وبلحارث بن كعب فهؤلاء قد اكتسبوا لغة أهل الشمال في الجاهلية، وأما قبيلة كندة والتي يمثلها امرؤ القيس، فقد هاجرت من الجنوب إلى الشمال منذ زمن سحيق، وبتقادم الزمن تعربت هذه القبيلة، فهي يمنية الأصل، شمالية اللغة[3]. إن الصواب هو اعتبار الشعر الجاهلي لا يحمل أي أثر للتباين اللغوي بين عرب الشمال أبناء عدنان وعرب الجنوب أبناء قحطان، لأن عاملي المجاورة والهجرة أزالا أي أثر له.

ومما استدل به طه حسين على أن الشعر الجاهلي المنسوب إلى القحطانيين موضوع بعد الإسلام، وهو أن السيادة السياسية والاقتصادية على شبه الجزيرة العربية كانت للقحطانية قبل الإسلام، فكيف اضطرت القحطانية على اتخاذ العدنانية لغة لها ؟ وهذا مردود لأن المؤرخين أجمعوا عل أن السيادة اليمنية على الجزيرة العربية كانت قد انحسرت منذ القرن الرابع الميلادي، وذلك بعد تمزقها بسبب الفتن الداخلية، وتوالي حكم الفرس والأحباش عليها، ومنذ ذلك الحين سادت سلطة الشماليين دينيا وسياسيا واقتصاديا[4].

اختلاف اللهجات :

لاحظ طه حسين أن الشعر الجاهلي لم يكشف عن التباين اللهجي بين قبائل عرب الشمال، فكما عجز عن تمثيل الاختلاف اللغوي، فهو عاجز كذلك عن تمثيل الاختلاف اللهجي، وفي هذا يقول : « ... فأنت تستطيع أن تقرأ هذه المطولات أو المعلقات التي

[1] - طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص 88، 89.
[2] - نفسه ، ص 89.
[3] - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ص 172، 173.
[4] - طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص 93، 94.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

يتخذها أنصار القديم نموذجا للشعر الجاهلي الصحيح، فسترى فيها مطولة لامرئ القيس، وهو من كندة، أي من قحطان، وأخرى لزهير، وأخرى لعنترة، وثالثة للبيد، وكلهم من قيس، ... تستطيع أن تقرأ هذه القصائد السبع دون أن تشعر فيها بشيء يشبه أن يكون اختلافا في اللهجة، أو تباعدا في اللغة، أو تباينا في مذهب الكلام ... »[1].

والحق أن التباين اللهجي، بين قبائل عرب الشمال لم يكن واضحا في الشعر الجاهلي بشكل كبير، ومرد ذلك إلى ذوبان اللهجات المختلفة وانحسارها أمام لهجة قريش الفصحى التي عمت وسادت في الجاهلية، و لم يكن لها السلطان والنفوذ في الحجاز ونجد فحسب، بل شملت كل القبائل العربيةحتى وصلت إلى الحدود الشمالية للغة حمير واليمن خاصة، ومما يؤكد ذلك أن الرسول- صلى الله عليه وسلم - كان لا يجد صعوبة في التفاهم مع الوفود اليمنية التي كانت تفد عليه، كما أنه كان يرسل إليهم دعاة لم يجدوا مشقة في التفاهم مع الجنوبيين، وفي هذا دليل على أن الجنوب كان قد عرب بشكل واسع قبل مجيء الإسلام [2].

وكانت هناك جملة من الأسباب قد هيأت للهجة قريش بمكة أن تبسط سلطانها على باقي اللهجات العربية الشمالية، تمثلت في وجود الكعبة المشرفة والتي كانت مقصد العرب في الجاهلية ومهوى أفئدتهم، بها يلوذون وإليها يقصدون تلم شعثهم، وتقرب بينهم في جو مشحون بالعداوة والمنافرة والصراع، وقد منح هذا الأمر قريشا نفوذا واسعا بسبب مركزها الديني، فهي القائمة بشؤون البيت وراعية مصالح قاصديه، وكانت قوافلها التجارية تجوب أنحاء الجزيرة مما بوأها مركزا تجاريا مرموقا، كما أن سوق عكاظ التجارية كانت سوقا أدبية كذلك، وكان الشعراء ينشدون أشعارهم محكمين قريشا بينهم، ومعنى ذلك أن هذه الأشعار التي كان يؤتى بها للاحتكام لم تنظم بلهجاتها القبلية المختلفة، وإنما نظمت باللهجة القرشية الفصحى التي انضوت تحت لوائها سائر اللهجات[3].

لقد حفظت لنا أشعار الجاهليين نماذج للاختلاف اللهجي بين قبائل الشمال، ولكنها لم تبرز التباين الكلي بينها، لأن لهجة قريش كانت المحصلة الانتقائية لتلك اللهجات على اعتبار أنها أفصحها وأصفاها.

---

[1] - طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص 93، 94.

[2] - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ص 134.

[3] - نفسه، ص 133، 134.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

- **أسباب نحل الشعر :**

ومادام هذا الشعر المنسوب إلى الجاهليين لم يمثل حياتهم من كل جوانبها، و لم يعكس التباين اللغوي واللهجي، فهو إذن منحول عليهم بعد الإسلام، وليؤكد حكمه هذا، لجأ إلى عرض جملة من الأسباب التي أدت إلى نحله، وهي :

- **السياسة :**

وقد انحصر مدلولها عنده في العصبية القبلية، وقد رآها ماثلة في شعر قريش والأنصار، إذ أضافت قريش لنفسها أشعارا كثيرة، خاصة فيما يتعلق بهجاء الأنصار، وقد وضح ذلك بمثالين: العصبية بين المهاجرين والأنصار أو بعبارة أصح بين قريش والأنصار. وقد أيد رأيه هذا بروايتين أوردهما : الأولى نهي عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – عن رواية الشعر الذي تهاجى به المسلمون والمشركون أيام النبي – صلى الله عليه وسلم – ، ويرى طه حسين أن «هذه الرواية نفسها تثبت رواية أخرى وهي أن قريشا والأنصار تذاكروا ما كان قد هجا به بعضهم بعضا أيام النبي، وكانوا حراصا على روايته، ويجدون في ذلك من اللذة والشماتة ما لا يشعر به إلا صاحب العصبية القوية إذا وتر أو انتصر»[1] . ويدعم رأيه هذا بما يروى أيضا عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – من قوله لأصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – «قد كنت نهيتكم عن رواية هذا الشعر لأنه يوقظ الضغائن، فأما إذ أبوا فاكتبوه »[2]. ويعقب على هذا بقوله : «وسواء أقال عمر هذا أم لم يقله، فقد كان الأنصار يكتبون هجاءهم لقريش على ألا يضيع »[3] .

والرواية الثانية : ما ذكر من أن ابن سلاّم قال : « وقد نظرت قريش فإذا حظها من الشعر قليل في الجاهلية، فاستكثرت منه في الإسلام ». وعقب عليه بقوله : « وليس من شك عندي في أنها استكثرت بنوع خاص من هذا الشعر الذي يهجى به الأنصار »[4].

---

[1] - طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص 120
[2] - نفسه، ص 121
[3] - نفسه، ص 122
[4] - نفسه، ص 122

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

أما المثال الثاني، فنجده منثورا في ثنايا حديثه عن امرئ القيس وشعره، فيقول: «ونحن نذهب هذا المذهب نفسه في تفسير هذه الأخبار والأشعار التي تمس تنقل امرئ القيس في قبائل العرب، فهي محدثة نحلت حين تنافست القبائل العربية في الإسلام، ...»[1].

ويخرج من أمر السياسة والعصبية بقاعدة علمية تدفع مؤرخ الآداب إلى الشك في الشعر الجاهلي، فيقول : «ونحن لا نقف عند استخلاص هذه النتيجة وتسجيلها وإنما نستخلص منها قاعدة علمية، وهي أن مؤرخ الآداب مضطر حين يقرأ الشعر الذي يسمى جاهليا أن يشك في صحته كلما رأى شيئا من شأنه تقوية العصبية أو تأييد فريق من العرب على فريق، ويجب أن يشتد هذا الشك كلما كانت القبلية أو العصبية التي يؤيدها هذا الشعر قبلية أو عصبية قد لعبت – كما يقولون – دورا في الحياة السياسية للمسلمين »[2].

والواقع أن المعارك التي دارت بين الطرفين، لم تقم على أساس قبلي سياسي كما فسره طه حسين، بل قامت على أساس ديني بين الوثنية والإسلام، أما الأشعار التي نظمت في هذه المعارك فكانت للأساس نفسه، لقد كانت الحرب بين الأرستقراطية القرشية الوثنية، وبين الأنصار الذين حملوا لواء الإسلام، فمكة الوثنية كانت تحاول استعادة سيادتها الدينية والاقتصادية والسياسية المنهارة، والأنصار كانوا يذودون عن حياض هذا الدين وينشرونه، فنشبت المعارك بين الطرفين بالسيف أولا، وبالشعر فيما بعد حين وضعت الحرب أوزارها[3].

أما المنحولات من هذا الباب فموجودة لكنها ليست بالصورة التي عرضها طه حسين.

أما تزيّد القبائل في أشعارها لتخليد مآثرها فمنفذ عبر من خلاله الشعر المنحول، ولم يفت ذلك القدامى، فقد مر بنا مع ابن سلاّم حينما عد العصبية القبلية سببا من أسباب نحل الشعر، ذلك أن الشعر هو أنسب وسيلة لتخليد المآثر، لذا لجأت القبائل إلى هذا الفن القولي لتتزيد فيه بأشعارها، وقد أشار ابن سلاّم إلى حسان بن ثابت وما حمل عليه من شعر لا عهد له به، كانت قد لجأت إليه قريش استكثارا لمآثرها.

---

[1] - طه حسين, في الأدب الجاهلي, ص 200
[2] - نفسه، ص 132
[3] - حسين جمعة, طه حسين, القامة والظل, ص 140

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الديـــــــــن :

والدين أيضا كان من أسباب النحل، وكان يقصد به إثبات صحة النبوة وصدق النبي – صلى الله عليه وسلم –، وما يتصل بتعظيم أسرته ونسبه في قريش، أو ما يمهد للبعثة من أخبار وأساطير موجهة إلى العامة لإقناعهم بأن كهان العرب وأحبار اليهود ورهبان النصارى كانوا ينتظرون بعثة نبي عربي يخرج من قريش. وقد بين طه حسين مواطن هذه الأشعار في سيرة محمد بن إسحاق وفي كتب التاريخ والسير[1]، ولم يفت القدامى هذا الأمر، فقد هذب ابن هشام سيرة ابن إسحاق، كما أشار ابن سلاّم إلى ما كان يفعله بهذه الأشعار التي كان يؤتى بها إليه فيحملها رغم قلة علمه بالشعر، وقد اعتذر صراحة و لم يقبل العلماء عذره آنذاك. وهناك نحو آخر من تأثير الدين في نحل الشعر، وهو « ما يلجأ إليه القصاص لتفسير أخبار الأمم القديمة البائدة ... مما وضعه ابن إسحاق وغيره من أصحاب القصص»[2].

ونوع اتصل بالحياة العلمية عند العرب، فدرسوا القرآن لغويا لإثبات صحة ألفاظه ومعانيه، وأنه مطابق للغة العرب، فكانوا يستشهدون على كل كلمة من كلمات القرآن بشعر العرب وذلك لإثبات « أن هذه الكلمة القرآنية عربية لا سبيل إلى الشك في عربيتها ...» [3].

ويضيف نوعا آخر هو ما وضعه علماء الدين للاستشهاد على لغة القرآن حين كانوا يختلفون في تأويل نصوصه . « فالمعتزلة يثبتون مذاهبهم بشعر العرب الجاهليين، وغير المعتزلة من أصحاب المقالات ينقضون آراء المعتزلة معتمدين على شعر الجاهليين ...» [4] .

و لم يأت للاستدلال على ما وضعه المفسرون والمتكلمون إلا بشطر بيت واحد لمعتزلي مجهول، هو قوله: « ولا يكرسئ علم الله مخلوق »، وقد أشار إليه الرافعي قبله. ويرفض طه حسين بطرحه هذا الاستشهاد بالشعر الجاهلي على لغة القرآن، بل يجب أن يستشهد بلغة القرآن على لغة الشعر الجاهلي، فنصوص القرآن هي التي تبين صحة الشعر الجاهلي أو زيفه.

وقد فسر نقاد الأدب الجاهلي رجوع العلماء إلى الشعر الجاهلي لمعرفة بعض الدلالات اللغوية التي تحتمل أكثر من وجه في القرآن الكريم، لا للاستشهاد بالشعر الجاهلي على القرآن، وهذا هو الوجه الصحيح[5].

---

[1] - طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص 132
[2] - نفسه، ص 138
[3] - نفسه، ص 138
[4] - نفسه، ص 139
[5] - حسين جمعة، طه حسين القامة والظل، ص 143.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وقد فند طه حسين رأي المستشرق « كليمان هوار » الذي استكشف مصدرا جديدا للقرآن الكريم هو شعر أمية بن أبي الصلت، الذي انتهى فيه إلى أن شعر أمية صحيح، لأن هناك فروقا بين ما جاء فيه وما جاء في القرآن من تفصيل بعض القصص، ولو كان منحولا لجاء مطابقا للقرآن. وأن النبي – صلى الله عليه وسلم –قد استعان بهذا الشعر في نظم القرآن، مما حمل المسلمين على محاربة هذا الشعر ومحوه لينفرد القرآن بالجدة.

ويرى أن هذا المستشرق جانب الصواب العلمي، وجاوز الشك إلى الجحود، فسبب ضياع شعر أمية بن أبي الصلت هو نهي النبي – صلى الله عليه وسلم – عن روايته، لأنه وقف منه موقف الخصومة بسبب هجاء أصحابه وتأييد مخالفيه، ورثائه أهل بدر من المشركين. كما أن الرواية الشفوية كانت حائلا دون وصول شعره إلينا[1].

وهناك نوع آخر من النحل بسبب الدين وهو ما يتعلق بالحنيفية دين إبراهيم – عليه السلام –، فقد حملت أشعار على الجاهليين ووضعت لإثبات أن للإسلام قدمة وسابقة في بلاد العرب[2]، ولم يفته ما أضافه اليهود والنصارى من أشعار إلى السموأل بن عادياء وإلى عدي بن زيد وغيرهما، فاليهود والنصارى « تعصبوا لأسلافهم من الجاهليين، وأبوا إلا أن يكون لهم مجد وسؤدد كما كان لغيرهم ...»[3].

- **القصص:**

وقد خص القصص والقصاصين بفصل، وكان قد عرض لهم عدة مرات فيما سبق من فصول الكتاب، فكما استغلت السياسة والعصبية واستغل الدين لوضع الشعر وحمله على الجاهليين، كذلك استغل فن القصص. وقد نبه طه حسين إلى أن الرافعي هو أول من أورد أثر القصص في نحل الشعر[4]، وكان قد مر بنا هذا في معرض حديثنا عن الرافعي.

وقد استدل على أثر القصص بما ذكره ابن سلاّم من صنيع ابن إسحاق في سيرته، وفي هذا مقنع للرد عليه، فما عرضه بشأن القصص والقصاص لم يفت القدامى من أمثال ابن هشام وابن سلاّم.

---

[1] - طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص 142، 143.
[2] - نفسه, ص 141
[3] - نفسه، ص 146
[4] - نفسه، ص 148

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

و لم يقف عند حد أيام العرب وما لفها من أساطير، كحرب داحس والغبراء وسيرة عنترة وحرب البسوس وما إليها، بل ذهب به شكه إلى أبعد من ذلك، فيرى أن القصص الذي كان يقص للناس في المساجد عن أخبار العرب والعجم وأخبار النبوات والسيرة والمغازي، ما هي إلا أداة لأغراض سياسية[1]. ولسنا نعتقد أن القصاص المسجديين كانوا في حاجة إلى تزييف الوقائع التاريخية والكذب على الناس، ولا سيما أن الذين تولوا ذلك في المساجد رجال أتقياء كالحسن البصري وأمثاله، هذا بالنسبة للقصص التاريخي الواقعي، أما القصص الشعبي الخيالي، فقد نشأ متأخرا، فاستأثر به الوضاعون المتكسبون، واستغله السياسيون لتحقيق أغراضهم، وهو مردود إذا أردنا دراسة صحة الشعر الجاهلي[2].

الشعوبية :

ويعرض للشعوبية وما يمكن أن تكون قد نحلت الجاهليين من أشعار، لتثبت على لسانهم مثالبهم التي تدعيها، كما تثبت ثناءهم على الأعاجم، فيقول : « كانت الشعوبية تنحل من الشعر ما فيه عيب للعرب وغض منهم. وكان خصوم الشعوبية ينحلون من الشعر ما فيه ذود عن العرب ورفع أقدارهم » [3] .

كما شك في الأشعار الكثيرة التي ساقها الجاحظ في مصنفه الحيوان، ويرى أنه أضافها إلى الجاهليين ليدل بها على اتساع معرفتهم في علم الحيوان، والجاحظ نفسه ينفي عنهم علمهم الدقيق بذلك، ويرى أن معارفهم فيه أولية، وأنه إنما دار في أشعارهم لأنه كان مبثوثا أمام أعينهم في ديارهم[4].

الرواة :

والرواة فئتان: الرواة العرب والرواة الموالي، وكل فئة تتأثر بأسباب عامة بحسب انتمائها، هذا إضافة إلى أهم العوامل المؤثرة فيهم، والتي عبثت بالأدب العربي: « مجون الرواة وإسرافهم في اللهو والعبث، وانصرافهم عن أصول الدين وقواعد الأخلاق إلى ما يأباه الدين وتنكره الأخلاق»[5].

---

[1] - طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص 149, 150
[2] - حسين جمعة، طه حسين القامة والظل، ص 144, 145
[3] - طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص 167
[4] - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ص 173، 174.
[5] - طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص 168

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ثم عرض للرواة بأسمائهم، فذكر حمادا الراويةالكوفي وخلفا الأحمر البصري، واستدل على عبثهما بأنهما كانا سكيرين ماجنين صاحبي لهو وعبث ومجون[1].

ويوسع دائرة اتهام الرواة لتضم أبا عمرو الشيباني وأبا عمرو بن العلاء والأصمعي، ونحن نعلم مدى ثقة هذين الأخيرين لتقواهما وعلمهما.

لقد ردد طه حسين ما نص عليه القدامى فيما يخص الرواة، وقد توسع فيها وأفاض لينفي معظم الشعر الجاهلي كله، فهو يذهب مذهب التعميم خلافا لما قام به الأوائل الذين نصوا على تجاوزات الرواة كما مر بنا في الفصل الأول من هذا البحث. ولم يفت طه حسين الإشارة إلى تزيّد الأعراب تكسبا، وقد أشار ابن سلاّم إلى تزيدّ ابن داود بن متمم بن نويرة على شعر أبيه.

دراسة تطبيقية لبيان الانتحال في شعر طائفة من الشعراء:

في القسم الثالث من كتابه خص طائفة من الشعراء شك في شعرهم معللا شكه، نذكر منهم :

- امرؤ القيس :

شك في القصص الكثيرة التي حيكت حول حياته، كما شك في شعره الذي يرى أنه يأخذ سبيل قصة حياته الملفقة، فشعره إسلامي لا جاهلي، ويخلص إلى نتيجة مفادها أن شخصيته تشبه شخصية الشاعر اليوناني هوميروس الذي نسجت حول حياته الأساطير.

ما يتصل من أشعار بقصة ذهابه إلى القسطنطينية منحول، وكذلك شعره الذي قاله عندما دخل الحمام مع قيصر، وكذلك شعره في حبه الذي أضمره لابنة قيصر، كما أضيف إليه الشعر الذي يخص إحساسه بالسم وهو قافل من بلاد الروم. وقد استثنى له قصيدتين، هما :

- قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
- ألا أنعم صباحا أيها الطلل البالي

وما عداهما من شعره ففيه الضعف والاضطراب والتكلف والإسفاف، أما المعلقة ففيها اختلاف الروايات مع التكلف والتعمل. وهو يرى أن الشعر الجاهلي في عمومه منحول ودليل

[1] - طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص 169 وما بعدها

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ذلك افتقاره إلى وحدة القصيدة وإلى التنسيق والائتلاف، كما أن شخصيات أصحابه غـــير ماثلة في القصائد، وهو يقبل التقديم والتأخير والإضافة إلى أي شاعر جاهلي شئنا[1].

- علقمة بن عبدة (علقمة الفحل):

شك في شعره لقلة ما يعرفه العلماء من أخباره ، وقد استدل بما نصه ابن سلاّم من أنه لا يعرف له إلا ثلاث روائع جياد، ولا يذكر بعدهن شيء، وشعره مضطرب ذاهب[2].

- عبيد بن الأبرص:

شك كذلك في شعره لأن الرواة لم يخبرونا عنه شيئا يذكر إلا ما يتعلق بكراماته وخوارقه وصداقته للجن والإنس معا، وأنه عمر طويلا، فلا نعرف من حياته إلا اسمه. والحق أن ابـــن سلاّم نص على أنه لا يعرف له إلا قصيدته :

أقفر من أهله ملحوب فالقـــطّـــبيات فالذنوب

كما وصف شعره بالاضطراب[3]

- عمرو بن قميئة :

هذا الشاعر مجهول الحياة كذلك، شعره فيه سهولة وتوليد، وخاصة قصيدته التي اعتـــذر فيها إلى عمه، ومطلعها :

خليليّ لا تستعجلا أن تروّدا وأن تجمعا شملي وتنتظرا غدا

فهي متكلفة منحولة لا حظ لها من الصدق. وقد وصف طه حسين شعره بالسهولة واللين[4].

- المهلهل :

يرى أن الرواة طولوا قصة حرب البسوس في الإسلام، حين اشتد التنافس بين ربيعة ومضر من ناحية، وبين بكر وتغلب من ناحية أخرى، وبمقدار ما طولت القصة، زاد معها عظم أمر المهلهل وارتفع شأنه، فشخصيته غامضة هي أقرب إلى الأساطير منها إلى الواقع، وخلافا لابن سلاّم الذي كان يرى أن المهلهل كان يكثر ويدعي في قوله أكثر من فعله، يرى طه حسين أن قبيلة تغلب هي التي تكثرت في الإسلام ونحلته ما لم يقل، بل زعمت أنه أول من قصّد القصيد وأطال الشعر، ورأى أن الهلهلة تعني الاضطراب، فكان ذلك وصفا لشعره المضطرب المختلط،

[1] - طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص 195 وما بعدها.
[2] - نفسه، ص 208 وما بعدها.
[3] - نفسه، ص 209 وما بعدها.
[4] - نفسه, ص 211 وما بعدها

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وبالغ في الأمر ليصل إلى أن شعراء الجاهلية كلهم مهلهل، فالشعر الجاهلي كله كحال شعر المهلهل.

وقد شك في شعر المهلهل للأسباب التي ذكرها لغيره، فشخصيته غامضة، وشعره مضطرب مختلط، ووزن شعره مستقيم، وقافيته مطردة، ونظمه يلائم قواعد النحو مما لا يوافق قدمه في الشعر، وفي لفظه سهولة ولين وإسفاف[1].

- عمرو بن كلثوم :

كذلك لا تخلو حياته من غرابة فهي قريبة من الأساطير، ولفظ شعره سهل رقيق قريب الفهم، كما أن معلقته مضطربة، يتكرر بعضها[2].

- الحارث بن حلّزة :

لم يقدم لنا سببا لشكه، وكان منه أن أورد أبياتا من من معلقة عمرو بن كلثوم، وقارنها بقصيدة همزية للحارث بن حلزة، منها قوله :

ملك أضرع البرية لا يو جد فيها ما لديه كفاء.

وعلق على ذلك بأن قصيدة الحارث أمتن وأرصن. ثم قال : « ولسنا نتردد في أن نعيد ما قلناه من أن هاتين القصيدتين وما يشبههما مما يتصل بالخصومة بين بكر وتغلب إنما هو من آثار التنافس بين القبيلتين في الإسلام لا في الجاهلية »[3].

- طرفة بن العبد :

يرى أن شعره لا يعكس شخصيته غير أبيات من المعلقة، وأنه شاذ عن شعراء ربيعة في قوة متنه وشدة أسره وإغرابه، فهو أشبه بشعر المضريين منه بشعر الربعيين، و لم يتضح له الأمر، فهو لا يدري أهذا الشعر قد قاله طرفة أم قاله رجل آخر، وما يعنيه أن هذا الشعر جاهلي صحيح لا تكلف فيه ولا نحل، ولا يعنيه قائله أكان طرفة أم غيره[4].

[1] - طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص 214 وما بعدها.
[2] - نفسه، ص 219 .
[3] - نفسه، ص 225.
[4] - نفسه, ص 226 وما بعدها.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

- المتلمّس :

يقول عنه : « وأكبر الظن أن كل ما يضاف إلى المتلمس من شعره أو أكثره – على أقل تقدير – مصنوع، الغرض منه تفسير طائفة من الأمثال وطائفة من الأخبار ». كما أن شعره لا يخلو من رقة وإسفاف وابتذال، وقافيته ظاهرة التكلف [1].

- الأعشى :

لا يثق فيما حوله من أخبار، ففيها رائحة الأساطير، وبعضها ظاهر فيه الكذب والنحل، مدائحه منحولة تعكس مظاهر العصبية في الإسلام، ومعظم شعره قد صنع في الإسلام في الكوفة، فهو يعكس التحالف العصبي بين ربيعة واليمن على مضر، أما غزلياته فمتكلفة منحولة شديدة اللين، ولا يستبعد طه حسين أن يكون للأعشى نصيب في هذا الشعر الذي يضاف إليه، كما ينبهنا إلى أن هذه المنحولات تشمل الجيد المتقن والضعيف السخيف[2].

الشعر المضري :

معظم حديثه السابق كان عن شعراء اليمن وربيعة، وكان قد رفض شعرهم الذي عانى تكلف القصاص والرواة بتأثير التنافس السياسي والعصبية الجنسية والخصومات، وخلاصة رأيه في الشعر المضري تتمثل فيما يأتي: لاحظ كثرة شعراء مضر، كما لاحظ أن هذه الكثرة متأخرة العصر جدا، فقد أدركت الإسلام كلها، كما أن هذا الشعر المتأخر لم يسلم من الاضطراب والفساد، وقد مثل لذلك بما رآه ابن سلاّم في قصيدة أبي طالب في مدح النبي – صلى الله عليه وسلم – التي طولت وزيد فيها حتى اختلط أمرها، وفي ما حمل من أشعار على حسان بن ثابت. وخلص إلى أن تخليص صحيح الشعر من منحوله فيه مشقة وعسر، لأن من بين واضعيه علماء باللغة والشعر، و لم يفته الثناء على صنيع ابن سلاّم في طبقاته، فاعتبره أحسن العلماء المحققين الذين لم يتورطوا في الكذب، و لم يتعمدوا إسرافا، و لم يقصدوا إلى تضليل، لقد كان ثقة محتاطا.

[1] - طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص 226 وما بعدها.
[2] - نفسه، ص 231 وما بعدها.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

لم يتسرب شكه إلى وجود الشعر المضري في الجاهلية ولا إلى قدمه، ولكنه يرى أن معظمه قد ضاع، و لم يبق منه إلا مقدار قليل اضطرب وكثر فيه الخلط والتكلف والنحل، وعسرت بل استحالت تصفيته[1].

المقياس المركب للحكم على صحة الشعر الجاهلي أو نحله :

لغربلة الشعر الجاهلي وفرز الصحيح من المنحول، اتخذ طه حسين مقياسا شرحه على النحو الآتي: وجوب العناية بالنقد الداخلي، لأن النقد الخارجي أو العناية بالسند ((لا تكفي من تصحيح ما يصل إلينا من طريقه))[2], هذا النقد يتناول النص الشعري في لفظه ومعناه ونحوه وعروضه وقافيته , ولكنه يشك في جدواه في كل الأحوال, لأن لغة الشعر الجاهلي قد لا تكون في صورتها الحقيقية التي وصلت إلينا, وما بقي منها صحيحا صحة قاطعة ولكنها في حاجة إلى تدوين, هي لغة القرآن الكريم, ولكن هل استعمل القرآن كل ألفاظ المضريين التي كانت شائعة بينهم أيام النبي –صلى الله عليه وسلم- ؟, ثم إن اللغة والنحو والصرف والعروض قد لا تكون عند الخليل وسيبويه وغيرهما كما كانت عند المضريين في الجاهلية, كما أن الكثرة من هذا الشعر قد ضاعت, وأن القلة الباقية لم تسلم من النحل, ومن هذا يتضح أن التقعيد لهذه العلوم استخلص من شعر موضوع بعد الإسلام[3].

وقد عارض النقادَ القدامى والمحدثين في طريقة تحقيق الشعر الجاهلي باعتمادهم على غرابة اللفظ وبداوة المعنى, بمعزل عن أمور أخرى تسندهما, فهم يرون أن الألفاظ إذا كانت متينة رصينة كثيرة الغريب, كان الشعر جاهليا, وإن كانت سهلة لينة مألوفة كان منحولا[4], ويعللون ذلك باعتبار الشعراء الجاهليين كانوا أهل بادية لا صلة لهم بالحضارة, وهذا مرفوض في رأي طه حسين, لأنه لا يتحقق في كل الأحوال, فإذا كان النقاد القدامى والمحدثون يرون في شعر عدي بن زيد الإسفاف واللين والسهولة لأنه من أهل الحيرة, بها ولد ونشأ متأثرا بحياة الحضر, كما يرون شعر النابغة شديد الأسر رصينا متينا رغم أنه تحضر, وهم يعللون ذلك بأنه نبغ بعد أن تقدمت به السن , فاتصل بملوك الحيرة والشام بعد تكوينه البدوي,

[1] - طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص 245 وما بعدها.
[2] نفسه, ص 257
[3] نفسه, ص 257, 258
[4] نفسه, ص 258

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فصعب تغيير لغته, ولكن المنخل اليشكري نشأ بدويا و لم يتصل بالنعمان إلا بعد أن تقدمت به السن , لكن شعره سهل لين, فكيف رق شعره ولان وهو كالنابغة بدوي النشأة حديث عهد بالحضارة؟ وكذلك الحال بالنسبة للأعشى الذي عاش بدويا وكان يختلف إلى أصحاب الحيرة والشام وأقيال اليمن, وشعره فيه سهولة ولين[1].

أما من يلتمسون أسباب النحل في اللفظ دون المعنى, فيرون أن المعاني إذا وافقت حياة البادية في صورها وأغراضها وموضوعاتها كان الشعر جاهليا, وإذا خالفتها كان منحولا, فهذا أمر مرفوض كذلك على أساس أن الشعراء الجاهليين لم يكونوا كلهم أهل بادية, كما أن الرواة العلماء بالمعاني والألفاظ الجاهلية لا يصعب عليهم تزييفها, فاتخاذ غرابة اللفظ وبداوة المعنى مقياسا لغربلة الشعر الجاهلي مرفوض[2].

إن طه حسين لا يعتمد على اللفظ وحده, ولا على المعنى وحده وإنما يعتمد عليهما معا, ويضيف إليهما أمورا أخرى فنية وتاريخية, وهذا ما يسميه المقياس المركب الذي يمكننا من تصفية الشعر المضري الجاهلي, إنه يلجأ إلى الخصائص الفنية التي يلتمسها عند طائفة من الشعراء يشكلون مدرسة شعرية, مثل: مدرسة أوس بن حجر التي تضمه إلى جانب راويته زهير وابنه كعب والحطيئة وجميل وكثير, أو ما يعرف بـ(الشعراء الرواة), وقد خص أوس بن حجر وزهيرا ببيان خصائصهما الفنية من مثل: بداوة المعنى, متانة الألفاظ ورصانتها, مادية الوصف, الصنعة, كثرة التشبيهات والمجازات والاستعارات, فهذه المدرسة –كما يرى- هي التي أنشأت البيان العربي[3].

لقد اعتمد طه حسين في شكه في شعر الشعراء الذين خصهم بالذكر على الأحكام الذاتية, ولو أنه استقصى آراء الرواة الثقات لأعانه ذلك كثيرا في تحقيق أشعارهم جميعا[4], أما مقياسه المركب الذي يشمل خصائص فنية تشترك فيها طائفة من الشعراء بحيث يكونون مدرسة كمدرسة أوس بن حجر, فهو بهذا الطرح هدم شكوكه الواسعة في الشعر الجاهلي, فقد رجع أخيرا يسلم بصحة بعض جوانبه ودواوينه, إنه يتناقض مع نفسه وهذا ما لا يستقيم مع المنهج الذي تبناه في بداية بحثه, كما أننا لا نسلم له باطراد هذا المقياس في تلك المدرسة

[1] طه حسين, في الأدب الجاهلي, , ص 260
[2] نفسه, ص 264
[3] نفسه, ص 267
[4] شوقي ضيف, تاريخ الأدب العربي, ص 174

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

نفسها, فقد لاحظ القدامى أن شعر أوس بن حجر اختلط بشعر ابنه شريح, واختلف الرواة في بعض ما نسب إليه من شعر: هل هو له أو لعبيد بن الأبرص الأسدي, كما أن رواية الكوفيين لديوان زهير حملت زيادات كثيرة شك القدامى في أطراف منها[1].

إن طه حسين انطلق من فرضية نفي كثرة الشعر الجاهلي, والتي رأى أنها منحولة بعد ظهور الإسلام, فهو لا يبقي إلا على قلة منه, هذه القلة كذلك لم تسلم من النحل, لقد خالف القدامى ومن أتوا بعدهم مثل مصطفى صادق الرافعي, ولكنه في طرحه لم يكن بمنأى عن الاعتماد على الدراسات السابقة, فللقدامى العرب فضل عليه, كما للدراسات الاستشراقية أثرها البيّن على بحثه, وسنتعرف على مدى تأثره بالمستشرقين في حديث لاحق.

[1] شوقي ضيف, تاريخ الأدب العربي, العصر الجاهلي, 175

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ناصر الدّين الأسد: فرض الكتابة و توثيق الرواة لتوثيق الشعر الجاهلي:

نحا المؤلف في كتابه ((مصادر الشعر الجاهلي و قيمتها التاريخية)) الصادر سنة 1956م منحى علميا، وصاغ فيه آراءه المعارضة للمتشككين في صحة الشعر الجاهلي صياغة لغوية وعلمية هادئة، مبتعدا في نقده وطرح أفكاره عن أسلوب التجريح و الطعن المباشر وغير المباشر، فالكتاب كان ردا معتدلا على أستاذه طه حسين الذي وسّع شكه في الشعر الجاهلي، وعن بعض المستشرقين المغالين، الذين حاولوا إخراج الشعر الجاهلي كله من دائرة عصره كما فعل مرجوليوث.

وقد حشد المؤلف في مصنفه مادة إخبارية و روائية و علمية و شعرية غزيرة، و لم يفته تدعيم آرائه بالنقوش المتعلقة بالكتابة، و أرفق كل هذا بمقارناته و تحليلاته ليخلص إلى النتائج التي تقوي رأيه، ولغزارة ما قدمه وسعته،كان منا أن أوجزنا آراءه إيجازا شديدا قائما على عرض الخطوط العريضة لما أبداه ، فهذا البحث يضيق بالتوسع فيها ، وقد يؤدي هذا الإيجاز إلى إغفال أمور قد تفيد البحث.

– منهج المؤلف:

في مقدمة كتابه، حدد لنا المنهج الذي اتبعه في دراسة الشعر الجاهلي ، فدراسته دراسة مجدية –في نظره– لا تتم إلا عن طريق دراسة خارجية أولا ، تعنى بمصادره جملة و تبحث رواية هذه المصادر وتسلسلها، ورواتها ومدى الثقة بهم، ثم تتبع المصادر الأولى التي استقى منها أولئك الرواة، حتى تصل بين هؤلاء الرواة والشاعر الجاهلي نفسه. وقد نبه المؤلف إلى الخطأ الذي وقع فيه الدارسون ممن ضعفوا وسيلة حفظ هذا التراث، ووهنوا طريقة نقله وروايته، وسبب ذلك – كما يرى- هو تجاوزهم و إغفالهم هذا النوع من الدراسة الخارجية[1]. وقد عقب على سيره أثناء البحث و التصدي لهذا الموضوع بقوله: ((وقد بذلت أقصى الجهد في أن أنهج نهجا علميا خالصا، لا أميل مع هوى, ولا أتعصب لرأي، ولا

[1] ناصر الدين الأسد, مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية, ص 6

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

أعتسف الطريق من أمامي اعتسافا ،بل لعل من الصواب أن أذكر أني حين دخلت الموضوع, لم يكن يحفزني إلا الموضوع نفسه...))[1]

لقد كان هم الكاتب توثيق الشعر الجاهلي, ودحض الشكوك التي تحوم حول صحته, وليثبت رأيه, ويفند آراء المتشككين, بنى موضوع بحثه عل دعامتين قام عليهما الشعر الجاهلي –في رأيه – هما: الرواية الشفهية والتدوين، ولكي يصل إلى مفصل يطمئن إليه عزز آراءه بحشد هائل من الأخبار والأشعار والروايات والنقوش الحجرية، وقد أوجزناها على النحو الآتي:

الكتابة في العصر الجاهلي :

كان حديثه في الباب الأول من كتابه عن أهم مظاهر الحضارة العربية و هو الكتابة والتدوين فقام باستقراء النقوش الحجرية الجاهلية الشمالية ، ليخلص إلى نتيجة مفادها: أن الخط الكوفي الذي عرف في الإسلام قد كان معروفا في الجاهلية منذ مطلع القرن الرابع الميلادي على أقل تقدير, وأن الجاهليين قد كتبوا به ثلاثة قرون قبل الإسلام أو تزيد[2], فأصبح من اليقين لديه أن معرفة الجاهليين بالكتابة معرفة قديمة، يقررها البحث العلمي القائم على الدليل المادي المحسوس و رأى في جملة النصوص والروايات التي عضد بها النقوش المدروسة أنها تكاد تكون قاطعة الدلالة على وجود الكتابة في الجاهلية وسعة انتشارها, كما خلص إلى ترجيح معرفة عرب الجاهلية بالنقط الإعجام[3], وأشار إلى ظاهرة قيام مدارس لتعليم الكتابة في الحواضر العربية في الجاهلية كمكة والمدينة والطائف و الأنبار والحيرة, كما توفر عدد المعلمين الذين كانوا يعلّمون الكتابة[4], وقد لاحظ أن بعض العرب أجاد لغات أقوام آخرين كالسريانية والعبرية و الفارسية فمنهم من أجادها نطقا وكتابة كعدي بن زيد العبادي الذي تعلم الخط الفارسي وأجاده ولقيط بن يعمر الإيادي الذي أتقن الكتابة بالعربية والفارسية, كما أن الترجمة كانت ماثلة في العصر الجاهلي[5].

[1] ناصر الدين الأسد, مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية , ص7
[2] نفسه, ص33
[3] نفسه, ص34, 35
[4] نفسه, ص107
[5] نفسه, ص54, 55, 56

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

بعد ذلك عرض لنا الموضوعات التي كان يكتبها الجاهليون و المواد والأدوات المستخدمة في كتاباتهم آنذاك, فهو يرى أنهم سجلوا كل شؤون حياتهم العامة والخاصة و استعملوا لذلك كلما أتيح لهم من وسائل، لقد دوّنوا عهودهم و مواثيقهم و أحلافهم وكتبهم الدينية بالعربية وبالعبرية و السريانية, وقد ختم هذا الباب بترجيح ثلاثة أمور هي:

- قدم معرفة عرب الجاهلية بالخط العربي معرفة لا تقل عن ثلاثة قرون قبل الإسلام .
- معرفتهم بالنقط و الإعجام منذ الجاهلية نفسها .
- قيام المدارس ووجود المعلمين لتعليم الخط وانتشار الكتابة بين عرب الجاهلية انتشارا واسعا.

كتابة الشعر الجاهلي :

خص حديثه عن كتابة الشعر الجاهلي بباب, وقد حدّد مفهوم الكتابة هنا بأنه يعني التقييد العابر لما يعرض من شؤون الحياة, واستدل على كتابة الشعر الجاهلي بضربين من الأدلة هما:

الأدلة العقلية الاستنباطية :

وتتمثل فيما يأتي: قيمة و خطر الشعر الجاهلي للقبيلة و الفرد على السواء, فهو ديوانهم وسجل مفاخرهم ومآثرهم, فإذا كان الجاهليون يدونون عهودهم ومواثيقهم و رسائلهم وصكوك حسابهم فلم لا يدونون شعرهم وهو أرفع درجة عندهم مما ذكر[1].

- كان الشعر الجاهلي عند غير المتكسبين بالمدح واجبا قوميا تفرضه على الشاعر طبيعة ارتباطه بقبيلته أو واجبا أخلاقيا تمليه عليه مآثر سلفت من صاحبها لقبيلة الشاعر أو للشاعر نفسه, أما المتكسبون بالشعر فقد كان مورد رزقهم, لذا وجب على الشاعر أن يدون مورد رزقه, وقد وجد شعراء يكتبون أشعارهم بأنفسهم كزيد بن عدي ولقيط بن يعمر والمرقش وغيرهم[2].
- كان شعر بعض الشعراء نتاج عمل عقلي مركب كزهير بن أبي سلمى صاحب الحوليات، فعبيد الشعر أصحاب الشعر الحولي المحكك ، تفرض عليهم طبيعة هذا

[1] ناصر الدين الأسد, مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية, ص109
[2] نفسه , ص113, 114

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الشعر تقييده و إثباته بالكتابة، لأنهم كانوا يرددون فيه النظر بين الحين والآخر، ويجيلون فيه عقولهم[1].

- جملة الأشعار الجاهلية التي ذكرت الكتابة ونصت عليها صراحة ، وذكرت أدواتها، وشبهت الأطلال والرسوم ببقايا الخطوط على الرق والمهارق و سائر أنواع الصحف، مما يدل على أن الشعراء الجاهليين كانوا على علم دقيق بأنواع الكتابة و الحروف[2].

الأدلة الصريحة المباشرة :

و هي عبارة عن عشرين نصا و رواية ذكرها المؤلف، تفيد تقييد الشعر الجاهلي في الجاهلية نفسها[3].

تدوين الشعر الجاهلي:

انتقل المؤلف من التقييد العابر لما يعرض لشؤون الحياة إلى التدوين الذي يعني جمع الصحف وضم بعضها إلى بعض, حتى يكون لنا منها ديوان، وقد مهد له بالحديث عن شيوعه ووفرة وسائله التي كانت في متناول الناس جميعا، فهو يرى أنه منذ مطلع القرن الأول الهجري، كانت صحف الكتابة كثيرة موجودة في الأسواق، زهيدة الأثمان، وكانت تعرض في مكتبات عامة للاقتناء[4].

وحتى يفرض تدوين الشعر الجاهلي و يقوي رأيه، بدأ حديثه عن تدوين الحديث الشريف والفقه و التفسير ، فأمور الدين هذه كانت قد عرفت التدوين في وقت مبكر ، مما يعني أن للتدوين و وسائله قدمة وسابق عهد قبلها . لقد استدل على تدوين الحديث الشريف بما ذكره الخطيب البغدادي في كتابه (تقييد العلم) من أحاديث شريفة و آثار تكشف عن سبب كراهة تدوين الحديث الشريف، والمتمثل في عدم مضاهاة كتاب الله بغيره، أو الانشغال عن القرآن بسواه، كما لم يفت البغدادي ذكر أحاديث أخرى و أخبار عن الصحابة تحض على كتابة الحديث[5].

[1] ناصر الدين الأسد, مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية, ص 118
[2] نفسه, ص122
[3] نفسه, ص 125
[4] نفسه, ص142
[5] نفسه, ص 143

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

أما التفسير فلم يختلف عن الحديث الشريف، لقد بدأ تدوينه من عهد الصحابة، وتابعه فيه التابعون، ومن أمثلة ذلك:

أنّ كتب عبد الله بن عباس بلغت حمل بعير كما وردت في الفهرست للنديم[1] . و أما المغازي والسير، فقد دونت كذلك منذ وقت مبكر، فعروة بين الزبير مثلا، كانت له كتابات تاريخية خالصة تخص المغازي و السير، وكان كلما سأله عبد الملك بن مروان عن بعض الحوادث التاريخية ، يبعث بها إليه كتابة, وكذلك الحال مع أبان بن عثمان بن عفان (ت105هـ)، كان يدون المغازي، وقد أخذ عنه المغيرة بن عبد الرحمن ، وهناك آخرون دونوا السير والمغازي مثل: وهب بن منبه و ابن شهاب الزهري[2].

لقد مهد ناصر الدين الأسد لموضوع تدوين الشعر الجاهلي بتدوين هذه الموضوعات الثلاثة: الحديث و الفقه، و التفسير والسير والمغازي، وهي موضوعات إسلامية في مادتها .ليثبت ما لا يقبل الشك أن تدوين الموضوعات في الكتب – مهما يكن حجمها – قد بدأ في عهد مبكر جدا، منذ عهد الرسول-صلى الله عليه و سلم- وصحابته، وأن هذه الموضوعات لم تنقل بالرواية الشفوية قرنا أو يزيد حتى دونت، كما يذهب إلى ذلك الكثيرون، كما لم يفته تحديد العلاقة بين هذه الموضوعات الإسلامية والشعر الجاهلي، لأن أصحابها كانوا في الغالب يستشهدون بالشعر الجاهلي، ويعرضون لذكر الجاهلية[3].

وليزيد رأيه قوة , قدم المؤلف دليلا آخر متمثلا في ذكر عالمين من علماء الشعر متعاصرين, هما أبو عمرو بن العلاء (ت154) وحماد الراوية (ت156) فهذان العالمان لم تكن عنايتهما بالشعر الجاهلي مقصورة على الدروس الشفهية, بل كانا كغيرهما من العلماء يعتمدان على دواوين ومجموعات مكتوبة توارثاها عمن قبلهما, فأبو عمرو بن العلاء, كما يرى الجاحظ, ملأت كتبه بيتا له إلى قريب من السّقف, ثم إنه تقرأ فأحرقها كلها. وحماد الراوية –كما يرى ناصر الدين الأسد – فإن جملة الأخبار التي جمعها عنه تحمل دلالة صريحة على أنه كانت عنده كتب فيها أخبار الجاهلية و أنسابها و أشعارها، بعضها كتبه بنفسه، وبعضها كتب من قبله، فقرأه واستفاد منه في تدوين كتبه[4].

[1] ناصر الدين الأسد, مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية, ص 146, 147
[2] نفسه, ص 149
[3] نفسه, ص 151
[4] نفسه, ص 156

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

و لم يكتف المؤلف بهذا الحد لتقوية فرض تدوين الشعر الجاهلي، فذهب إلى أن الأمثال والحكم الجاهلية قد دونت في الجاهلية نفسها[1], كما رجح كتابة المعلقات وتعليقها معتبرا إياها دليلا على تدوين الشعر الجاهلي وقد قابل في طرح قضية تدوين المعلقات وتعليقها بين ثلاثة آراء: الأول رأي ابن عبد ربه في العقد الفريد والذي يرى تدوين المعلقات وتعليقها, والثاني رأي البغدادي في الخزانة والذي لا يختلف عن ابن عبد ربه, والثالث رأي أبي جعفر أحمد بن محمد النحاس الذي ذكر أن حمادا هو الذي جمع السبع الطوال, و لم يثبت ما ذكره الناس أنها كانت معلقة على الكعبة[2], وقد رجح المؤلف الرأيين الأولين ليثبت قدم تدوين الشعر الجاهلي منذ الجاهلية نفسها. وقد كشف عن صلة تلك المدونات الجاهلية والإسلامية المبكرة بهذه الدواوين التي بين أيدينا من الشعر الجاهلي, والتي صنعها ورواها أبو عمرو بن العلاء والأصمعي والمفضل الضبي وأبو عمرو الشيباني وابن الأعرابي, وطرح تساؤلا مفاده: هل أخذ هؤلاء العلماء الرواة في نهاية القرن الثاني ومطلع القرن الثالث الشعر الجاهلي الذي رووه من مدونات قديمة؟ أو أنهم أخذوه كله من أفواه الرواة؟, وقد اعتمد في الإجابة عن هذا التساؤل على حشد من الروايات والأخبار تفيد في مجملها أنهم كانوا يأخذون من مدونات, ويصل بذلك إلى قوله: ((هذه كلها أخبار صريحة الدلالة على أن هؤلاء العلماء الرواة إنما وجدوا أمامهم دواوين الشعر الجاهلي مكتوبة قبل عهدهم , وأنهم قرؤوها وتدارسوها وأخذوا منها , ومن هنا كانت الدواوين التي صنعوها أو المجموعات التي اختاروها قائمة في أساسها ــ على ما كان مدونا من قبل عصرهم))[3] , ودليل ذلك ــ عنده ــ وجود التصحيف الذي يتأتى من قراءة الصحيفة , وقد ذكر جملة من الأمثلة عليه ليؤكد أن دواوين الشعر الجاهلي كانت مدونة سلفا[4].

ويبرر المؤلف عدم تصريح الأوائل بأخذهم من الكتب بأن الأمر راجع إلى طريقة أخذهم العلم وتحصيله آنذاك, فقد كان العالم الحق الجدير بالثقة هو الذي يتصل بالعلماء, فيحضر مجالسهم ويستمع إليهم, ويأخذ عنهم, وقد يقرأ التلميذ على شيخه من كتاب والشيخ يشرح الغامض ويصحح الخطأ, أما من يكتفي بالأخذ من الكتاب وحده, دون عرضه على العلماء,

[1] ناصر الدين الأسد, مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية, ص168
[2] نفسه, ص 171, 172
[3] نفسه, ص 175
[4] نفسه, ص 176, 177

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ودون تلقي علمه في مجالسهم, فقد كان عرضة للتصحيف والتحريف, وبـــذلك لا يعـــدون علمه علما, وسموه صحفيا لا عالما, وقد استدل في طرحه هذا بما أورده ابن سلام في طبقاته عن الصحيفة والصحفي ومدى التحرج العلمي ممن كان يأخذ عنهما[1].

وقد خلص المؤلف إلى أن الرواية تقوم على دعامتين هما: الكتاب والسماع, فالألفاظ من مثل: ((أخبرنا)) أو ((حدثنا)) هي ألفاظ عامة تشمل الرواية بشقيها: القراءة والسماع[2].

الرواية والسماع :

بعد أن أنهى حديثه عن الدعامة الأولى للرواية الأدبية, وهي الصحيفة المدونة, انتقـــل إلى الحديث عن الرواية الشفهية أو السماع, وكان قد حشد لذلك مادة غزيرة, ليثبت اتـــصال رواية الشعر الجاهلي من الجاهلية نفسها حتى القرن الثاني الهجري, فذكر طبقـــات الـــرواة, والإسناد في الرواية الأدبية, ليصل بذلك كله إلى أمر له قيمته وخطره, هو اتـــصال الـــشعر الجاهلي من الجاهلية إلى عصر التدوين العلمي في القرن الثاني الهجري, وهو بـــذلك يـــنقض الفكرة القائلة بانقطاع رواية الشعر الجاهلي بين الجاهلية والإسلام بسبب ظهـــور الإســـلام, وانشغال المسلمين بأمر الدين الجديد والدعوة والغزو مما قال به ابن سلام في طبقاته[3].

توثيق الرواة وتضعيفهم :

لإقامة الحجة له, عمد ناصر الدين الأسد إلى جمع أخبار وروايات تخص الرواة, وقد ركز على اثنين منهم, لأن هذه الأخبار كانت تميل إلى النيل منهما وتضعيف روايتهما وتتـــهمهما بالوضع والنحل, هما: حماد الراوية الكوفي وخلف الأحمر البصري, وقبل عرض الأخبار الـــتي تخصهما والمقابلة بينها وموازنتها, تحدث عن مدرستي البصرة والكوفـــة, وبـــيّن اخـــتلاف منهجيهما, وذكر جملة من الاتهامات التي كان يرمي بها كل فريق الآخر, ثم شرع في ذكـــر أخبار حماد فتقصاها وبحثها ناقدا إياها, ليخرج بما يأتي: إن اتهامات حماد كانت نابعة من عدة عوامل منها:

---

[1] ناصر الدين الأسد, مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية, ص179, 180
[2] نفسه, ص 184
[3] نفسه, ص188 وما بعدها

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

- العصبية التي كانت متأججة بين مدرستي الكوفة والبصرة.
- المنافسات والخصومات الشخصية كالتي كانت بينه وبين المفضل الضبي, علما بأن المفضّل كان يتّهم حمادا بالنحل والوضع.
- العصبية السياسية: فقد كان حماد أموي الهوى والنزعة, وكانت دولة بني أمية قد ولت وأقبلت دولة جديدة تناصبها العداء وتريد محو محاسنها وأثارها وتحط من قيمة من اشتهر فيها أو نال الحظوة لديها.
- سعة حفظ حماد وروايته بشهادة الرواة, فكان يروي مالا يعرفه غيره , ويحفظ ما لا يحفظون, فاتهموه بالتزيد والوضع.
- مجونه واستهتاره بالشراب ساعد على كيل هذه الاتهامات له وتضعيفه وتجريحه[1]. أما خلف الأحمر فيراه المؤلف ثقة, ويكفيه أن ابن سلام والأصمعي وثّقاه وهما مَنْ هما توثيقا[2].

لقد حاول المؤلف رفع شبهة الوضع والنحل عن بعض أعلام الرواية, والذين يرى أنهم قاسوا ما بين أيديهم من شعر جاهلي بمقاييس نقدية تتفق ومناهجهم, وتختلف مع مناهج غيرهم مما أدى إلى الاختلاف الذي تلوح منه آثار النحل, وكأنه يشير بذلك إلى أن بعض المنحولات هي من باب اختلاف المناهج لا غير , مع العلم أنه يؤكد وجود المنحولات في الشعر الجاهلي, لكنه يراها قليلة مقارنة بمعظم الشعر الجاهلي الصحيح, ويطمئن إلى أن الرواية الشفهية للشعر الجاهلي وتدوينه سارا معا جنبا إلى جنبا في حلقة متصلة من الجاهلية – أو على الأقل من صدر الإسلام – إلى القرن الثاني الهجري حاملين معا هذا التراث الشعري.

مقياسه لمعرفة صحيح الشعر الجاهلي من منحوله :

في نهاية بحثه, وصل المؤلف إلى وضع أصول مقياس لدراسة الشعر الجاهلي ومعرفة صحيحه من منحوله, وقد اعتمد فيه على آراء القدماء, يتمثل في ما يأتي:

- التسليم بصحة ما اتفق عليه العلماء الرواة جميعهم البصريون والكوفيون على السواء, واتخاذ هذا القدر المشترك المتفق عليه أصلا لديوان الشاعر.

[1] ناصر الدين الأسد, صحة الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية, ص450
[2] نفسه, ص462

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

- الدراسة الفنية الداخلية لهذا الأصل, بحيث نستشف منـــها روح الـــشاعر, وطابعـــه وخصائصه الفنية واللغوية.
- بعد إقامة هذا المقياس الداخلي, نحتكم إليه في صحة الشعر الباقي الذي انفرد بروايته أحد الرواة الأثبات, ثم الذي انفرد بروايته راوٍ آخر, ثم ما رواه غيرهما, فما اســـتقام منها مع مقياسنا رجحنا صحته, وما لم يستقم نفيناه وطرحناه[1].

لقد بذل المؤلف جهدا كبيرا في حشد المواد الإخبارية والروائية والشعرية والعلمية الدقيقة, ولم يكن له فضل الجمع فحسب, فقد بوبها في أبواب تتعالق من بداية البحث إلى نهايته وفق خطة دقيقة تفضي في النهاية إلى فكرته التي يريد الوصول إليها, وهي فرض كتابـــة الـــشعر الجاهلي, وتوثيق رواته ليبلغ بذلك غايته المتمثلة في إثبات أن الشعر الجاهلي وصلنا عبر قناتين تعضد إحداهما الأخرى, هما: الرواية الشفهية والتدوين, ودافعه إلى ذلك هو رفع شبهة النحل والوضع عنه, ونفي الشكوك التي تحاول إزاحة هذا التراث الشعري من عـــصره, وانتزاعـــه قسرا, ولكن البحوث تكون في بعض الأحيان محل نقص, فتنطوي على بعض الهنات, فناصر الدين الأسد رغم تحديد منهج دراسته بأنه لا يميل مع هوى, ولا يتعصب لرأي, ولا يعتسف الطريق, فإنه قد انطلق مثل غيره من الدارسين المحدثين الذين وقف عندهم ممن درسوا صـــحة الشعر الجاهلي من المنطلق نفسه, الذي يجزم الاعتقاد بفكرة مسبقة, يجمع لها كمّا هائلا مـــن النصوص والروايات والأخبار لتأييدها وفرضها, ويبني من الأخبار المفردة قواعـــد عامـــة لا تحتملها الأخبار نفسها, ولا تبررها طبيعة الحياة القديمة[2].

وقد تجلى تعسفه واعتماده على الأخبار المفردة التي لا تستقيم أمام البحث العلمـــي في أمرين هما: فرض تدوين الشعر الجاهلي, وتوثيق رواته وتضعيفهم, وهمـــا البابـــان اللـــذان أوجزناهما, وقد استثنينا الأخبار والروايات المتعلقة بهما, لأن البحث يضيق بذلك, ففي باب الكتابة والتدوين حشد جملة من الأخبار والروايات التي تؤكد وجود مدونات شعرية ونثريـــة تعود إلى العصر الجاهلي نفسه, فقد اعتمد في إثبات صحة ما يذهب إليه على إشارات متناثرة في الشعر عن الكتابة والكتاب, وعلى أخبار أخرى منسوبة إلى حماد الرواية, تدل على أنـــه كانت لديه مدونات للشعر الجاهلي من تلك التي كانت محفوظة في قصر النعمان بن المنـــذر,

[1] ناصر الدين الأسد, صحة الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية, ص 634
[2] إبراهيم عبد الرحمن محمد , الشعر الجاهلي, قضاياه الفنية والموضوعية, ص 144

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

كما اعتمد على فكرة كتابة المعلقات وتعليقها في الكعبة, لقد حاول المؤلف أن يجعل من التدوين ظاهرة حضارية سادت الجاهلية نفسها, وكأن الجاهليين كانوا لا يجدون مشقة في الحصول على الورق والحبر والأقلام, فهي في متناولهم أينما حلوا, وهم بدورهم كتبة توارثوا فن الخط أبا عن جد, بل لقد قامت في بيئتهم مدارس لتعليم الخط العربي وغير العربي وشهدت الترجمة تطورا ملحوظا, إن هذا التعسف في إيراد الأخبار المفردة وتوجيهها قسرا إلى خدمة فكرة مسبقة لا يصمد أمام النقد العلمي الموثق, فالفرق واضح بين معرفة عرب الجاهلية بالقراءة والكتابة معرفة محدودة لا تتجاوز ضرورات الحياة, وبين استخدامها في تدوين الأخبار والأشعار والأمثال والحكم وغيرها, استخداما واسعا حتى تصبح المدونات تملأ البيوت والأسواق والمكتبات, وفي متناول الناس كلهم غنيهم وفقيرهم.

إن المتفحص لكتب التراث لا يصادف حديثا للرواة بإجماع منهم بأنه كانت بين أيدي المسلمين مدونات جاهلية من الشعر الجاهلي أو النثر في القرنين الأول والثاني الهجريين, وإن الأخبار القليلة التي تذكر ((مجلة لقمان)) و((كتابة المعلقات وتعليقها)) و((مدونات النعمان)) التي أحرزها حماد الراوية لا تقنع الدارس في هذا الجانب من تاريخ الرواية الجاهلية[1], وقد مر بنا في الفصل الأول من بحثنا هذا حين الحديث عن رواية الشعر الجاهلي وتدوينه آراء تنفي كتابة الشعر الجاهلي وتدوينه, بل وتنفي اعتبار الكتابة ظاهرة حضارية شملت جميع شؤون حياة العرب في جاهليتهم, فشوقي ضيف لا يجد بين يديه أي دليل مادي على أن الجاهليين حفظوا أشعارهم كتابة ودونوها لتنتقل إلى الأجيال اللاحقة, وذلك بسبب صعوبة وسائل الكتابة, كما يرى أن كتابة المعلقات وتعليقها هو من باب الأساطير, وكذلك الحال بالنسبة لما يروى عن حماد الرواية فيما يتعلق بدفن أشعار العرب المنسوخة في قصر النعمان بن المنذر, فالقرآن على قداسته لم يجمع في مصحف واحد إلا بعد وفاة الرسول –صلى الله عليه وسلم– أما الحديث فقد بقي معتمدا على الرواية الشفوية على امتداد مئة عام بعد الهجرة النبوية[2].

أما في باب توثيق الرواة وتضعيفهم , فإن إجماع العلماء الرواة على اتهام حماد يدحض الأسباب التي نص عليها ناصر الدين الأسد, والتي استقاها من تفحص رواياته وأخباره التي تتهمه بالوضع والتزيد, فابن سلام الجمحي والمفضل الضبي الكوفي وأبو عبيدة ويونس بن

[1] إبراهيم عبد الرحمن محمد , الشعر الجاهلي, قضاياه الفنية والموضوعية , ص 145
[2] شوقي ضيف, تاريخ الأدب العربي, العصر الجاهلي, ص 140, 141, 142

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

حبيب, هؤلاء العلماء يجمعون على أن حمادا كان غير موثوق به, ينحل الأشعار ويزيد فيها, ورغم ما ذكرنا, فإن الكتاب يظل جهدا علميا موثقا حاول فيه صاحبه الرد على المغالين في اتهام الشعر الجاهلي ورواته, وهو رد معتدل مهذب سلك سبيل الطرح العلمي المنهج.

محمود محمد شاكر: منهج دراسة الشعر العربي مع نموذج تطبيقي

رسم لنا محمود محمّد شاكر حدودَ منهجه في دراسة الشعر والأدب, وكان قد تبناه في جميع مؤلفاته فلا تفوته الإشارة إليه في كل ما كتب, وهو منهج يقوم على الموسوعية والدراسة العميقة لتراثنا كله, وعلى التذوق الفني الرفيع للنصوص, وفي كتابه ((نمط صعب ونمط مخيف)) قام بتخليص نسبة قصيدة ((إن بالشعب الذي دونَ سَلْعٍ)) إلى واحدٍ من الذين نسبها إليهم القُدامى.

– ***منهجه العام في البحث:*** وينقسم إلى شطرين:

– **شطر تناول المادّة:** يتطلّب جمعها من مظانّها, ثم تصنيف هذا المجموع ثم تمحيص مفرداته بتحليل أجزائها, وذلك لفرز الصّحيح من الزّائف, دون الرّكون إلى الغفلة والهوى والتسرّع.

– **شطر التطبيق:** يتطلب ترتيب المادة المجموعَة بعد نفي زيفهاحتى لا تتشوّه صورة البحث[1].

وشَطْرَا المنهج يقومان أساسًا على تناول الثقافة المتكاملة المتحدّرة إلى الباحث في تيار القرون المتطاولة, والأجيال المتعاقبة, ووعاء ذلك كلّه اللّغة واللّسان, إنّ المتصدّي لدراسة الشعر والأدب يجب عليه أن يكون مُلمًّا إلمامًا واسعًا بكل العلوم و المعارف, مِمّا صدر عن الإنسان إبانَةً عن نفسه وعن جماعته[2].

إن شطري المنهج ((المادّة والتطبيق)), مكتملان منذ أوليّة الأمة العربية المسلمة, وقد ازدادا توسُّعًا على مَرّ تعاقُبِ السّنين, لقد اسْتَشَفَّهُمَا شاكر في صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلّم–, وفي العلماء التّابعين, وجلّة الفقهاء و المحدّثين من بعدهم, وفي علماء اللغة والأدب بعد ذالك وصولاالى القرن 11هـ , إنه نهجٌ مستقيم سلكه الأوائلُ تِبَاعًا لم يحيدوا عنه في علومهم كلّها[3].

1 - محمود محمد شاكر , المتنبيّ , رسالة في الطريق إلى ثقافتنا , مطبعة المدني بمصر , ط 1987 , ص 22.
2 - نفسه , ص 23.
3 - نفسه , ص 24.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

لقد اشترط المؤلف في منهجه ضرورة الإحاطة بأسْرَارِاللغة ووجود الوشائج الروحية بين لغة الأمّة وثقافتها وبين الباحث, وهذا الأمر لا يتوفّر للأعجميّ مهما كانت درجة علمه بلغة العرب وثقافتهم, كما يرى أنّ المنهج بشطريه لا يستقيم إلا بتوفّر شرط الدّين و الأخلاق والابتعاد عن الأهواء[1].

مشكلة الشّعر الجاهلي روايته الشّفهيّة وتدوينه :

يرى شاكر أنّ أغلب العيوب وما اعترى الشّعر الجاهلي من فساد، كان بسبب روايته الشّفهيّة وتدوينه، فاعتماده على الرواية المتسلسلة إلى أن وصل إلى مرحلة التّدوين أمر عرّضه لكثير من العيوب على امتداد مائتين وثلاثين سنة أو تزيد، و لم تكن الرّواية الشّفهيّة في الجاهليّة حرفة، بل كانت قائمة على الفطرة والتذوق, وزاد الأمر عسرا تنقّل الشعر الجاهلي عبر أرض الجزيرة العربية الواسعة, هذا إضافة إلى اختلاف درجة الحفظ لدى الحفّاظ, وما يعرض لهم من نسيان ما حفظوا وانقطاع محفوظهم بموتهم, كلّ هذا كان موجودا في ظلّ غياب الكتابة[2].

فيما بعد لجأ الرواة العلماء إلى الرّواة الأعراب لجمع الأشعار من مواطنها الصافية, فكانوا يجمعون القصائد الجاهلية مختلفة في تمامها أو نقصانها, وفي بعض ألفاظها, وفي ترتيب أبياتها, وغيرها من التشوهات التي تلحق القصيدة بسبب الرواية الشفهية[3].

وقد أورد شاكر جملة من المؤثرات التي أثّرت في الشعر الجاهلي, وألحقت به الفساد, وعلّة ذلك روايته الشفهية, وهي: «قرب أو بعد الشاعر من زمان العلماء الروّاة, وَطول القصيدة أو قصرها, وشهرة الشاعر في قبيلته أو غير قبيلته, وذيوع بعض قصائد الشاعر دون بعض, ورواية شاعر من البادية لشاعر آخر من قومه أومن أخواله أو أعمامه غير رواية المتذوّق منهم و المتخيّر, واختلاف حال المنشد من رواة البادية بين الإقبال والإعراض, وفي وقت دون وقت له أثره أيضا فِيمَا يتلقّاه عنه الروّاة من العلماء»[4]. هذا إضافةً إلى ما يعرض للرواة العلماء من نسيان واختلاف أحوال عند الإملاء و غيرها من العوارض التي تشوه النص[5].

---

[1] محمود محمد شاكر , المتنبيّ , رسالة في الطريق إلى ثقافتنا , ص 25 وما بعدها
[2] محمود محمد شاكر, نمط صعب ونمط مخيف, مطبعة المدني, مصر, ط1, 1996, ص 38, 39

[3] نفسه, ص 39, 40
[4] نفسه, ص40
[5] نفسه, ص 40, 41

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وبحلول عصر التدوين الذي انحصر مابين أواخر القرن الأول للهجرة وأواخر القرن الثالث, شق الأمر على المتأخرين من طبقة العلماء والرواة, فقد اجتمع لهم قدر كبير من الشّعر فيه اختلاف روايات العلماء المتقدّمين وروايات تلاميذهم, مما صعّب عليهم مهمّة غربلة الشعر الجاهلي وتصفيته من الشوائب العالقة به. وقد جنى التدوين على الشعر الجاهلي جنايتين: الأولى بسبب النسّاخ القدامى الذين أسقطوا إسناد الرواية في دواوين الشعر, وبعض تعليقات العلماء القدامى, فجردوا الشعر منها, والثانية جاءت مع عهد المطابع ونشر الكتب, فدخل الفساد شعرنا الجاهلي أيضا بسبب جهل النسّاخ المحدثين ,هذا مع ضياع كثرته, وقد كان للمستشرقين فضل إماطة اللثام عن الكثير منه لوفرة الأصول عندهم[1].

مشكلة نسبة القصائد إلى أصحابها:

يرى شاكر أنّه لا يمكن الاستهانة بنسبة القصيدة إلى صاحبها, لأن ذلك يدخل الخلط والفساد في تمييز شاعر من شاعر, وفي الكشف عن خصائص بنية كلّ شاعر في شعره, كما يرى أنّ المشكل قائم أساسا في شعر الشعراء المقلّين ,وفي الشعراء أصحاب المفردات من القصائد, مثل «إنّ بالشّعب»[2].

تصنيف نصوص نسبة القصيدة:

صنف شاكر نصوص نسبة القصيدة إلى أقسام بناءً على نسبتها إلى شاعر معينّ, ثم قارن ووازن وجرح وعدّل بعد جهد كبير ليخلص إلى النتيجة, وقد رأى أنّ تخليص نسبة القصيدة إلى واحد من المختلف فيهم أمر عسير, والنصوص هي:

القسم الأول:

- من جرّد نسبة القصيدة إلى تأبّط شرّا: أبو تمام والجوهري.
- من ردّد في نسبتها إلى تأبط شرّا على وجه الإبهام : الجاحظ.
- من ردّد في نسبتها إلى تأبط شرّا أو إلى غيره, مصرّحا باسمه كالشنفرى والعدواني وخفاف بن نضله وخلف الأحمر: ابن دريد والبكري الأندلسي[3].

[1] محمود محمد شاكر, نمط صعب ونمط مخيف, من ص41, إلى ص 44
[2] نفسه, ص 44
[3] نفسه, ص47, 48, 49

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

القسم الثاني :

- من نسبها إلى ابن أخت تأبّط شرّا, بلا بيان عن اسمه: الجاحظ وابن عبد ربّه الأندلسي والبكريّ الأندلسي والتبريزي.
- من نسبها إلى ابن أخت تأبط شرّا, وزعم أنّه الهجّال بن امرئ القيس الباهليّ: ابن هشام.
- من نسبها إلى ابن أخت تأبط شرّا , وزعم أنّه خفاف بن نضله: البكري الأندلسي.
- من نسبها إلى ابن أخت تأبط شرّا , وزعم أنّه الشنفرى: ابن دريد وابن برّي والبغدادي[1]

القسم الثالث:

- من جرّد نسبتها إلى الشنفرى: أبو الفرج الأصفهاني.
- من ردّد في نسبتها إلى الشنفرى أو إلى غيره : ابن دريد و البكري[2]

القسم الرابع:

- من نسبها إلى العدواني : ابن دريد.

القسم الخامس:

- من نسبها إلى خلف الأحمر وزعم أنّه نحلها ابن أخت تأبط شرّا : ابن قتيبة وابن عبد ربّه والقفطي والمرزوقي والتبريزي ودعْبل بن عليّ الخزاعي الشاعر.
- من ردّد في نسبها إلى خلف الأحمر : ابن دريد وابن عبد ربّه والبكري[3]

استخلص شاكر من النصوص المذكورة نسبتين للقصيدة: جاهلية خالصة وأخرى تجعلها إسلامية خالصة, وليصل إلى مبتغاه , قام بفحص نصوص النسبة وتحليلها وبيان مواطن الحق والباطل فيها, فرأى أنّ أقدم من نسبها إلى جاهليّ, هو ابن هشام في كتابه«التيجان» وقد نسبها إلى الهجّال بن امرئ القيس الباهلي, ابن أخت تأبّط شرّا, ويرى شاكر أنّ ابن هشام كان قليل العلم بالشعر, وكتابه فيه خلط كثير لم يؤيده الثقات, والشعر الذي أورده فاسد,

[1] محمود محمد شاكر, نمط صعب ونمط مخيف , 49, 50
[2] نفسه , ص50
[3] نفسه, ص 50, 51

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وأخباره لا يطمأن إليها, كما أنّ الهجال لم يرد ذكره في أيّ مرجع, وعلى هـــذا الأســـاس تسقط نسبة ابن هشام[1].

أمّا أبو تمام الذي نسبها في حماسته إلى تأبط شرّا الجاهلي, فقد كان همّه في كتابه اختيـــار جيّد الشعر لمعانيه وألفاظه, فهو في كتابيه «الحماسة و الوحشيات» لا يحفل بتحقيق النسبة, فنسبته مردودة كذلك[2].

ومن الذين تردّد في نسبتها إلى تأبط شرّا, الجاحظ, ولكنه أورد تردّده على وجه الإبهام, فلم يعين لنا شاعرا ينسبها إليه ,كما أنّه لم يعلل تردّده, وهذا الأمر يجعل نـــسبته ضـــعيفة لا تقبل, وكذلك الحال بالنسبة لأبي الفرج الأصفهاني والبكري وابن دريد الذين نسبوا القصيدة إلى تأبّط شرّا بين التردّد وعدمه, فيرى شاكر أنّ نسبتهم مردودة كذلك ,لأنه لا يوجـــد في شعر الشنفرى وأخباره على قلتها ما يفصح عن نسبتها إليه[3].

أمّا من نسبها إلى الشنفرى ,وجعله ابن أخت تأبط شرّا , فهذا باطل, لأنّ صحيح شعر الشنفرى دالّ على أنّ الشنفرى مات قبله, وأنّه رثاه بقصيدة رواها أبو تمام وأبو الفرج, هذا مع عدم وجود أيّ خبر يفيد بأنّ الشنفرى كان ابن أخت تأبّط شرّا[4].

أمّا من نسبها إلى مجهول هو: ابن أخت تأبط شرّا يرثي خاله, هو ابن عبد ربه الأندلسي, والبكري الأندلسي الذي سمّى ابن أخت تأبط شرا, وهو خفاف بن نضله, وقد انفرد بهذه التسمية, وكلاهما يطابق مضمون القصيدة في دلالتها على أنها لشاعر يرثي خاله, ولم يجـــد شاكر اسم خفاف هذا, ولكنه يرى أنّ البكريّ على تأخر زمانه, كان جيد التحريّ شديد الاستقصاء[5].

وقد رجّح شاكر أن يكون العدواني الذي نسب إليه ابن دريد القصيدة أن يكـــون ابـــن أخت تأبّط شرّا من فهم, وفهم وعدوان أخوان, وديارهما واحدة, فليس مـــن المـــستبعد أنْ يكون العدواني هو خفاف بن نضله الذي ذكره البكريّ, كما رجح شاكر أن تكون القصيدة لابن أخت تأبّط شرّا, سمي أم لم يسم, وفوق هذا فالقصيدة جاهلية خالصة[6].

---

[1] محمود محمد شاكر, نمط صعب ونمط مخيف , ص 53, 54
[2] نفسه, ص 54, 55
[3] نفسه, ص55, 56
[4] نفسه, ص 56
[5] نفسه, ص 57, 58
[6] نفسه, ص 58

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وقد انفرد ابن قتيبة بنسبة القصيدة إلى خلف الأحمر, وانفراد يوجب الحذر, كما أنّ خلفا كان عند جماعة العلماء صدوقا, ويكفيه توثيقا ما قاله فيه الأصمعي وابن سلام, فانفراد خلف برواية هذه القصيدة غير مضرّ ولا يقدح في روايته[1]. وقد لاحظ شاكر أنّ نسبة القصيدة إلى خلف مصدرها دعبل بن عليّ الخزاعي الشاعر, في «كتاب الشعراء» وقد نقل عنه ابن المعتز ذلك في كتابه «طبقات الشعراء» , في ترجمة خلف : «قال دعبل:قال لي خلف الأحمر وقد تجارينا في شعر تأبط شرّا: إنّ بالشعب الذي دون سلع, أنا والله قلتها و لم يقلها تأبط شرّا», فهذه النسبة لن تقبل, لأن دعبلا مجروح عند العلماء, وقد تحرجوا في قبول روايته, يقول أبو الفرج الأصفهاني في ترجمة دعبل: «شاعر متقدم مطبوع, هجاء خبيث اللسان, لم يسلم عليه أحد من الخلفاء, ولا من وزرائهم, ولا أولادهم, ولا ذو نباهة أحسن إليه أم لم يحسن, و لم يفلت منه كبير أحد»[2], فهذا ما كان يدعو إلى الخوف والحذر من قبول روايته, أمّا ما يقطع بفساد روايته ما رواه الصّولي في كتاب «أخبا رأبي تمام», من أن دعبلا كان يكذب على أبي تمام, ويضع عليه الأخبار, وأنه لم يكن يضارعه في الشعر[3].

من خلال تتبع نصوص النسبة , اتضح لشاكر أنّ القصيدة جاهلية خالصة, فالنصوص التي اعتبرها إسلامية لا تقبل, كما أنّ صاحبها هو ابن أخت تأبط شرّا عرف اسمه أم لم يعرف.

منهج شاكر في تخليص نسبة الشعر:

كان قد مر بنا قبل قليل بيان منهجه العام في دراسة الشعر والأدب , وقد خص تخليص نسبة النصوص إلى أصحابها بمنهج هو فرع عن منهجه العام, يقوم على ما يأتي:

- فض الخلاف في نسبة القصيدة بالاعتماد على الرواية والإسناد.
- دراسة دلالات القصيدة بالاعتماد على قصائد أخرى مع التركيز عليها.
- تخليص الشعر الجاهلي من الشوائب وذلك باستنباط علل وضع الروّاة على الأخبار والمقارنة بينها.

ولابدّ للباحث بناء على أسس هذا المنهج ألا يدع التحرّي في أربعة أمور, هي:

[1] محمود محمد شاكر, نمط صعب ونمط مخيف , ص 59, 60
[2] أبو الفرج, كتاب الأغاني, ج20, ص 68
[3] محمود محمد شاكر, نمط صعب, ص 70

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

★- استقصاء المصادر التي روت القصيدة تامّة, أو روت قدرا منها صالحا على وجه الاختيار أو الاستشهاد مع التزام الترتيب التاريخي لهذه المصادر, والترتيب التاريخي لما أسندت إليه الرواية فيها.

★- اختلاف عدد أبياتها في كلّ رواية.

★-اختلاف ترتيب أبياتها في رواية الرّواة عن شيخ واحد من شيوخ الرواية, ثم اختلاف هذا الترتيب إنْ كان في رواية غيره من الشيوخ.

★- استقصاء كل اختلاف يقع في بعض ألفاظ الأبيات في هذه المصادر, ثم في سائر مصادر اللغة والأدب والنحو والتاريخ وغيرها حيث يستشهد بالبيت والبيتين والثلاثة من القصيدة لغرض غير غرض رواية الشعر , فإن أكثر هذه المصادر إنما نقل عن روايات لم تنته إلينا, وعن كتب ضاعت أو خفي مكانها, وإغفال ذلك قادح في صدق التحرّي[1].

لقد سلك شاكر في دراسة هذه القصيدة وتخليص نسبتها مسلك القدامى, فكان متأثرا بمنهج علماء الحديث, وبصنيع ابن سلام في طبقاته, وانتهى إلى أنّ العمل في شعر الجاهلية فيما يتعلق بصحته قد تم, وأن العلماء القدامى قد اتفقوا على مجموعه واختلفوا في المنقول لا في الناقل, لأن الشك في النقلة غير منتج, أما النظر في أمر الشعر فهو المنتج, لأن العلماء القدامى لم ينظروا إلى حال الرواة. بل نظروا إلى الشعر نفسه, فكانوا قادرين على أن يجدوا في الشعر الدليل الذي يقطع بأنه موضوع من طرف الرواة, وأنه شعر مولد في الإسلام[2].

ويختم شاكر حديثه في مسألة صحة الشعر الجاهلي, بأن ما وصلنا من الشعر المصنوع المفتعل الموضوع قليل, لأن العلماء القدامى بالشعر غربلوا أغلبه, فما بقي لنا هو أن نهتدي إلى ما كان معروفا عندهم بالتذوق والخبرة والدراسة, ونؤسس على ذلك منهجا سليما يعين على تذوق الشعرين الجاهلي و الإسلامي على السواء وفهمهما فهما عميقا[3].

إذا قارنا آراء العرب المحدثين في القضية نجدها متباينة, فالرافعي سلك فيها مسلك القدامى واكتفى بسرد آرائهم دون تدخل منه, أما طه حسين فقد خرج عن جادة الصواب بنفي معظم الشعر الجاهلي والإبقاء على القليل منه والذي لم يسلم من الشك في صحته, لقد سار في دراسته على هدي المستشرقين, وخاصة مقالة مرجو ليوث التي تشبه إلى حدّ كبير كتابه,

[1] محمود محمد شاكر, نمط صعب ونمط مخيف, ص 121 وما بعدها
[2] نفسه, ص 358 وما بعدها
[3] نفسه, ص 367

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فالفرق بينهما أنّ مرجو ليوث نفى الشعر الجاهلي كله, أما طه حسين فقد أبقى على الـــترر القليل منه, وحين تتبعنا آراء ناصر الدين الأسد, وجدنا أنه حاول توثيق الشعر الجاهلي كله, فلا وجود للمنحولات إلا القليل منها, فهو في أغلبه صحيح النسبة إلى أصحابه, وكان سنده في ذلك توثيق أغلب رواته, وشق طريق أخرى عبر من خلالها إلينا, هي طريـــق التـــدوين, فحاول بذلك أن يثبت أنّ الشعر الجاهلي قد وصل إلينا سليما لا تشوبه أيّ شائبة عبر قناتين هما: الرواية الشفهية المتصلة في سلسلة محكمة من الجاهلية نفـــسها, والتـــدوين الـــذي آزر المشافهة وساندها, وبالتالي فهو يطمئن إلى صحته في مجمله وإلى ثقة رواته. أمّا شاكر فقـــد اختط لنفسه منهجا تراثيا يخالف منهج المحدثين, وقد قام بتطبيقه علـــى قـــصيدة مختلـــف في نسبتها, فخلص نسبتها بناء على هذا المنهج المتحدّر إليه من الأوائل, كما اتضح له أنّ مشكلة صّحة الشعر الجاهلي قد فرغ منها علماؤنا القدامى, و لم يبقوا في ديوان العرب على ما يحتاج إلى الغربلة والتمحيص, فإحياء القضية – في نظره – نفخ للروح في جسد شبع موتا منذ زمن طويل, فمن اللّجاجة أن نكرر كلام السابقين ونوسع فيه القول, ونثير الجدل والمناقشة في أمر نفضت منه الأيدي, وفرغ منه أهله الذين هم أقرب منه وأدرى به, فالمستشرقون والعـــرب المحدثون على السواء, ممن أحدث ضجة حول المسألة, كانوا قد أسالوا الحبر وسوّدوا قـــدرا عظيما من الورق في أمر دارس.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

تأثير المستشرقين في الدارسين العرب المحدثين :

بحكم السبق الزمني للدراسات الاستشراقية حول مسالة صحة الشعر الجاهلي, فقد كان لها أثرها على آراء بعض العرب المحدثين في المسألة, وقد أجمعت أغلب الدراسات على أن طه حسين في كتابه "في الأدب الجاهلي" كان قد استقى معظم آرائه من العرب القدامى, وسلك بها سبيل مرجليوث في الاستنباط والاستنتاج والتوسع في دلالات الروايات والأخبار, كما بدت المشابهة بين كتابه ومقال المستشرق في تعميم الأحكام الفردية الخاصة واتخاذها قواعد عامة, وقد خلص الدارسان معا إلى نتيجة متقاربة تختلف اختلافا جزئيا في نسبة الشك في صحة الشعر الجاهلي, فطه حسين أبقى على جزء يسير منه, أما مرجليوث فقد نفاه جملة وأخرجه من عصره الذي ينتمي إليه, فالشعر الجاهلي كله –في نظره- نُحل بعد الإسلام[1].

وهناك من عدّ كتاب طه حسين صياغة جديدة لآراء مرجليوث الذي اكتفى حين إيرادها بمقالة, فجاء طه حسين لينسج على منواله, ويهتدي بهديه, فيؤلف كتابا كاملا وسع فيه دائرة شكه وأقام الحجج والبراهين التي تقضي بنفي معظم الشعر الجاهلي, والمطلع على كتاب طه حسين ومقال مرجليوث, يتضح له الاتفاق الكبير بينهما في كثير من الآراء, وخاصة فيما يتعلق بدوافع الشك, وعوامل وضع الشعر, وإذا كان بعض الدارسين ينفون وجود المشابهة بينهما, ويرون أن طه حسين لم يطلع على بحث مرجليوث, فهل تعود المسألة إلى توارد الخواطر أم إلى وحدة المصادر بينهما؟ والثابت أن طه حسين ومرجليوث استضاءا معا في صياغة آرائهما بآراء العرب القدامى وبما جاء في الدراسات الاستشراقية المبكرة التي سبقت مقالة مرجليوث, والمتمثلة في دراسة تيودور نيلدكه وفلهلم ألفرت, كما أن هذه الدراسات الاستشراقية المبكرة كانت قد بنت أغلب آرائها على ما تركه العرب القدامى[2].

إن أغلب الباحثين يرون أن طه حسين قد تأثر بمرجليوث, وأنه لم يكن في كتابه أي فضل يذكر سوى التعميم وتوسيع الكلام, وأما القلة من الدارسين, فتذهب إلى أنه لم يطلع على ما كتبه مرجليوث, وحجتهم في ذلك أن المدة الزمنية الفاصلة بين الدراستين, وهي بعض عام, لا تسمح بإجراء كتاب على هذا النحو من العمق والاتساع, لكن الراجح أنه تأثر بهذا المستشرق, فليس من المستبعد أن يتابع طه حسين ما يكتبه أعلام المستشرقين عن الأدب

[1] ناصر الدين الأسد, مصادر الشعر الجاهلي, ص 381
[2] عثمان موافي, دراسات في النقد العربي, ص 82

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

العربي, فقد كان يقضي عطلة الصيف من كل عام في فرنسا, وكانت رحلته رحلة اطـــلاع, بقدر ما كانت رحلة راحة واستجمام, مما أتاح له فرصة الاطلاع على مستجدات الدراسات الاستشراقية حول الأدب العربي والثقافة العربية[1].

وعند البحث عن أوجه الشبه بين مقال مرجليوث وكتاب طه حسين, فإننا نجدها تتمثـــل فيما يلي:

- عدم وجود الشعر الجاهلي في نقوش الجنوبيين
- سبب تحريف وتزييف ونحل الشعر الجاهلي هو الرواية الشفهية بالدرجة الأولى
- الشعر الجاهلي لا يعكس التباين اللغوي بين عرب الشمال وعرب الجنوب, كمـــا لا يعكس التباين اللهجي بين قبائل الشمال, فالشعر الجاهلي جاء بلغة واحدة هي لهجة قريش الفصحى, وهذه اللهجة مطابقة تماما للغة القرآن الكريم, وبناء على هذا, فـــإن قصائد الشعر التي تنسب إلى الجاهلية قد تكون ألفت بعد نزول القرآن
- عدم وجود الإشارة إلى الديانة الوثنية في القصائد الجاهلية, وهذا ما يبرر انتحالهـــا في الإسلام
- الاتهامات الواسعة التي كانت تكال للرواة, مثل حماد وخلف الأحمر وغيرهما, تـــدل على نحل الشعر الجاهلي
- الصراع بين القبائل العربية حملها على التزيد في الأشعار للتفاخر
- القصاص ورواة الأخبار التاريخية زودوا نصوص رواياتهم وأخبارهم بأشعار منحولـــة كثيرة, وذلك لغرض تحليتها وتزيينها للسامعين

ويرى البعض أن المشابهة بين ما كتبه طه حسين وبـــين مقـــال مرجليـــوث ودراســـات المستشرقين الذين سبقوه تتمثل كذلك في ممارسته النقدية البعيدة عـــن الـــتحفظ في تنـــاول الموضوعات ومناقشتها, وهو أمر لم يكن مألوفا في مناهج دراستنا آنذاك, وقد كان هدفه من كسر حاجز التحفظ تجديد الفكر والنقد, وذلك عن طريق اتباع مسلك الغـــربيين وطرائـــق بحثهم, وقد أعلن ذلك صراحة حين بيان منهج تأليف كتابه بأنه تبنى منهج الشك[2].

[1] عبد العزيز نبوي, دراسات في الأدب الجاهلي, ص 83
[2] عبد اللطيف شرارة, معارك أدبية قديمة ومعاصرة, دار العلم للملايين, لبنان, ط1, 1984, ص 250

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

إن تبنيه لهذا المنهج يقطع بتزوعه إلى الغرب, هذا التزوع الذي فرض عليه التجرد من كل شيء كان يعلمه من قبل, وأن يستقبل موضوع بحثه خالي الذهن مما قيل خلوا تاما, لقد كان يحاول مصانعة مفكري العصر الحديث في الغرب فيما اتبعوه من منهج فلسفي قائم على مبدأ الشك الديكارتي للبحث عن حقائق الأشياء, وقد كانت محاولته جريئة في كتابه "في الأدب الجاهلي" الذي نظر من خلاله إلى تراث أمتنا نظرة تجريدية تفضي إلى الشك في وجود الشعر الجاهلي وشعرائه[1].

لقد رأى بعضهم أن شك طه حسين يعتبر مظهرا من مظاهر الثورة الفكرية, وأنه لم يكن ظاهرة جديدة مؤسسة على آراء المستشرقين وفلاسفة الغرب, فلم يتعلم الشك من ديكارت ومرجليوث, وإن كان قد درس فلسفة ديكارت في السوربون, لقد ترسخت في ذهنه نظرية الشك حينما درس أبا العلاء المعري, فشكُّه شكٌّ علائي اعتنقه منذ سنة 1914, فقد رفض كمعلمه أبي العلاء المسلّمات النقلية التي لا تؤيدها الأدلة العقلية, وهذا ما انبنى عليه منطق أرسطو, وما ذهب إليه الفيلسوف الإنجليزي فرنسيس بيكون, كما انطلق منه أبو حامد الغزالي في بحثه عن اليقين, وعلى هذا الأساس يتبين لنا أن شكّ طه حسين لم يكن منبثقا من الدراسات الغربية وحدها, بل أُسّس في بدايته على شكّ العرب القدامى[2].

لقد كانت بعض كتابات طه حسين, وخاصة "في الأدب الجاهلي" و"مستقبل الثقافة في مصر" بمثابة قنوات لعبور أفكار الغرب إلى الشرق, لا سيما فيما يتعلق بالأدب العربي والثقافة العربية على وجه الخصوص, كما أن علاقته بفكر الاستشراق كانت قد بدات في وقت مبكر من حياته, فحينما كان طالبا في الجامعة, فإن تلك الأفكار الأولى التي تلقاها من "كارلو نلينو" و"لويس ماسينيون", وضعت الأسس التي بنى عليها توجهاته إلى التراث العربي, والتي عمقتها إلى حد التبني لها مقالة مرجليوث, لقد كانت أفكاره إسقاطا غربيا على ثقافة الشرق[3].

[1] ماجد السامرئي, الثقافة والحرية, قراءة في فكر طه حسين, دار الأهالي للنشر والتوزيع, دمشق, ط1, 1996, ص 128
[2] حسين جمعة, طه حسين القامة والظل, ص 157, 158

[3] ماجد السامرائي, الثقافة والحرية, قراءة في فكر طه حسين, ص 133

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ومن الأمور المسلم بها, أن طه حسين اطلع على دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي, كما اطلع على دراسات أروبية تشكك في الوجود التاريخي للشاعر الإغريقي "هوميروس", فأغراه ذلك بالتوسع في القول حين شكّ في وجود معظم الشعر الجاهلي[1].

و لم تخل دراسات نقاد طه حسين من الوقوف إلى جانبه, فعبد الرحمن بدوي عندما ترجم مقالات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي, برّأه من تهمة اعتماده في كتابه على آراء مرجليوث وغيره من المستشرقين, ويرى أنه تأثر في شكه بعلماء الأدب ونقاده العرب القدامى, وفي مقدمتهم ابن سلام الجمحي, فهؤلاء العلماء كانوا قد وضعوا قواعد للنقد السليم للشعر العربي قبل زمن طويل من ظهور مرجليوث أو غيره, وقد أورد بدوي جملة من النصوص المذكورة في كتاب الطبقات لابن سلام والمتعلقة بقضية صحة الشعر الجاهلي, ليبين لنا أن طه حسين كان تراثي المنهج[2]. أما المشابهة الحاصلة بينه وبين مرجليوث, فقد تكون من باب استقاء كليهما من المصادر العربية القديمة, والفرق بينهما أن مرجليوث لم يشر تماما إلى اعتماده في مقالته على ابن سلام, أما طه حسين فقد أشار إلى ذلك في عدة مواضع من كتابه, وقد قام إبراهيم عبد الرحمن رئيس قسم اللغة العربية الأسبق بجامعة عين شمس بترجمة مقالة مرجليوث في براءة طه حسين, ونفي الاعتماد عليه في كتابه, وقد نشرت هذه المقالة بتاريخ أكتوبر 1927 تحت عنوان "تعليقات الكتب", وقد أكد فيها مرجليوث براءة طه حسين, حيث رأى أن كلا منهما بحث على حدة, كما اعترف بأن طه حسين كان أكثر تفوقا منه فيما ذهب إليه[3].

خلص مرجليوث في مقالة التبرئة إلى أنه من الحقائق الثابتة أن العملين كليهما قد نشرا في وقت واحد تقريبا, وأنهما توصلا إلى آراء مستقلة تماما عن بعضها, فمرجليوث أنكر أن يكون الجاهليون قد عرفوا نظم الشعر, وأن ما وصل إلينا منه من صنع شعراء المسلمين الذين احتذوا فيها لغة القرآن, في حين ذهب طه حسين إلى الثقة في وجود الشعر الجاهلي, ولكنه شكّ في صحة الكثير من نصوصه التي كانت عرضة للتحريف والوضع بسبب الرواة, كما

[1] طه حسين, في الشعر الجاهلي, الكتاب والقضية, تق: عبد المنعم تليمة, دار رؤية للنشر والتوزيع, مصر, ط1, 2007, ص 21, 22
[2] دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي, ص 5 وما بعدها
[3] سامح كريّم, طه حسين, فكر متجدد, الدار المصرية اللبنانية, مصر, 2004, ص 131

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

رأى في استكشاف طه حسين للمقياس النقدي الذي يميز صحيح الشعر من منحوله جزءا بنّاء من كتابه[1].

ومهما برّاه مناصروه, فإن الراجح أنه استقى آراءه من مرجليوث وغيره من المستشرقين, والدليل على ذلك شهادة أحد طلابه, وهو محمود محمد شاكر الذي كان طالبا بكلية الآداب, وكان يستمع إلى محاضرات أستاذه طه حسين حول الشك في الشعر الجاهلي, فطالبه بالكف عن إلقاء هذه المحاضرات التي تقوض التراث, كما طالبه بالاعتراف بالسطو على مقالة مرجليوث, وقد كان هذا الصدام فاصلا بين شاكر والدراسة في الجامعة[2].

كانت المعركة النقدية بين طه حسين ومعاصريه بسبب كتابه "في الأدب الجاهلي" –في نظر البعض- من أخصب المعارك الأدبية في تاريخ الثقافة العربية, لأنها دفعت أقطاب الفكر واللغة والأدب والتاريخ إلى إعادة النظر في كل ما لديهم من مسلمات وحقائق, وقد أغنت إعادة النظر هذه البحث في اللغة والأدب وغيرهما, وأرست دعائم النقد الأدبي الحديث الذي انبنى على أساس التلاقح بين الفكرين العربي والأوربي في معظم الحقول, ومن أجلّ فوائد هذه المعركة رد الاعتبار للأدب الجاهلي, وذلك بتحقيق المجموعات الشعرية القديمة, وتحديد طبعها[3].

[1] سامح كريّم, طه حسين, فكر متجدد, ص 136
[2] نسيم مجلي, صدام الأصالة والمعاصرة بين محمودج شاكر ولويس عوض, مؤسسة الأهالي, مصر, 1998, ص 79 وما بعدها
[3] عبد اللطيف شرارة, معارك أدبية قديمة ومعاصرة, ص 259, 260

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

خـــــاتـــــمـــة

كان من نتائج عرض آراء الدارسين لمسألة صحة الشعر الجاهلي وفـــق التـــدرج التـــاريخي, والمقارنة بينها وتحليلها, ما يلي:

- اقتصرت إشارات العرب الأوائل مثل أبي عمرو الشيباني وأبي عمـــرو بـــن العـــلاء والأصمعي وأبي حاتم السجستاني, على بيان صحة بعض الأشعار, أو صحة نـــسبتها إلى قائليها, أو بيان ما في الرواية من زيادة أو نقص, وهي إشارات تدل على وعـــي بالمسألة, لكنها لم تأخذ طابع التوسع, كما لم تكن ذات أساس منهجي قائم على نقد السند والمتن معا.
- اتسمت محاولة ابن هشام في تهذيب سيرة ابن إسحاق بالتوسع, ولقلة بصره بالشعر, فإنه لم يتناول كل المنحولات الواردة في السيرة بالدراسة, لقد قام بعرض الأشعار على العلماء لتصحيحها, فلم يظهر له جهده الخاص به في القـــضية إذ وردت ملاحظاتـــه مقتضبة تخلو في عمومها من التعليل.
- ارتقى ابن سلام بالمسألة إلى التنظير المنهجي, فوصف وحلل وعلل, ونقد السند والمتن معا, كما تنبه إلى النقد الفني الذي يخدم تخليص نسبة الأشعار إلى أصـــحابها, لقـــد كانت آراؤه نتاج عقل تركيبي يتلقف المرويات السابقة, ويخضعها للفحص مما يـــدل على خبرته الواسعة في الجمع والاختيار والانتقـــاد, وتمييـــز الأمـــور واســـتخلاص المتشابهات, وبهذا يعد أول من عرض القضية بشكل مفصل, اعتمد فيـــه الـــسند في الرواية الأدبية سيرا على منهج المحدثين.
- وضع الجاحظ جملة من الشروط للراوية أو الأديب, وأشار إلى أسباب النحل, وقـــد اقتفى أثر ابن سلام, لكنه لم يرق إلى مستواه في تفحص السند والمتن على الـــسواء, وربما يعزى ذلك إلى موسوعيته التي فرضت عليه اهتمامات كثيرة, ولكنه يبقى مؤهلا للقدرة على فرز الصحيح من المنحول بفضل امتلاكه الحس اللغوي والـــذوق الأدبي, واحتكامه للعقل الذي يأبى الأكاذيب والتلفيقات, هذا زيادة على خبرتـــه بـــأحوال العرب وأشعارهم وأخبارهم, لكن غلبة الجمع والاستطراد عليه جعلته لا يحفل كثيرا بنسبة النصوص إلى أصحابها.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

- لم يهتم ابن قتيبة كثيرا بالسند في مصنفه "الشعر والشعراء", فحين ترجمته للشعراء الجاهليين وذكر بعض أشعارهم, قلت ملاحظاته حول صحة الشعر الجاهلي.
- وضع أبو الفرج الإسناد في أغانيه وضعا منهجيا جديدا, فحوّله من عملية تاريخية إلى عملية نقدية تهدف إلى تصحيح النصوص وتصفيتها, وبصنيعه هذا, يعد من رواد المنهج التاريخي الذي تعضده الدراسة الفنية, لقد غدت الرواية الأدبية عنده تشبه إلى حد ما رواية الحديث الشريف, وهذا دال على مدى اهتمامه بصحة الشعر الجاهلي وأخباره.
- يبقى للعرب القدامى فضلهم الذي لا ينكر على من أتوا بعدهم في دراسة القضية, فلولا جهودهم في غربلة وتمحيص الكثير من الشعر الجاهلي, ما ظهرت دراسات المستشرقين والعرب المحدثين, كما أنهم فصلوا تقريبا في المسألة, فلم يبقوا إلا على القليل من المنحولات وذلك بحكم قرب عهدهم من الشعر الجاهلي, والصفاء اللغوي.
- كان الغالب على دراسات المستشرقين طابع الإحصاء والتقدير الكمي والركون إلى الأمور التقنية, أما ما يتعلق بالناحية الفنية في الشعر, وما يخص أسرار العربية فكانوا بعيدين عنه كل البعد, لانقطاع الوشائج الروحية بينهم وبين لغتنا وشعرنا وثقافتنا عموما, كما أنهم وجهوا دراساتهم للتراث العربي بناء على أفكار مسبقة حددوها, وهي لا تخلو من التعصب والهوى مما جعلهم يحيدون عن تناول القضايا تناولا علميا, فنيلدكه عمم شكه في صحة الشعر الجاهلي وإن كان صادقا في إقراره بالعجز أمام لغة النص الجاهلي, ومرجليوث تعصب ضد العرب والإسلام, فنفى الشعر الجاهلي كله وأخرجه من عصره, لقد أعلن عن سوء دراسته, ففتح على نفسه باب الانتقادات العربية والغربية على السواء, أما بروينلش فقد بدا أكثر موضوعية في موقفه من الشعر والقرآن والعربية, وذلك حين قوض أركان بناء مرجليوث, وفي الأخير عرض فاجنر آراء سابقيه بإيجاز وقد شفعها ببعض ردوده الخاصة التي لم تختلف في بعض الأحيان عن ردود بروينلش.
- كانت آراء العرب المحدثين متباينة لتباين المشارب والثقافات, فالرافعي جارى القدامى و لم يخرج عما أوردوه, فكان منه أن عرض آراءهم دون تدخل منه, فهو امتداد

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

- للأوائل متشبع بروح التراث, غيور عليه, لا يركن إلى ما استجد في المناهج, أما طه حسين فقد سار على هدي مرجليوث وبالغ في الأمر, فنفى معظم الشعر الجاهلي وأبقى على القليل منه الذي يجب إخضاعه للدراسة والفحص حسب نظره, وقد لاحظنا اعتماده على آراء القدامى وآراء المستشرقين ليبني فرضيته التي وسع فيها القول وفصلها تفصيلا مدرسيا, وكأنها اكتشاف جديد لا سابق له. وحينما وصل الأمر إلى ناصر الدين الأسد وجدناه يعتبر الشعر الجاهلي صحيحا في مجمله, وليثبت ذلك تعسف في طرحه المتعلق بتدوين الشعر الجاهلي, فقد حشد كما هائلا من الروايات والأخبار والنصوص الشعرية, ووجهها إلى خدمة هدفه المنشود والمتمثل في أن الشعر الجاهلي قد دُوّن زمن الجاهلية نفسها, لكن الثابت أن الكتابة في الجاهلية لم ترق إلى مستوى الظاهرة الحضارية التي عمت شبه الجزيرة العربية وبمقتضاها فإن الجاهليين دوّنوا كل أشعارهم.
- إن خير من اهتدى لدراسة صحة الشعر الجاهلي من العرب المحدثين —في رأينا– هو محمود محمد شاكر الذي ضبط معايير منهجه النقدي التوثيقي القائم على الموسوعية والإلمام الشامل بالتراث العربي وعلى فقه العربية والشعر, هذا المنهج المتحدر إليه من الأوائل قوامه الدين والأخلاق والابتعاد عن الأهواء حتى لا تشوب البحث شوائب, إننا نراه امتدادا لابن سلام ومن أتوا بعده, كما أنه رأى أن القضية قد فرغ منها القدامى, فالضجة التي أثارها المستشرقون وبعض الدارسين المحدثين لا جدوى من ورائها في نظر شاكر.
- أجمعت أغلب الدراسات على تأثر طه حسين بالمناهج الغربية والدراسات الاستشراقية في دراسة القضية, وقد التمست تشابها كبيرا بين ما ورد من آراء في كتابه وما عرضه مرجليوث في مقاله, أما القلة فقد نفت أخذه عن المستشرقين, لكن الراجح هو تأثره وأخذه عنهم, وهذا رأي جمهور الدارسين.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية
فهرس الأعلام
فهرس القوافي
مسرد المصادر والمراجع

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فهرس الآيات القرآنية

- ((وسع كرسيه السموات والأرض))[البقرة 255]: ص 104, 105
- ((ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله)) [سورة إبراهيم: 9]: ص 34, 35
- ((هل أنبئكم على من تنزل الشياطين (221) تنزل على كل أفاك أثيم (222) يلقون السمع وأكثرهم كاذبون (223)، [الشعراء] : ص 71
- ((والشعراء يتبعهم الغاوون(224) ألم تر أنهم في كل واد يهيمون (225) وأنهم يقولون ما لا يفعلون (226) إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون (227))) [الشعراء] : ص 71
- ((وما كنت بجانب الطور إذ ناديناه، ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون (46))) [القصص] : ص 74
- ((أم يقولون افتراه، بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون (3))). [السجدة] : ص 74
- ((لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون (6))). [يس] : ص 74
- ((وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين (69)))، [يس] : ص 70, 71
- ((إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب (6) وحفظا من كل شيطان مارد (7) لا يسمعون إلى الملإ الأعلى ويقذفون من كل جانب (8) دحورا ولهم عذاب واصب (9) إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب (10))). [الصافات] : ص 71
- ((ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون (36))), [الصافات] : ص 70
((فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون (29) أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون (30))) ، [الطور] : ص 70
- ((وأنه أهلك عادا الأولى وثمود فما أبقى))[سورة النجم: 50-51] : ص 34
- ((أم لكم كتاب فيه تدرسون (37))) . [القلم] : ص 74

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

- ((أم عندهم الغيب فهم يكتبون (47))) . [القلم] : ص 74
- ((فهل ترى لهم من باقية)) [سورة الحاقة: 8] : ص 34
- ((إنه لقول رسول كريم (40) وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنـــون (41) ولا بقـــول كاهن قليلا ما تذكرون (42))). [الحاقة] : ص 70
- ((وحُصِّل ما في الصدور)) [العاديات: 10] : ص 45

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فـــهـــرس الأعـــــــلام

آدم – عليه السلام-: 38, 41, 105

إبراهيم –عليه السلام-: 19, 42, 75, 122

ابن **الأبرص**, عبيد: 36, 37, 51, 125, 130

ابن **أبيه**, زياد: 6

الأحمر, خلف: 15, 28, 30, 33, 37, 40, 41, 42, 43, 47, 64, 76, 93, 106, 124, 143, 144, 146

ابن **الأحنف**, عباس: 40

الأخفش: 49

أرسلان, شكيب: 74

ابن **إسحاق**, محمد: 19, 20, 21, 22, 23, 27, 32, 35, 53, 54, 64, 76, 105, 121, 122

الأسد, ناصر الدين: 2, 90, 94, 95, 131, 135, 137, 140, 148

الأسدي, أبو الحسن: 49

ابن **الأسكر**: 50, 51

إسماعيل –عليه السلام-: 35, 72

الأشعري, أبو موسى: 32, 51

الأصفهاني, أبو الفرج: 46, 47, 48, 49, 50, 51, 52, 53, 54, 145

الأصـــــمعي: 15, 18, 19, 28, 40, 43, 47, 51, 53, 64, 68, 76, 77, 106, 107, 108, 124, 136, 146

ابن **الأعرابي**: 15, 136

أعشى باهلة: 5, 6, 14, 16, 45, 49, 98, 106, 114, 127, 129

أعشى ميمون: 20, 77

أعشى همذان: 32

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الأقرن: 28
ألفرت, فلهلم: 70, 74, 90, 91, 94
امرؤ القيس بن حجر: 18, 42, 49, 50, 58, 62, 65, 68, 97, 110, 112, 117, 119, 124
امرؤ القيس بن عابس: 50
الأنباري: 61
الأنصاري: 15
الأودي, الأفوه: 43
ابن **أوس**, شريح: 43, 130
الإيادي, أبو دؤاد: 20

باري: 90, 95, 96
الباهلي, خلاد: 30
البتي, أبو الحسن: 53
ابن **برد**, بشار: 49
ابن أبي **بردة**, بلال: 32
برونلش, إيريش: 83, 84, 85, 86, 87, 88, 89, 90
ابن **بري**: 144
البصري, الحسن: 123
ابن **بكار**, الزبير: 47
البكري: 143, 145
بلاشير, ريجي: 90, 94
بيكون, فرنسيس: 151

تأبط شرا: 41, 42, 62, 143, 145, 146

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

التبريزي: 144
أبو **تمام** : 145, 146
توربيكه, هاينرش: 10

ابن **ثابت**, حسان: 6, 37, 72, 120, 127
الثقفي, أبو الصلت بن ربيعة: 19
الثقفي, عمر بن سعيد: 32
الثقفي, عيسى بن عمر: 28
ثعلب: 15

الجاحظ: 4, 39, 40, 41, 42و 43, 44, 54, 58, 143, 144
ابن **جذيمة**, الحارث بن ظالم: 21
الجرهمي, عبيد بن شرية: 27
جرير: 94
الجعدي, النابغة: 19
الجمحي, أبو خليفة الفضل بن حباب: 43, 52
الجمحي, محمد بن سلام: 4, 24, 26, 27, 28, 29, 30, 31, 32, 35, 36, 37, 38, 39, 43, 44, 46, 51, 52, 54, 58, 64, 73, 93, 106, 110, 119, 120, 122, 124, 125, 137, 146, 152
جميل بثينة: 14, 91, 129
جناد: 15, 76
الجوهري, أحمد بن عبد العزيز: 47, 143
جويدي: 116

ابن **الحارث**, أبو سفيان: 37

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ابن **الحارث**, عبيدة: 22
ابن **الحارث**, عمرو: 21
ابن **حبيب**, محمد: 15
ابن **حبيب**, يونس: 28, 51
ابن **حجر**, أوس: 14, 43, 51, 91, 129, 130
الحرمي: 47
حسين, طه: 90, 91, 92, 93, 94, 98, 110, 111, 112, 113, 114, 115, 116, 117, 119, 120, 122, 124, 128, 129, 130, 147, 148, 149, 150, 151, 152, 153
الحضرمي, عبد الله بن إسحاق: 28
الحطيئة: 5, 6, 14, 32, 51, 91, 129
ابن **حلزة**, الحارث: 126
حماد الراوية: 15, 20, 32, 33, 47, 60, 61, 76, 77, 87, 93, 105, 106, 124, 135
ابن **حنش**, قراد: 17

ابن **خراش**, ربعي: 36
ابن **خرداذبة**: 48
الخزاعي, دعبل: 144, 146
الخزاعي, طارق: 50, 51
ابن **الخشرم**, هدبة: 14, 91
ابن **الخطاب**, عمر: 4, 7, 36, 119
الخطيب البغدادي: 53, 134, 136
الخنساء: 47

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

داود –عليه السلام–: 42
الدؤلي, أبو الأسود: 28
ابن **دريد**, أبو بكر: 143
ديكارت: 111

الذبياني, النابغة: 36, 42, 97, 128, 129

الرافعي: 103, 104, 106, 107, 108, 109, 121, 122, 147
ابن **ربيعة**, لبيد: 37, 45, 118
الرياشي: 51

ابن **الزبعرى**, عبد الله: 22
ابن **الزبير**, عروة: 135
ابن **زنيم**, أنس: 19
الزهري, ابن شهاب: 135
ابن **زهير**, كعب: 14, 91, 129
زويتلر: 90
أبو **زيد**: 77
ابن **زيد**, عدي: 20, 37, 41, 128, 132

ستيتكيفتش: 98
السجستاني, أبو حاتم: 18, 77
السدوسي, خلاد بن قرة: 20
السدوسي, قتادة بن دعامة: 28
سزكين, فؤاد: 90, 94

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ابن **سعد**, مسلمة بن عبد الله: 28
أبو **سفيان**: 37
السكري, أبو سعيد: 15, 62
ابن **السكيت**: 15
ابن أبي **سلمى**, زهير: 14, 17, 18, 86, 91, 118, 129, 130, 133
السلمي, عباس بن مرداس: 23
ابن **سلمة**, غيلان: 43
ابن **سنان**, إدريس: 27
ابن **سنان**, عبد المنعم بن إدريس: 27
السهيلي, أبو القاسم: 53
سيبويه: 63
ابن **سيرين**: 4

شاكر, محمـــود محمـــد: 24, 25, 27, 35, 43, 99, 100, 141, 142, 143, 144, 145, 147, 153
ابن **شبة**, عمر: 47
ابن **شداد**, عنترة: 110, 112, 118
الشعبي: 36, 37
الشعوبي, علان: 27
الشنفرى: 106, 143, 144
الشيباني, أبو عمرو: 15, 18, 44, 50, 76, 124, 136
شيخو, لويس: 77

صالح, عبد الرحمن الحاج: 52, 53
الصديق, أبو بكر: 22

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ابن أبي **الصلت**, أمية: 18, 19, 20, 22, 75, 122
ابن **الصمة**, دريد: 47, 48, 50
الصنعاني, وهب بن منبه: 27
الصولي: 146

الضبي, المفضل: 15, 28, 33, 53, 68, 77, 87, 106, 136
ضيف, شوقي: 140

أبو **طالب**: 22, 106
ابن **طباطبا**: 53

ابن **عادياء**, السموأل: 50, 122
أبو **العالية**: 108
ابن **عباس**, عبد الله: 7, 8, 33, 135
عباس, إحسان: 29, 44
ابن **العبد**, طرفة: 32, 36, 110, 112, 126
ابن **عبد الرحمن**, المغيرة: 135
ابن **عبد العزى**, خالد: 21
ابن **عبد ربه**: 136
ابن **عبدل**: 42
العدواني, ذو الإصبع: 18, 49, 144
العدواني, يحيى بن يعمر: 28
العروضي, برزخ: 15
العسكري, أبو هلال: 4
العطاردي, ابن نوح: 31

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ابن **عفان**, أبان بن عثمان: 135
ابن **العلاء**, أبو عمرو: 15, 18, 25, 28, 33, 34, 48, 49, 68, 76, 77, 106, 107, 116, 124, 135, 136
ابن **علس**, المسيب: 5, 14
علقمة الفحل: 125
ابن **عون**: 4
عيسى –عليه السلام–: 42

الغنوي, سهم: 108
الغنوي, كعب: 108

فاجنر, إيفالد: 10, 90, 91, 92, 93, 94, 95, 97, 98
الفراهيدي, الخليل بن أحمد: 28, 63, 87
الفرزدق: 16
عنبسة **الفيل**: 28

القالي: 108
ابن **قتيبة**: 45, 104, 144
ابن **قريع**, جعفر: 5
ابن **القطامي**, الشرقي: 27, 47
القفطي: 144
ابن **قميئة**, عمرو: 65, 125

كثير عزة: 14, 91, 129
أبو **كرب**, تبان أسعد: 21

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ابن **كركرة**, أبو مالك عمرو: 40
كرنكوف, فريتس: 94, 95
الكلبي, محمد بن السائب: 15, 27, 33, 48, 51
الكلبي, هشام بن محمد بن السائب: 15, 27, 112
ابن **كلثوم**, عمرو: 63, 110, 126

اللغوي, أبو الطيب: 106
لورد: 90, 95, 96
الليثي, نصر بن عاصم: 28

ماسينيون, لويس: 151
المبرد: 76
المتلمس: 127
ابن **المثنى**, أبو عبيدة معمر: 15, 17, 21, 28, 31, 32, 40, 47, 49, 50, 77, 107
المحلق: 5, 6
المدائني: 51
مرجليـــــوث: 70, 71, 72, 73, 74, 75, 77, 78, 80, 81, 82, 83, 85, 86, 88, 89, 90, 91, 92, 94, 98, 147, 148, 149, 150, 151, 152, 153
المرزبان, محمد بن خلف: 47
المرزباني: 65
المرقش: 133
ابن **مروان**, عبد الملك: 135
ابن **معديكرب**, عمرو: 50

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

المعري, أبو العلاء: 151
ابن **المغيرة**, علي: 47
ابن **المنذر**, النعمان: 20, 129, 140
ابن **منظور**: 16
المهدي, الخليفة: 86, 87
المهلبي, حبيب بن نصر: 47
المهلهل: 35, 58, 125
موسى –عليه السلام–: 42
مونرو, جيمس: 90
موير, السير وليم: 10
الميداني: 5

ابن **نجيم**, يحيى: 136
ابن **النحاس**, أحمد: 69, 136
ابن **النديم**: 52, 135
ابن **نضلة**, خفاف: 143, 145
ابن **النطاح**, محمد بن الصالح: 49
ابن **نفيل**, زيد بن عمرو: 20, 75
نلينو, كارلو: 151
النمري, ربيعة بن جشم: 42
النوبختي , أبو عبد الله بن الحسين: 52, 53
نوح –عليه السلام–: 35
ابن **نوفل**, ورقة: 75
ابن **نويرة**, ابن داود بن متمم: 31, 60, 104, 124

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

نيلدكه, تيودور: 9, 57, 58, 59, 60, 61, 64, 67, 69, 70, 74, 89, 90, 91, 94

الهجال: 145

الهذلي, أبو ذؤيب: 14

الهذلي, ساعدة بن جؤية: 14

هرقل: 98

ابن **هرمة**, إبراهيم: 16

ابن **هشام**, أبو محمد عبد الملـــك: 19, 20, 21, 22, 23, 53, 54, 122, 144, 145

هوار, كليمان: 122

هوميروس: 66, 112, 152

ابن **يحيى**, أبو العباس أحمد: 16

ابن ذي **يزن**, سيف: 20

اليزيدي: 51

ابن **يعمر**, لقيط: 132, 133

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فهـــرس القـــوافي

صدر البيت	القافية	البحر	الصفحة
ملك أضرع البرية لا يوجد	كفاء	مديد	ص 126
فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهرة	قريب	طويل	ص 108
حلفت فلم أترك لنفسك ريبة	مذهب	طويل	ص 37
أقفر من أهله ملحوب	فالذنوب	مج بسيط	ص 37
قوم هم الأنف والأذناب غيرهم	الذنبا	بسيط	ص 5
فانقضَّ كالدريِّ يتبعه	طُنُبا	كامل	ص 43
فما قومي بثعلبة بن سعد	الرقابا	وافر	ص 21
وخَشَّ رواحَةُ القُرَشي رحلي	ثوابا	وافر	ص 21
لو كنت ماءً كنت غير عذب	عضب	رجز	ص 49
أو كنت طرفا كنت غير ندب	كلب	رجز	ص 49
دعاني إليها القلب إني لأمره	طلابها	طويل	ص 107
إن الرزية لا رزيـــة مثــلـــها	أظلتِ	كامل	ص 17
إن الركاب لتـــبتــغي ذا مرة	أحلتِ	كامل	ص 17
ولنعم حشو الدرع أنت لنا إذا	علَّتِ	كامل	ص 17
ينعون خيـــر الناس عند كريهةٍ	جلَّتِ	كامل	ص 18
أمن طيف سلمى بالبطاح الدمائث	حادث	طويل	ص 22
فإن تشعثوا عرضي على سوء رأيكم	شاعث	طويل	ص 22
أمن رسم دار أقفرت بالعثاعث	لابث	طويل	ص 22
دان مسِفٌّ فويقَ الأرض هيدبه	بالراحِ	بسيط	ص 51
كأنما بيـــن أعلاه وأســفـــله	مصباح	بسيط	ص 51
فمن بمحـــفله كمن بنـــجوته	بقرواح	بسيط	ص 51
حنقا على سبطين حلا يثربا	مفسدِ	كامل	ص21
و لم أتَنَحَّل الأشعار فيها	الجيادُ	وافر	ص 16

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

كـــفى زاجرا للمرء أيـــام عمره	تغـــتدي	طويل	ص 41
فنفسك فاحفظها من الغي والردى	يقتدي	طويل	ص 41
خليليّ لا تستعجلا أن تزوّدا	غدا	طويل	ص 125
أعاذل إنـــما أفنـــى شبابي	المنادي	وافر	ص 50
مع الفتيان حتى كل جسمي	النجاد	وافر	ص 50
أعاذل عدتـــي بدني ورمحي	القياد	وافر	ص 50
ويبقى بعد حلم القوم حلمي	زادي	وافر	ص 50
فكيف أنا وانتحالي القوافيَ	عارا!	متقارب	ص 16
وقيدني الشعر في بيـــته	الحمارا	متقارب	ص 16
لا وأبيك ابنةَ العامـــري	أفر	متقارب	ص 18
أحارِ بنَ عمرٍو كأني خَمِرْ	يأتـــمر	متقارب	ص 18
إن آيات ربنا ثاقبات	الكفور	خفيف	ص 19
كل دين يوم القيامة عند اللـــه	بورُ	خفيف	ص 19
وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجلة	الخابورُ	خفيف	ص 20
شـــــاده مرمرا وجلله كلسا	وُكور	خفيف	ص 20
لم يـــهـــبـــه ريب الـــمنون	مهجور	خفيف	ص 20
دع ذا وعد القول في هرم	الحضر	كامل	ص 86
وساقان كعباهما أصمعانِ	منبترْ	متقارب	ص 42
كشهاب القذف يرميكم به	نار	وافر	ص 43
قد كاد يقتلني أصم مرقشٌ	كبير	كامل	ص 43
لعمرك إني والخزاعي طارقا	تتحفَّرُ	طويل	ص 51
لا بأس بالقوم من طولٍ ومن عِظَم	العصافير	بسيط	ص 6
وليس الـــمرء في شيء	النقض	هزج	ص 18
إذا يفعل شيـــئا خـــاله	يقضى	هزج	ص 18
جديد العيـــش ملبوس	ينضي	هزج	ص 18
فلأهدين مع الرياح قصيدة	القعقاع	كامل	ص 5

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ترد المياه فما تزال غريبة	سماع	كامل	ص 5
وأنكرتني وما كان الذي نكرت	الصلعا	بسيط	ص 49
عين بكِّي بالمسبلات أبا الحـــارث	زمعه	خفيف	ص 22
أرقت وما هذا السهاد المؤرق	معشق	طويل	ص 6
فلا تسلمني يا ربيع لهذه	واثقا	طويل	ص 68
طرقتك هند بعد طول تجنب	تطرق	كامل	ص 49
من لم يمتْ عبطةً يمتْ هرما	ذائقها	منسرح	ص 18
أبوك أبو سوءٍ وخالك مثله	خالكا	طويل	ص 37
وإن أحق الناس أن لا تلومه	كذلكا	طويل	ص 37
ليطلب الوتر أمثال ابن ذي يزن	أحوالا	بسيط	ص 21
تلك المكارم لا قعـــبان من لبن	أبوالا	بسيط	ص 21
ولما رأيت القوم لا ود فيهم	الوسائل	طويل	ص 22
فإن تك كعب من لؤي صقيبة	تزايـــل	طويل	ص 22
قـــضى لستـــة أيام خليقته	الرجلا	بسيط	ص 41
دعـــاه آدم صوتا فاستـــجاب له	جبلا	بسيط	ص 41
في الآل يخفضها ويرفعها	السحل	كامل	ص 43
لا تحسبن الموت موت البلى	الرجال	سريع	ص 44
كلاهـــما موت ولكـــن ذا	السؤال	سريع	ص 44
إنَّ مَحَلًّا وإن مرتـــحلا	مهلا	منسرح	ص 45
استأثر الله بالوفاء وبالحمد	الرجلا	منسرح	ص 45
ألا كل شيء ما خلا الله باطل	زائل	طويل	ص 45
وكل امرئٍ يوما سيعلم سعيه	المحاصلُ	طويل	ص 45
حي الحمول بجانب العزل	شكلي	كامل	ص 50
الله أنـــجح ما طلبت به	الرحل	كامل	ص 50
مسبل بالحي أحوى رفلٌ	أزلُّ	مديد	ص 42
وقربة أقوام جعلت عصامها	مرحل	طويل	ص 62

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وواد كجوف العير قفر قطعته	المعول	طويل	ص 62
فقلت له لما عوى : إن شأننا	تمول	طويل	ص 62
كلانا إذا ما نال شيئا أفاته	يهزِل	طويل	ص 62
قفا نبك من ذكرى حبيب ومترل	فحومل	طويل	ص 63
أفاطم مهلا بعض هذا التذلل	فأجملي	طويل	ص 63
خليليّ ما أذني لأول عاذل	باطل	طويل	ص 106
إن يغدروا أو يفجروا	يحفلوا	مج كامل	ص 107
يغدو عليك مرجلـــين	يفعلوا	مج كامل	ص 107
كأبي براقش كل يـــوم	يتـــبدل	مج كامل	ص 107
إن الـــخليط أجد منـــتـــقلُهْ	إبِلُهْ	كامل	ص 32
عهدي بهم في النقب قد سندوا	ذُلُلُـــهْ	كامل	ص 32
هل غادر الشعراء من متردم	توهم	كامل	ص 18
سئمت تكاليف الحياة ومن يعش	يسأمِ	طويل	ص 18
من سبأ الحاضرين مأرب إذ	العرما	منسرح	ص 19
يظـــن النـــاس بالملكيـــن	التأما	مج وافر	ص 20
ومن يسمع بـــلأمـــهما	فـــقما	مج وافر	ص 20
يذوق مشـــعشـــعا حتى	النعما	مج وافر	ص 20
نعم جار الخزيرة المرضع الغَرْثَى	كلثوم	خفيف	ص 42
ثاويا قد أصاب عند صديق	مـــأدوم	خفيف	ص 42
وقد كنا نقول إذا رأينا	بيان	وافر	ص 6
كأنك أيها المُعطى بيانا	المدان	وافر	ص 7
تخوّف الرَّحل منا تَامِكًا قَرِدَا	السَّفِنُ	بسيط	ص 7
إذا ما قلت قافية شرودا	العِـــجانِ	وافر	ص 16
ألا هبي بصحنك فاصبحينا	الأندرينا	وافر	ص 63
قفي قبل التفرق ياظعينا	تخبرينا	وافر	ص 63
تطوف العفـــاة بأبـــوابه	الوثن	متقارب	ص 77

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وهم وردوا الجفار على تميم	إنّي	وافر	ص 97
شهدت لهم مواطن صادقات	منّي	وافر	ص 97
فألفيت الأمانة لم تخنها	يخون	وافر	ص 36
باتت تَشَكَّى إليَّ النفسُ مجهِشةً	سبعينِ	بسيط	ص 37
فإن تعيشي ثلاثا تبـــلغي أملا	للثمانينِ	بسيط	ص 37
أصابت العامَ رعلا غولُ قومهمُ	ألوان	بسيط	ص 23
تكاد ترجف منه الأرض رهبته	عثمان	بسيط	ص 23
أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها	تبيان	بسيط	ص 23
يا أيها الناس سيروا إن قصركم	تسيرونا	بسيط	ص 21
حثوا الـــمطي وأرخوا من أزمتها	تقضُّونا	بسيط	ص 22
كنا أناسا كما كنتـــم فغيـــرنا	تكونونا	بسيط	ص 22
إلى الله أهدي مدحتي وثنائيا	باقيا	طويل	ص 20
فرب العباد ألقِ سيبا ورحمةً	مالـــيا	طويل	ص 20

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

مسرد المصادر والمراجع

إبراهيم،طه أحمد

تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، سنة 1937

الأسد, ناصر الدين

مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية, دار الجيل, بيروت, ط8, 1996

الأصفهاني، أبو الفرج

كتاب الأغاني، تحقيق لجنة من الأدباء، الدار التونسية للنشر، تونس، طبعة سنة، 1983

امرؤ القيس,

الديوان, شرح: عبد الرحمن المصطاوي, دار المعرفة , بيروت, ط3, 2006

بدوي, عبد الرحمن

دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي, دار العلم للملايين, بيروت, ط1, 1979

الجاحظ, أبو عثمان عمرو بن بحر

البيان والتبيين، تح: موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة 2، سنة2003، ج4

الحيوان, تح: إبراهيم شمس الدين, منشورات الأعلمي للمطبوعات, بيروت, ط1, 2003, ج1

جبوري, يحيى

الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه, منشورات جامعة قار يونس, بنغازي, ليبيا, ط6, 1993, ص79

الجمحي, محمد بن سلام

طبقات فحول الشعراء, تح: محمود محمد شاكر, دار المدني بجدة, 1974, ج1

جمعة، حسين

طه حسين القامة والظل، دار ابن هانئ للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، الطبعة الأولى، سنة 1993

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

حسين، طه

في الأدب الجاهلي، دار المعارف بمصر، الطبعة 18، سنة 2005

خليف، يوسف

مناهج البحث الأدبي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، طبعة 1997

الشعراء الصعاليك في الشعر الجاهلي، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، سنة 1978

الرافعي،مصطفى صادق

تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،الطبعة السادسة، سنة 2001م، ج1

زيدان، جرجي

تاريخ آداب اللغة العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، طبعة 1993، ج2

السامرائي, ماجد

الثقافة والحرية, قراءة في فكر طه حسين, دار الأهالي للنشر والتوزيع, دمشق, ط1, 1996

سلقيني, عبد الله محمد

حبر الأمة عبد الله بن عباس ومدرسته في التفسير, دار السلام, القاهرة, ط1, 1986

سمايلوفتش, أحمد

فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر, دار الفكر العربي, القاهرة, 1998

السيوطي, جلال الدين

المزهر في علوم اللغة وأنواعها, تح: محمد عبد الرحيم, دار الفكر, بيروت, ط1, 2005

شاكر، محمود محمد

قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، دار المدني بجدة، طبعة دون تاريخ

المتنبي، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، مطبعة المدني بمصر، طبعة سنة 1987 م

نمط صعب ونمط مخيف, مطبعة المدني بمصر, ط1, 1996

شرارة, عبد اللطيف

معارك أدبية قديمة ومعاصرة, دار العلم للملايين, لبنان, ط1, 1984

الشطي، سليمان

ثلاث قراءات تراثية، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا، طبعة 1، 2000

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

شلبي, سعد إسماعيل

الأصول الفنية للشعر الجاهلي, دار غريب للطباعة والنشر,القاهرة, 1982

الضبي, المفضل

المفضليات, تح: قصي الحسين, دار مكتبة الهلال, بيروت, ط1, 1998

ضيف، شوقي

تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف بمصر، الطبعة السادسة والعشرون، سنة2007

في الأدب والنقد، دار المعارف بمصر، طبعة سنة 1999

عباس،إحسان

تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، لبنان، الطبعة5، سنة 1986

عبد الرحمان، إبراهيم محمد

الشعر الجاهلي: قضاياه الفنية والموضوعية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1980

العسكري, أبو هلال

كتاب الصناعتين, الكتابة والشعر, تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم, المكتبة العصرية, بيروت, 1986

عوضين، إبراهيم

الأدب العربي بين البادية والحضر، مطبعة السعادة، مصر، طبعة سنة 1983

عوين , أحمد

من قضايا الشعر الجاهلي, دار الوفاء للطباعة, الإسكندرية, ط1, 2002

عيد، عبد الرزاق

طه حسين العقل والدين، بحث في مشكلة المنهج، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، الطبعة الأولى، سنة 1995

غريب، جورج

الجاحظ، دراسة عامة، دار الثقافة، بيروت، طبعة5، 1980.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فاجنر,إيفالد

أسس الشعر العربي الكلاسيكي, الشعر العربي القديم, تر: سعيد حسن بحيري, مءسسة المختار للنشر والتوزيع, القاهرة,ط1, 2008

القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم

كتاب الأمالي، تحقيق صلاح بن فتحي هلل وسيد بن عباس الجليمي، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، طبعة 2001، ج 2

ابن قتيبة،أبو عبد الله بن مسلم،

الشعر والشعراء، دار الثقافة، بيروت، دون تاريخ، ج1

قطب، سيد

النقد الأدبي: أصوله ومناهجه، دار الشروق، مصر، طبعة، 8، 2003

قميحة, مفيد

شرح المعلقات العشر, دار مكتبة الهلال, بيروت, 2003

القيرواني, ابن رشيق

العمدة في نقد الشعر وتمحيصه, تح: عفيف نايف حاطوم, دار صادر, بيروت, ط1, 2003

كريم, سامح

طه حسين, فكر متجدد, الدار المصرية اللبنانية, مصر, 2004

مجلى, نسيم

صدام الأصالة والمعاصرة بين محمودج شاكر ولويس عوض, مؤسسة الأهالي, مصر, 1998

محمد،إبراهيم عبد الرحمن

الشعر الجاهلي, قضاياه الفنية والموضوعية، دار النهضة العربية للنشر , بيروت, 1980

مرجليوث, ديفيد صموئيل

أصول الشعر العربي, تر: إبراهيم عوض, دار الفردوس, مصر, 2006

المرزباني، أبو عبد الله محمد بن عمران

الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، عنيت بنشره جمعية نشر الكتب العربية بالقاهرة، المطبعة السلفية، مصر، سنة 1343هـ

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

المصري،محمد عبد الغني

نظرية أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في النقد الأدبي، دار مجدلاوي للنشر، عمان، الأردن، ط1،1987

ابن منظور،

لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 2004، ج14

موافي، عثمان

دراسات في النقد الأدبي، دار الوفاء بمصر، طبعة 2004

النابغة،

ديوان تحقيق، علي بوملحم، منشورات دار مكتبة الهلال، لبنان، ط 1، 1991

نبوي، عبد العزيز

دراسات في الأدب الجاهلي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 2004

النديم، محمد بن إسحاق

الفهرست، تحقيق، يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 2002

هدارة, محمد مصطفى

موقف مرجليوث من الشعر العربي, مقال من كتاب"مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية", المنظمة العربة للتربية والثقافة والعلوم, تونس, 1985, ج1

ابن هشام،

السيرة النبوية، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، تح: أحمد شمس الدين، ط2004، ج1

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فهرس الموضوعات

إهداء

– **مقدمة** .....أ

– **مدخل**:قيمة الشعر الجاهلي ودواعي اهتمام الدارسين به قديما وحديثا 2

– **الفصل الأول**.....12

– **صحة الشعر الجاهلي عند العرب القدامى**.....14

– آراء العرب القدامى في مسألة صحة الشعر الجاهلي.....17

– بواكير تدل على الإحساس بالقضية.....17

– ابن هشام مهذب السيرة يوسع دائرة المسألة.....19

– محمد بن سلام الجمحي: توسع في الطرح وتنظير منهجي.....24

– قول في منهج التأليف وتعليل للاستطراد.....24

– بسط القضية وتحديد مفهوم المصنوع المفتعل الموضوع.....26

– ذكر من تداولوا المصنوع المفتعل الموضوع.....27

– ذكر أهل العلم والرواية الصحيحة.....28

– صفة الناقد.....29

– أسباب نحل الشعر.....31

1– تزَيُّدُ القبائل في شعر شعرائها.....31

2– الرواة الوضاعون والقصاص والإخباريون.....32

3– قدم الشاعر وفحولته.....36

– نصه على شعراء بعينهم وذكره لأشعارهم المنحولة.....36

– أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : شروط الرواية وأسباب نحل الشعر 39

– الطبيعة المواتية للأدب.....39

– المعرفة والاطلاع الواسع 40

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

- الإنصاف.....40
- أسباب نحل الشعر وتمثيل للمنحول منه.....40
- ابن قتيبة، أبو عبد الله محمد بن مسلم 45
- أبو الفرج الأصفهاني : الإسناد أساس توثيق النصوص.....46
- أخذه عن مصادر مكتوبة.....47
- جمعه بين مدرستين البصرية والكوفية.....47
- اعتماد السند لتوثيق النصوص.....47
- اتباعه منهج المحدثين في الجرح والتعديل.....48
- نماذج من الكتاب متعلقة بصحة الشعر.....49

الفصل الثاني 55

- صحة الشعر الجاهلي عند المستشرقين.....56

- تيودور نيلدكه: فاتحة الشك الاستشراقي في الشعر الجاهلي 57

- حصر الشعر القديم في الشعرين المخضرم والأموي.....57

- أولية الشعر العربي.....58

- المستشرقون وصعوبة فهم النص الجاهلي.....59
- من دواعي النحل الرواية الشفهية وانعدام الكتابة.....60
- الاعتبار الديني يقضي على الأشعار الوثنية.....64
- تزييفات الرواة والقصاص والشعراء المتأخرين.....64
- نفي أشعار القصص الإسلامي والأمم البائدة.....65
- عود إلى الرواية.....65
- أثر الناسخين وناشري النصوص على الروايات المكتوبة.....66
- أخبار شرح القصائد.....68
- خرافة المغلقات السبع 69
- ديفيد صمويل مرجوليوث: نفي وجود الشعر الجاهلي جملة.....70

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

- الأدلة الخارجية.....70
- الاستدلال بالقرآن على الشعر الجاهلي.....70
- أولية الشعر الجاهلي.....72
- رواية الشعر الجاهلي وتدوينه.....73
- رواة القرنين الثاني والثالث الهجريين.....76
- الأدلة الداخلية.....77
- ورود القصص الديني والكلمات الإسلامية في الشعر الجاهلي.....77
- الشعر الجاهلي لا يعكس التباين اللغوي واللهجي.....79
- نمطية الموضوعات وتكرارها في القصيدة الجاهلية.....80
- أيريش بروينلش: (1892-1945): نقد آراء مرجليوث.....83
- العلاقة بين النقوش وبين الشعر والجاهلي.....84
- لغة الشعر الجاهلي.....84
- نفي المشابهة بين القرآن والشعر.....85
- وجود الكتابة في العصر الجاهلي.....85
- نمطية الموضوعات وتكرارها في الشعر الجاهلي.....85
- نفي تزوير علماء اللغة.....86
- غياب الوثنية عن الشعر الجاهلي.....88
- ورود القصص الديني وتعابير القرآن في الشعر الجاهلي.....88
- بداية الشعر العربي من العصر الأموي.....89
- إيفالد فاجنر : مناقشة آراء السابقين من العرب والمستشرقين.....90
- الرواية وصحة الشعر العربي القديم.....90
- رواية الشعر الجاهلي.....90
- الدارسون المحدثون الذين أثاروا المسالة.....91
- الأدلة والأدلة المضادة.....92
- ريجي بلاشير: اعتدال نظري وسلبية في التطبيق 94

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

- نظرية الشعر الشفهي ودراسة الشعر الجاهلي.....95
- مفاد نظرية باري-لورد.....96
- موقفه من مسألة صحّة الشعر الجاهلي.....98
الفصل الثالث.....101
- مصطفى صادق الرافعي: على نهج القدامى.....103
- شعر الشواهد.....104
- شواهد أخرى.....104
- الرواة الوضاعون للشعر.....105
- الشواهد على الأخبار.....105
- الاتساع في الرواية.....105
- ضرب من الوضع.....107
- اختلاف الروايات في الشعر.....107
- التزيّد في الأخبار.....108
- القصاص.....109
- طه حسين : شك مفرط يفجر القضية.....110
- إصدار الحكم.....110
- عرض المنهج.....111
- دوافع شكه.....111
- الحياة الدينية.....112
- الحياة العقلية.....113
- الحياة السياسية.....114
- الحياة الاقتصادية.....114
- اختلاف اللغة.....116
- اختلاف اللهجات.....117
- أسباب نحل الشعر.....119

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

- السيـــــــــاسة.....119
- الديـــــــــن.....121
- الشعوبية.....123
- الرواة.....123
- دراسة تطبيقية لبيان الانتحال في شعر طائفة من الشعراء.....124
- الشعر المضري.....127
- المقياس المركب للحكم على صحة الشعر الجاهلي أو نحله.....128
- ناصر الدّين الأســـد: فرض الكتابة و توثيق الرواة لتوثيق الشعر الجاهلي.....131
- منهج المؤلف.....131
- الكتابة في العصر الجاهلي.....132
- كتابة الشعر الجاهلي.....133
- الأدلة العقلية الاستنباطية.....133
- الأدلة الصريحة المباشرة.....134
- تدوين الشعر الجاهلي.....134
- الرواية والسماع.....137
- توثيق الرواة وتضعيفهم.....137
- مقياسه لمعرفة صحيح الشعر الجاهلي من منحوله.....128
- محمود محمد شاكر: منهج دراسة الشعر العربي مع نموذج تطبيقي.....141
- منهجه العام في البحث 141
- مشكلة الشعر الجاهلي روايته الشفهية وتدوينه.....142
- مشكلة نسبة القصائد إلى أصحابها.....143
- تصنيف نصوص نسبة القصيدة.....143
- منهج شاكر في تخليص نسبة هذه القصيدة.....146
- تأثير المستشرقين في الدارسين العرب المحدثين 149
- **خاتمة**.....154

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

–الفهارس 157
– فهرس الآيات القرآنية 158
– فهرس الأعلام 160
– فهرس القوافي 170
– مسرد المصادر والمراجع 175
– فهرس الموضوعات 180

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

Résumé

Justesse de la poésie préislamique
entre les études des arabes et des orientalistes

Ce mémoire prend par l'étude les opinions des anciens critiques arabes ainsi que celles des orientalistes et les arabes contemporains sur la justesse de la poésie préislamique ; en tenant compte de la progression historique, il décrit les époques par l'analyse et la comparaison par la mise en évidence des différences et des méthodes des critiques.

Avant d'aborder le sujet , ce mémoire met en œuvre les valeurs de la poésie préislamique et l'importance qu'a donné les critiques à cette époque (les anciens et les contemporains), et il expose les opinions des anciens critiques arabes telles que (ABOU AMR CHIBANI); (ABI AMROU IBN ALALAA ; EL ASMAI .IBN SALLAM ; EL JAHIZ .ABI ELFAREJ EL ASFAHANI). ces lumières ont une sensation proche de cette étude car ils sont temporels et contemporains surtout ibn sallam el joumahi qui a exposé cette époque par l'étude et la purification en s'appuyant sur la méthode critique (description analyse , et argumentation) et par une étude artistique de la poésie préislamique qui aide à rendre les textes écrits à leurs auteurs en se référant aux conteurs qui les ont écoutés des savants du hadith .

Quant aux orientalistes .on peut marquer les opinions (THEODOR NOLDEKE),(D.S MARGLIOUTH) (ERICH BRAUNLICH) et (EWALD WAGNER) qui ont eu des avis différents sur cette époque ; NOLDEKE était le premier orientaliste qui a généralisé son point de vue sur la justesse de toute la poésie préislamique en s'appuyant sur les avis des premiers critiques arabes; en seconde lieu MARGOLIOUTH a nié l'existence de la poésie préislamique toute entière ,il a déclaré que l'apparition de cette poésie n'appartient pas à l'époque jahilite, son étude n'était pas basée sur une méthode scientifique objective .ses avis étaient le fruit d'une haine contre la langue arabe et l'islam en croyant qu'il était impartial envers cette ère jahilite .la dernière opinion était celle de WAGNER qui a pu amasser tous les avis de ces prédécesseurs, en outre ceux des contemporains , et il a pu donner une image évaluative brève sur toute les opinions des critiques qui l'ont précédés en ajoutant ses commentaires, ses remarques et ses propres avis .

Ce mémoire a présenté les points de vue des critiques arabes contemporains (ARRAFIE) qui a exposé les opinions des anciens critiques arabes et il n'a aucune trace personnelle. (TAHA HOSSEIN) qui, a exagéré en niant la totalité de cette poésie ,il n'a laissé qu'une partie. Ce doute est basé selon lui sur les anciens critiques arabes et MARGOLIOUTH. Or NASSER EDDINE EL ASSED a dit qu'on ne peut nier toute une époque car il est impossible de dire que tous les conteurs sont des menteurs, il déclare que cette poésie était écrite dans cette époque elle-même.

En arrivant à MAHMOUD MOHAMMED CHAKER .. on constate qu'il fonde une méthode rigoureuse pour l'étude et la purification de la poésie jahilite ; sa méthode était encyclopédique et approfondie dans l'étude du patrimoine entier en essayant d'être plus objectif et impartial .Il a appliqué sa méthode sur un texte poétique jahilite pour confirmer sa justesse et son appartenance à son auteur .

Toutes les études confirment l'impact qu' a exercé les orientalistes sur les critiques arabes contemporains (TAHA HOSSEIN) et son livre (FI EL ADAB EL JAHILI) surtout l'article de MARGLIOUTH (les origines de la poésie arabes) qui ressemble à ce qui est écrit par TAHA HOSSEIN.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com